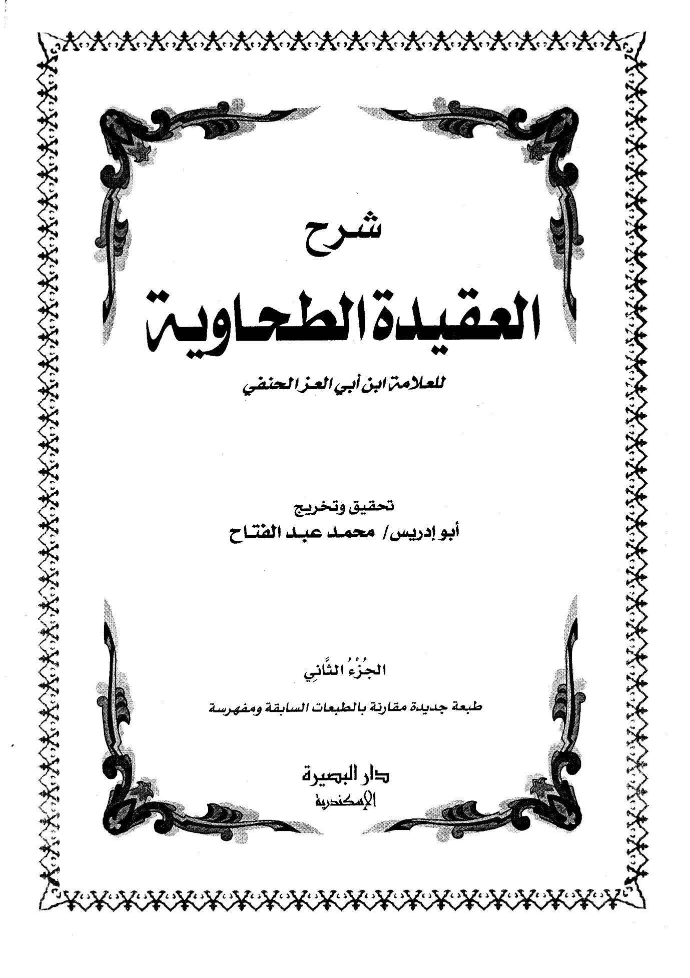


شرح

العقيدة الطحاوية

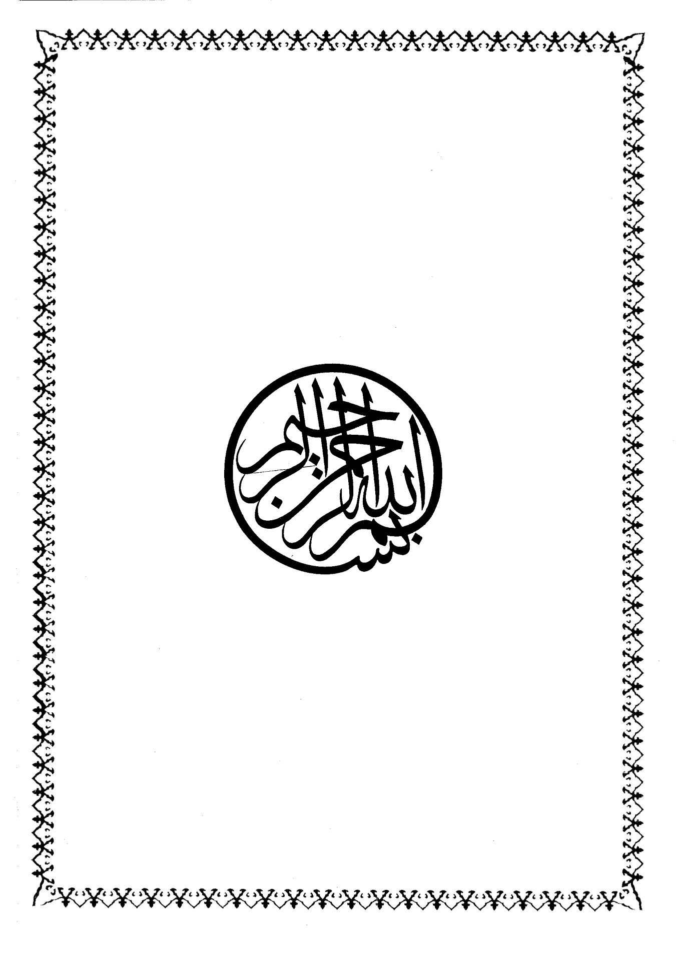
للعلامة ابن أبي العز الحنفي

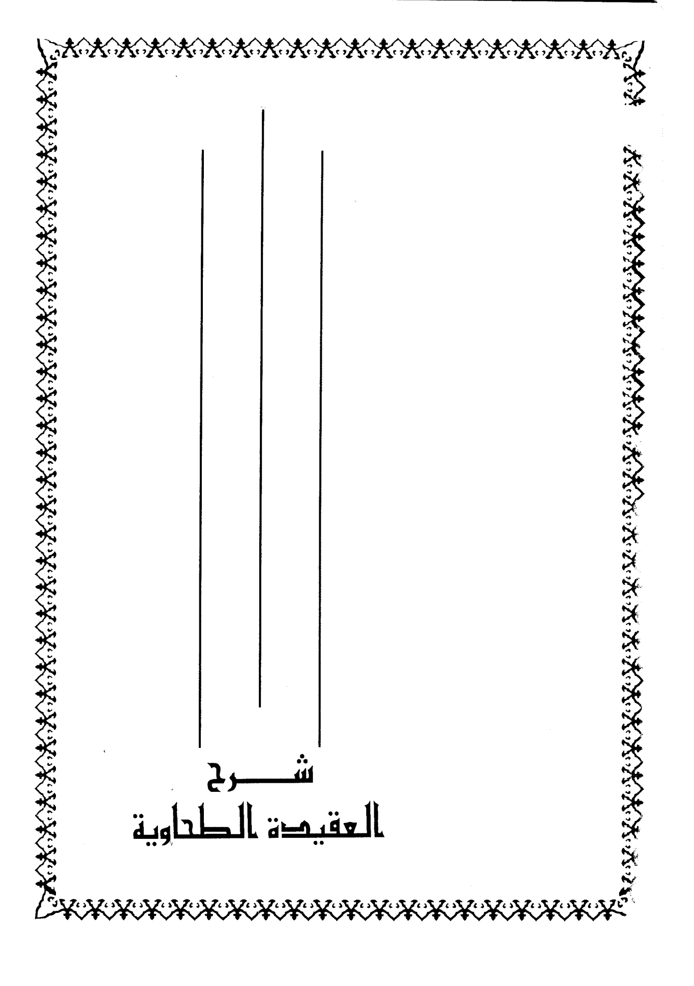
تحقيق وتخريج
أبو إدريس/ محمد عبد الفتاح

الجُزْءُ الثَّانِي

طبعة جديدة مقارنة بالطبعات السابقة ومفهرسة

دار البصيرة
الإسكندرية





شرح
العقيدة الطحاوية

كافة حقوق الطبع محفوظة

لدار البصيرة

لصاحبها/ مصطفى أمين

الطبعة الأولى

١٤٢٠ - ١٩٩٩

رقم الإيداع

١٣٨٤٤/ ١٩٩٩

قوله: «**ونؤمن باللوح والقلم. وبجميع ما فيه قد رقم**».

ش: قال تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ [البروج: ٢١. ٢٢]. وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، صفحاتها ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيى، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاؤه**» (١).

اللوح المذكور: هو الذى كتب الله مقادير الخلائق فيه والقلم المذكور هو الذى خلقه الله وكتب به فى اللوح المذكور المقادير، كما فى «سنن أبى داود»، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة**» (٢).

---

(١) **إسناده ضعيف**. رواه الطبراني في «الكبير» [١٢٥١١]، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤ / ٣٠٥)، من طريق زياد بن عبد الله البكائي، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به.
وإسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه ، فترك، وزياد البكائي صدوق في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحق لين كما في «التقريب».
ورواه الطبراني [١٠٦٠٥]، من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً به.
ورجاله ثقات غير بكير بن شهاب لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

(٢) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٧٠٠]، والطبراني في «مسند الشاميين» [٥٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (٥ / ٢٤٨)، والبيهقي (١٠ / ٢٠٤)، من طريق الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه به.
ورجاله ثقات، سوي أبي حفصة، فإنه مقبول كما في «التقريب»، ووثقه ابن حبان، والعجلي.

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمذانى [1]، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت فى «الصحيح» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»** [2]. فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا، ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم»، إلخ إما أن يكون جملة أو جملتين. فإن كان جملة وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: «اكتب»، كما فى اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب» بنصب «أولَ» و«القلمَ» وإن كان جملتين، وهو مروى برفع «أولُ» و«القلمُ»، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح فى أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم. وفى اللفظ

= ورواه الطيالسي [٥٧٧]، ومن طريقه الترمذي [٢١٥٥، ٣٣١٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٠٥]، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه رضي الله عنه به.
ورجاله ثقات، رجال الشيخين سوي عبد الواحد بن سليم فإنه ضعيف كما في «التقريب» لكنه توبع. رواه ابن أبي عاصم [١٠٤]، من طريق بقية، عن معاوية بن سعيد، عن عبد الله بن السائب، عن عطاء به. وفيه بقية بن الوليد، وهو مدلس، وقد عنعنه. قال الترمذي (طبعة الهند - ٤ / ٢٠٥): هذا حديث حسن صحيح غريب. والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(١) هو الإمام الحافظ المقرئ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة بن عشكل الهمذاني العطار، شيخ هَمَذان بلا مدافعة، ولد سنة (٤٨٨ هـ) وتوفي سنة (٥٦٩ هـ). (السير - ٢١ / ٤٠، الوافي ١١ / ٣٨٥).

(٢) سبق تخريجه (١ / ٩٣).

الآخر: «**لما خلق الله القلم قال له: اكتب**».

فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها. وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذى أقسم الله به فى قوله تعالى: ﴿ نٓ * وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١-٢].

والقلم الثانى: قلم الوحى: وهو الذى يكتب به وحى الله إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم، والأقلام كلها خدم لأقلامهم. وقد رفع النبى ﷺ ليلة أسرى به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هى التى تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التى يدبر بها أمر العالم العلوى والسفلى.

قوله: «**فلو اجتمع الخلق كلهم على شئ كتبه الله تعالى أنه كائن، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم على شئ كتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن؛ ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه. جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

ش: تقدم حديث جابر عن رسول الله ﷺ، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما يستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبى ﷺ يوما، فقال: «**يا**

(١) سبق تخريجه (١/٢٥٨).

غلام ألا أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام، وجفت الصحف» (١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

وفى رواية غير الترمذى: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**» (٢).

وقد جاءت «الأقلام» فى هذه الأحاديث وغيرها مجموعة، فدل ذلك على أن للمقادير أقلاماً غير القلم الأول، الذى تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ.

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٢٥١٦]، وأحمد (١/٢٩٣)، وأبو يعلي [٢٥٥٦]، والطبراني في «الكبير» [١٢٩٨٨]، من طريق الليث بن سعد، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس ﷺ به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير قيس بن الحجاج فإنه صدوق كما في «التقريب».
ورواه أحمد (١/٣٠٣)، من طريق يحيي بن إسحق، عن ابن لهيعة، عن نافع بن يزيد، عن قيس به. وفيه ابن لهيعة، ولكنه توبع أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/٥٣٠)، والطبراني في «الكبير» [١٢٩٨٩]، من طريق أبي صدقة القراطيسي محمد بن عبد الأعلي، عن نافع بن يزيد به. وأبو صدقة لم أجد له ترجمة.
والحديث صحيح بمجموع طرقه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وقال ابن رجب في «جامع العلوم» (ص: ١٧٤): طريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة. اهـ.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (١/٣٠٧)، والبيهقي في«الشعب» [١٠٤٣]، من حديث ابن عباس ﷺ، وهو إحدي طرق الحديث السابق.

والذى دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة، وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره.

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذى تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثانى: حين خلق آدم عليه السلام، وهو قلم عام أيضاً، ولكن لبنى آدم، ورد فى هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بنى آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين فى بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد. كما ورد ذلك فى الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذى بأيدى الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك فى الكتاب والسنة.

وإذا علم العبد أن كلاً من عند الله، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ [البقرة: ٤١]. ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [النور: ٥٢]. ﴿**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ [المدثر: ٥٦]. ونظائر هذا المعنى فى القرآن كثيرة، ولابد لكل عبد أن يتقى أشياء، فإنه لا يعيش وحده، ولو كان مَلكاً مطاعاً فلابد أن يتقى أشياء يراعى بها رعيته. فحينئذ فلابد لكل إنسان أن يتقى، فإن لم يتق الله اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حبهم

كلهم وبغضهم، بل الذى يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضاؤهم كلهم، كما قال الشافعي رضي الله عنه: رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذى يصلحك فالزمه، ودع ما سواه فلا تعانه. فإرضاء الخلق لا مقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور.

وأيضاً فالمخلوق لا يغنى عنه من الله شيئاً، فإذا اتقى العبد ربه كفاه مؤنة الناس. كما كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنهما، روى مرفوعاً وروى موقوفاً عليها: **«من أرضى الله بسُخْطِ الناس، رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسُخْطَ الله، عاد حامده من الناس ذاماً»** (١). فمن أرضى الله كفاه مؤنة الناس ورضى عنه، ثم فيما بعد يرضون، إذ العاقبة للتقوى، ويحبه الله فيحبه الناس. كما فى «الصحيحين» عن النبى ﷺ أنه قال: **«إذا أحب الله العبد نادى: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل فى السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»** (٢). وقال فى البغض مثل ذلك.

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٢٤١٤]، من طريق عبد الله بن المبارك، عن عبد الوهاب بن الورد، عن رجل من أهل المدينة، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً به.
ورجاله ثقات، لولا الرجل الذي لم يسم. ورواه ابن حبان [٢٧٦]، من طريق عثمان بن واقد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً به. وإسناده حسن رجاله ثقات غير عثمان بن واقد فإنه صدوق ربما وهم كما في «التقريب»، ورواه عبد بن حميد [١٥٢٤]، وابن حبان [٢٧٧]، من طريق عثمان بن عمر، عن شعبة، عن واقد بن محمد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً به. وإسناده صحيح رجاله ثقات، رجال الشيخين. ورواه أحمد في «الزهد» (ص: ١٦٤) عن أبي داود، عن شعبة، عن واقد بن محمد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً وإسناده صحيح رجاله ثقات.
والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) رواه البخاري [٣٢٠٩]، ومسلم [٢٦٣٧]، والترمذي [٣١٦١]، والنسائي في =

فـقـد بيَّن أنه لابد لكل مـخلوق من أن يتـقى إمـا المخلوق، وإمـا الخالق. وتقوى المخلوق ضررها راجح على نفـعهـا من وجوه كـثيـرة، وتقوى الله هى التى يحصل بها سعادة الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهل التقـوى، وهو أيضاً أهل المغفرة، فإنه هو الذى يغفر الذنوب، لا يقـدر مخلوق على أن يغفر الذنوب ويجير من عذابها غيره، وهو الذى يجير ولا يجار عليه. قال بعض السلف: ما احتاج تقى قط، لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢ـ ٣]، فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجاً مما يضيق على الناس وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دل على أن فى التقوى خللاً، فليستغفر الله وليتب إليه ثم قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣]، أى: فهو كافيه، لا يحوجه إلى غيره.

وقـد ظن بعض الناس أن التـوكل ينافى الاكـتـسـاب وتعـاطى الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب. وهذا فاسد، فإن الاكتساب: منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، كما قد عرف فى موضعه. وقد كان النبى ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشى فى الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿**مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٧]. ولهذا نجد كثيراً ممن يرى الاكتساب ينافى التوكل يرزقون على يد من يعطيهم، إما صدقة وإما هدية، وقد يكون ذلك من مكَّاس، أو والى شرطة، أو نحو ذلك، وهذا مبسوط فى موضعه، لا

= «الكبري» [٧٧٤٧]، وأحمد (٢/ ٢٦٧، ٤١٣)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٥٩١)، وابن حبان [٣٦٤]، من حديث أبي هريرة ﷺ.

يسعه هذا المختصر. وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأقوال التي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأما قوله تعالى: ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [الرحمن: ٢٩]؛ قال البغوى. قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً. قال المفسرون: من شأنه أنه يحيى ويميت، ويرزق، ويعز قوماً ويذل آخرين، ويشفى مريضاً، ويفك عانياً، ويفرج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطى سائلاً، ويغفر ذنباً، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء.

قوله: «**وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه**».

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل:

ما قضى الله كائن لا محاله ... والشقى الجهول من لام حاله

والقائل الآخر:

اقنع بما ترزق ياذا الفتى ... فليس ينسى ربنا نمله

إن أقبل الدهر فقم قائماً ... وإن تولى مدبراً نم له

قوله: «**وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغيّر، ولا محوّل، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه**».

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**»[1]. فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها، قال تعالى: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا، كفروا. فالله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه، فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

وإذا قيل: فيلزم أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله؛ لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله.

قيل: هذه مغلطة، وذلك أن مجرد قدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٩٣).

لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع، ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شئ يستلزم تغيير العلم، بل أى شئ وقع كان هو المعلوم، والعبد الذى لم يفعل لم يأت بما يغير العلم، بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمع عدم وقوعه يعلم الله أنه لايقع فلو قدر العبد على وقوعه قدر على تغيير العلم؟.

قيل: ليس الأمر كذلك، بل العبد يقدر على وقوعه وهو لم يوقعه ولو أوقعه لم يكن المعلوم إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع لم يكن المعلوم إلا وقوعه، وهؤلاء فرضوا وقوعه مع العلم بعدم وقوعه، وهو فرض محال. وذلك بمنزلة من يقول: افرض وقوعه مع عدم وقوعه، وهو جمع بين النقيضين.

فإن قيل: فإذا كان وقوعه مع علم الرب عدم وقوعه محالاً لم يكن مقدوراً؟ قيل: لفظ المحال مجمل، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له ولا لعجزه عنه ولا لامتناعه فى نفسه، بل هو ممكن مقدور مستطاع، ولكن إذا وقع كان الله عالماً بأنه سيقع، وإذا لم يقع كان عالماً بأنه لا يقع، فإذا فرض وقوعه مع انتفاء لازم الوقوع صار محالاً من جهة إثبات الملزوم بدون لازمه، وكل الأشياء بهذا الاعتبار هى محال.

ومما يلزم هؤلاء: أن لا يبقى أحد قادرا على شئ لا الرب، ولا الخلق، فإن الرب إذا علم من نفسه أنه سيفعل كذا لا يلزم من علمه ذلك انتفاء قدرته على تركه، وكذلك إذا علم من نفسه أنه لا يفعله لا

يلزم منه انتفاء قدرته على فعله، فكذلك ما قدره من أفعال عباده. والله تعالى أعلم.

قوله: «**وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى فى كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾** [الفرقان: ٢]. **وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾** [الأحزاب: ٣٨]».

ش: الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها. قال ﷺ فى جواب السائل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» وقال ﷺ فى آخر الحديث: «**يا عمر أتدرى من السائل؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم**» [1] رواه مسلم.

قوله: «والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته». أى: لا يتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقاً غير الله فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فعله، ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة، وأحاديثهم فى «السنن»:

روى أبو داود عن ابن عمر، عن النبى ﷺ، قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**» [2].

---

(١) رواه مسلم [٨]، وأبو دواد [٤٦٩٥]، والترمذي [٢٦١٠]، والنسائي (٨/٨٨)، وابن ماجه [٦٣]، وأحمد (١/٢٨، ٥١)، من حديث عمر رضي الله عنه.
ورواه البخاري [٥٠، ٤٧٧٧]، ومسلم [٩]، والنسائي (٨/٩٠)، وابن ماجه [٦٤]، وأحمد (٢/٤٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٢) **حسن**. رواه أبو داود [٤٦٩١]، ومن طريقه الحاكم (١/٨٥)، عن موسي بن =

وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الامة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»** [(١)].

وروى أبو داود أيضاً عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبى ﷺ، قال: **«لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم»** [(٢)].

= إسماعيل، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبي حازم، عن ابن عمر ﷺ به.
ورجاله ثقات، رجال الشيخين إلا أنه منقطع أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، كما قال المزيّ في «تهذيب الكمال»، والمنذري في «مختصر السنن» (٧/٥٨). قال الحاكم: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر. اهـ.
ورواه أحمد (٢/٨٦)، عن أنس بن عياض عن عمر بن عبد الله مولي غفرة عن ابن عمر ﷺ به. وإسناده ضعيف فيه عمر مولي غفرة وهو ضعيف كثير الإرسال كما في «التقريب» ورواه الطبراني في «الصغير» (٢/١٤)، من طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، عن الحكم بن سعيد المديني، عن جعيد بن عبد الرحمن، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ به. وإسناده ضعيف فيه الحكم بن سعيد، وهو منكر الحديث كما قال البخاري.
والحديث حسن بمجموع طرقه كما قال العلائي (فيض القدير - ٥/٢٨٣) ورمز له السيوطي بالحسن في «الجامع الصغير».

(١) **إسناده ضعيف**. رواه أبو داود [٤٦٩٢]، وأحمد (٥/٤٠٦)، والبيهقي (١٠/٢٠٣)، من طريق سفيان، عن عمر بن محمد، عن مولي غفرة، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة ﷺ به.
وإسناده ضعيف، فيه عمر بن عبد الله مولي غفرة، وهو ضعيف كثير الإرسال كما في «التقريب»، وأشار ابن القيم في «تهذيب السنن» (٧/٦٠) إلي تضعيفه.

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه أبو داود [٤٧١٠، ٤٧٢٠]، وأحمد (١/٣٠)، وابن حبان [٧٩]، والحاكم (١/٨٥)، والبيهقي (١٠/٢٠٤)، من طريق عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيي بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة، عن عمر بن الخطاب ﷺ به.
وإسناده ضعيف، فيه حكيم بن شريك الهذلي، وهو مجهول كما في «التقريب»، =

وروى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من بنى آدم ليس لهما فى الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»**[1].

لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه»[2]، وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم وما أظهره من علمه بخطابه وكتابه مقادير الخلائق. وقد ضل فى هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم، ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل فى التكذيب بالقدر.

وأما قدرة الله على كل شئ فهو الذى يكذب به القدرية جملة،

= وسكت عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢٠٥)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١٥).

(١) **ضعيف**. رواه الترمذي [٢١٤٩]، وابن ماجه [٦٢]، وعبد بن حميد [٥٧٩]، من طريق نزار بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وإسناده ضعيف، فيه نزار بن حيان، وهو ضعيف كما في «التقريب».
ورواه الترمذي [٢١٤٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٩٥١]، والطبراني في «الكبير» [١١٦٨٢]، من طريق سلام بن أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده ضعيف أيضاً فيه سلام بن أبي عمرة، وهو ضعيف كما في «التقريب».
والحديث ضعفه الحافظ في أجوبته عن أحاديث المشكاة. (مشكاة المصابيح - ٣/ ١٧٧٨).

(٢) **ضعيف**. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٢٥، ٩٢٨]، واللالكائي في «السنة» [١١١٢]، من طريق سفيان، عن عمر بن محمد، عن رجل، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وإسناده ضعيف لجهالة الرجل الذي لم يسم.
ورواه ابن بطة في «القدر» [١٦١٨]، من طريق عبد الله بن زاذان، عن عمر بن محمد بن زيد، عن إسماعيل بن رافع، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده ضعيف فيه عبد الله بن زاذان لم أجد له ترجمة، وإسماعيل بن رافع ضعيف الحفظ كما في «التقريب»، ولم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما والحديث قد سبق تخريجه (١/ ٢٦١).

حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد فأخرجوها عن قدرته وخلقه.

والقدر الذى لا ريب فى دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذى جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع: هو ما قدره الله من مقادير العباد، وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة فى ذم القدرية يعنى به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف: أخبرهم أنى منهم برئ وأنهم منى برآء [1].

والقدر الذى هو التقدير المطابق للعلم: يتضمن أصولاً عظيمة:

أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفى ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.

الثانى: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هى صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شئ قدراً، قال تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ [الفرقان: ٢]. فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشئ فى نفسه، بأن يجعل له قدراً وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذى يخصه فى كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ فى العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات. فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً، فيقتضى أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ١٥).

علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه إذا كان يعلم عباده بذلك فكيف لا يعلمه هو؟.

الرابع: أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته.

الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه.

قوله: «**فويل لمن ضاع له في القدر قلباً سقيماً - وفي نسخة: فويل لمن صار قلبه في القدر قلباً سقيماً - لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيما، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً**».

ش: القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن. قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٢]. أي: كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان. فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود ﵁: «هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر» [١].

---

(١) **إسناده صحيح**. رواه الطبراني في «الكبير» [٨٥٦٤]، عن علي بن عبد العزيز، عن أبي نعيم، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء عتريس بن عرقوب إلي عبد الله بن مسعود ﵁ - فذكره.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، سوي شيخ الطبراني علي بن عبد العزيز، وهو أبو الحسن البغوي فإنه ثقة إمام حافظ.
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٧٥): رجاله رجال الصحيح. اهـ.

وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

ومرض القلب نوعان، كما تقدم: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤهما مرض الشبهة، وأردأ الشبه ما كان من أمر القدر. وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يعرف به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته و:

.... مـــا لجـــرح بميت إيلام [1]

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شئ على النفس، وليس له أنفع منه.

وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها ولاسيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي أسوة بهم.

---

(١) هو عجز بيت ضمن قصيدة للمتنبي يمدح فيها علي بن أحمد الخرساني، وصدره
من يهن يســـهل الهـــوان عليـــه
(ديوان المتنبي - ٤ / ٩٢).

وهذه حال أكثر الخلق، وهى التى أهلكتهم. فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول: ﴿**الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩].

وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة [١] فى كتاب «الحوادث والبدع»: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

وعن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال: «السنة والذى لا إله إلا هو بين الغالى والجافى، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقى، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف فى إترافهم، ولا مع أهل البدع فى بدعتهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك فكونوا».

وعلامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة، إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع، إلى دوائه الضار.

فها هنا أربعة أشياء: غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك.

---

(١) هو الحافظ، العلامة، المجتهد، ذو الفنون، شهاب الدين أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسيّ، ثم الدمشقي، الشافعي، المقرئ، النحوي، ولد سنة (٥٩٩ هـ)، وتوفي سنة (٦٦٥ هـ). (تذكرة الحفاظ - ٤/١٤٦٠ - ١٤٦١).

فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافى، على الضار المؤذى، والقلب المريض بضد ذلك.

وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء فى غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين، وأضل الضالين، فإن الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٨٢]. و«من» فى قوله: ﴿**مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض. وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوى به، ووضعه على دائه بصدق إيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه: لم يقاوم الداء أبدا. وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطَّعها؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحِمْية منه، لمن رزقه الله فهماً فى كتابه.

وقوله: «لقد التمس بوهمه فى فحص الغيب سراً كتيما». أى: طلب بوهمه فى البحث عن الغيب سراً مكتوما، إذ القدر سر الله فى خلقه، فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب. وقد قال تعالى: ﴿**عَالِمُ**

الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] إلى آخر السورة.

وقوله: «وعاد بما قال فيه»، أى: فى القدر: «أفاكاً»: كذاباً «أثيماً» أى: مأثوماً.

وقوله: «**والعرش والكرسى حق**».

ش: كما بيَّن تعالى فى كتابه، قال تعالى: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ [البروج: ١٥]. ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ**﴾ [غافر: ١٥]. ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]. ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف: ٥٤]. في غير ما آية من القرآن: ﴿**لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: ١١٦]. ﴿**اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [النمل: ٢٦]. ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ [غافر: ٧]. ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٧]. ﴿**وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ [الزمر: ٧٥].

وفى دعاء الكرب المروى فى «الصحيح»: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**»[١].

وروى الإمام أحمد فى حديث الأوعال عن العباس بن عبد المطلب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟**» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «**بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل**

(١) رواه البخاري [٦٣٤٥، ٦٣٤٦]، ومسلم [٢٧٣٠]، والترمذي [٣٤٣٥]، والنسائي في «الكبرى» [٧٦٧٤]، وابن ماجه [٣٨٨٣]، وأحمد (١/٢٢٨، ٢٥٤)، من حديث ابن عباس ﷺ.

سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم شيء» [1] ورواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجة.

وروى أبو داود وغيره، بسنده إلى رسول الله ﷺ، من حديث الأطيط، أنه ﷺ قال: «**إن عرشه على سمواته كهكذا، وقال بأصابعه، مثل القبة**» [2]. الحديث.

وفى «صحيح» البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، وفوقه عرش**

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (١/٢٠٦)، وأبو يعلي [٦٧١٣]، والحاكم (٢/٣٧٨، ٤١٢)، من طريق عبد الرزاق، عن يحيي بن العلاء، عن عمه شعيب بن خالد، عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن العباس رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف، فيه يحيي بن العلاء، رمي بالوضع كما في «التقريب». ورواه أبو داود [٤٧٢٣]، والترمذي [٣٣٢٠]، وابن ماجه [١٩٣]، وأحمد (١/٢٠٧)، من طريق سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس رضي الله عنه بلفظ: «**هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض**» قالوا: لا ندري، قال: «**إن بعد ما بينهما إما واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة**» ـ الحديث. وإسناده ضعيف، عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس، كما قال البخاري في «التاريخ» (٥/١٥٩)، وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٤٦٩): فيه جهالة. اهـ.

(٢) **ضعيف**. رواه أبو داود [٤٧٢٦]، وابن خزيمة في «التوحيد» [٦٤٧]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٥٧٦]، من طريق وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن محمد بن إسحق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده جبير بن مطعم رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف محمد بن إسحق صدوق يدلس، وقد عنعنه. وأشار البيهقي إلي تضعيف الحديث في «الأسماء والصفات» (ص: ٤١٨)، وضعفه الذهبي في «العلو» (ص: ٣٩)، والمنذري في «مختصر السنن» (٧/٩٨).

الرحمن»[1] ويروى «وفوقه» بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء، أى: وسقفه.

وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع. وهذا ليس بصحيح؛ لأنه قد ثبت فى الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: «**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور**»[2].

والعرش فى اللغة: عبارة عن السرير الذى للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ [النمل: ٢٣]. وليس هو فلكاً ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات. فمن شعر أمية ابن أبى الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا فى السماء أمسى كبيراً

بالبناء العالى الذى بهر النا ... س وسوَّى فوق السماء سريراً

شرجعا لا يناله بصر العـ ... ـين ترى حوله الملائك صوراً

الصور هنا: جمع: أصور، وهو: المائل العنق لنظره إلى العلو

---

(١) رواه البخاري [٢٧٩٠، ٧٤٢٣]، وأحمد (٢/ ٣٣٥، ٣٣٩)، وابن حبان [٤٦١١]، والحاكم (١/ ٨٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «**فإنه أوسط الجنة، وأعلي الجنة، وفوقه عرش الرحمن**».

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٢٧).

والشرجع: هو العالى المنيف، والسرير: هو العرش فى اللغة.

ومن شعر عبد الله بن رواحة ﷺ الذى عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا [1]

ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة.

وروى أبو داود عن النبى ﷺ أنه قال: «**أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**» [2] ورواه ابن أبى حاتم ولفظه: «**مخفق الطير سبعمائة عام**».

---

(١) **ضعيف**. رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (جزء عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد/ ٣٤٠)، من طريق محمد بن حرب، عن محمد بن عباد، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون قال: بلغنا أن عبد الله بن رواحة - فذكره.
وإسناده ضعيف، لانقطاعه عبد العزيز الماجشون لم يدرك عبد الله بن رواحة، ومحمد ابن حرب،و محمد بن عباد لم أجد لهما ترجمة. وقال الذهبي في «العلو» (ص: ٤٢): روي من وجوه مرسلة منها يحيي بن أيوب، ثنا عمارة بن غزية، عن قدامة بن محمد بن إبراهيم المحاطبي - فذكره، ثم قال: فهو منقطع. اهـ.

(٢) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٧٢٧]، والطبراني في «الأوسط» [١٧٠٩، ٤٤٢١]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٤٦٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٣٩٨)، من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله، عن أبيه، عن إبراهيم بن طهمان، عن موسي بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله ﷺ به.
وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده الذهبي في «العلو» (ص: ٧٨)، وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٦٥): إسناده علي شرط الصحيح. اهـ.

وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٧]. وقوله: ﴿ **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ﴾ [هود: ٧]. أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى ﷺ آخذاً بقائمة من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدرى ما يقول؟!.

وأما الكرسى، فقال تعالى: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. روى ابن أبى شيبة فى كتاب «صفة العرش» والحاكم فى «مستدركه» وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، فى قوله تعالى: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أنه قال: «الكرسى موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى» [١]، وقد روى مرفوعا والصواب أنه موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال السدى: «السماوات والأرض فى جوف الكرسى بين يدى

---

(١) **صحيح**. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٨٦]، وابن خزيمة في «التوحيد» [١٥٤، ١٥٥]، والحاكم (٢ / ٢٨٢)، والطبراني في «الكبير» [١٢٤٠٤]، والبيهقي في «الأسماء» (ص: ٣٥٤)، من طريق سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، سوي عمار الدهني روي له مسلم، وصححه الحاكم علي شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
والحديث روي مرفوعاً. أخرجه ابن منده في «الرد علي الجهمية» [١٥]، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩ / ٢٥١). قال البيهقي: والخبر موقوف، لا يصح رفعه إلي النبي ﷺ. اهـ. وقال ابن كثير في «التفسير» (١ / ٣١٠): لا يصح. اهـ. يعني رفعه.

العرش».

وقال ابن جرير: قال أبو ذر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض»** [(١)].

وقيل: كرسيه علمه، وينسب إلى ابن عباس ﷺ [(٢)]. والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبى شيبة، كما تقدم. ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن. والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل فى العرش. وإنما هو كما قال غير واحد من السلف: بين يدى العرش كالمرقاة إليه.

قوله: «**وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شئ وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه**».

---

(١) **إسناده ضعيف**. رواه االطبري في «التفسير» (٣/١٠) عن يونس، عن ابن وهب، عن ابن زيد، عن أبيه، عن أبي ذر ﷺ به.
ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، ابن زيد هو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، وأبوه محمد بن زيد لم أجد من أثبت سماعه من أبي ذر ﷺ.
ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٤٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٦٧)، وابن عدي في «الكامل» (٧/٢٦٩٩)، من طريق يحيي بن سعيد السعدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر ﷺ به. وإسناده ضعيف فيه يحيي بن سعيد السعدي، وهو ضعيف كما قال العقيلي، وابن حبان، وقال ابن عدي: هذا حديث منكر من هذا الطريق. اهـ.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» [٢٥٩٩]، وابن منده في «الرد علي الجهمية» [١٦] من طريق مطرف بن طريف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ به.
ورجاله ثقات، سوي جعفر بن أبي المغيرة، فإنه صدوق يهم كما في «التقريب»، ووثقه ابن حبان، وابن شاهين، وقال الذهبي في «الميزان» (١/٤١٧): وكان صدوقاً. اهـ.
قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوي» (٦/٥٨٤): وقد نقل بعضهم أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف. اهـ.

ش: أما قوله: «وهو مستغن عن العرش وما دونه»، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا؛ لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه العرش؛ لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطا به، حاملاً له ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه. فانظر إلى السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونفاة العلو، أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٣] وغيرها: كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول، ويروى هذا الجواب عن أم سلمة ﵂ موقوفًا ومرفوعًا إلى النبي ﷺ (١).

---

(١) **ضعيف**. رواه اللالكائي في «السنة» [٦٦٣]، وابن قدامة في «إثبات العلو» [٨٢]، =

وأما قوله: «محيط بكل شئ وفوقه»، وفى بعض النسخ: «محيط بكل شئ فوقه» بحذف الواو من قوله: فوقه، والنسخة الأولى هى الصحيحة ومعناها: أنه تعالى محيط بكل شئ وفوق كل شيء، ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شئ فوق العرش. وهذا ـ والله أعلم ـ إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهواً، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصداً للفساد، وإنكاراً لصفة الفوقية. وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شئ من المخلوقات، فلا يبقى لقوله: محيط بكل شئ فوق العرش، والحالة هذه معنىً!. إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحاط به، فتعين ثبوت الواو. ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء.

أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ**﴾ [البروج: ٢٠]. ﴿**أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ**﴾ [فصلت: ٥٤]. ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا**﴾ [النساء: ١٢٦]. وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة،

= والذهبي في «العلو» (ص: ٦٥)، والصابوني في «عقيدة السلف» (الرسائل المنيرية ـ ١ / ١١٠)، من طريق أبي كنانة محمد بن أشرس، عن أبي عمير الحنفي، عن قرة بن خالد، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً.

وأبو كنانة ترجم له الذهبي في «الميزان» (٣ / ٤٨٥)، وقال: متهم في الحديث، وتركه أبو عبد الله بن الأخرم الحافظ، وغيره. وقال أيضاً: قال أبو الفضل السليماني: لا بأس به. اهـ. وزاد الحافظ في «اللسان» (٥ / ٨٤): وضعفه الدارقطني. اهـ. قال الذهبي في «العلو»: عن أم سلمة، لا يصح، لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه. اهـ. وقال ابن تيمية في «الفتاوي» (٥ / ٣٦٥): وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً، ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. اهـ.

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد: إحاطة عظمته، وسعة علمه وقدرته. وأنها بالنسبة إلى عظمته كخردلة. كما روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: **«ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم»** [١].

ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو فى الحالين مباين لها عال عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذى لا يحيط بعظمته وصف واصف، فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد له إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يدنى إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره. وفى حديث أبى زرين المشهور الذى رواه عن النبى ﷺ فى رؤية الرب تعالى: فقال له أبو زرين: كيف يسعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: **«سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخليا به، والله أكبر من ذلك، وإذا أفل تبين أنه أعظم وأكبر من كل شئ»** [٢]. فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال.

---

(١) **حسن**. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [١٠٩٠]، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٢٥)، من طريق معاذ بن هشام الدستوائي، عن أبيه، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﷺ به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير عمرو بن مالك فإنه صدوق له أوهام، ومعاذ بن هشام الدستوائي صدوق ربما وهم كما في «التقريب»، وروايته عن أبيه في الصحيحين.

(٢) **حسن**. رواه أبو داود [٤٧٣١]، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٧)، من طريق =

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقال ﷺ في حديث الأوعال المتقدم: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله**»(١). وقد أنشد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شعره المذكور بين يدى النبى ﷺ، وأقره على ما قال: وضحك منه. وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله:

شـــهـــدت بـإذن الله أن مـــحـــمـــداً
رسـول الذى فـوق السـمـاوات من عَلُ

وأن أبـا يحـــيى ويحـــيى كـــلاهـمـــا
له عـــمـل من ربه مـــتـــقـــبـلُ

وأن الذى عـادى اليـهـود ابن مـريم
رسـول أتـى من عند ذى العـرش مـرسلُ

وأن أخـا الأحـقـاف إذ قـام فـيـهـم
يـجـــاهـد فى ذات الإله ويعـــدلُ

= شعبة، ورواه ابن ماجه [١٨٠]، وأحمد (٤ / ١١)، وابن حبان [٦١٤١]، والحاكم (٤ / ٥٦٠)، من طريق حماد بن سلمة كلاهما عن يعلي بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن أبي رزين رضي الله عنه به.

وإسناده حسن، رجاله ثقات غير وكيع بن عدس، فإنه مقبول، كما في «التقريب»، وحسن إسناده الذهبي في «العلو» (ص: ١٩)، ورواه أحمد (٤ / ١٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» [٢٧١]، من طريق عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبد الله، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر أبي رزين في حديث طويل مشهور. وعبد الرحمن بن عياش، ودلهم بن الأسود كلاهما مقبول كما في «التقريب» وذكرهما ابن حبان في الثقات.

والحديث حسن بمجموع طرقه.

(١) سبق تخريجه (١ / ٢٤).

فقال النبى ﷺ : «**وأنا أشهد**» (١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : «**لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى سبقت غضبى**» وفى رواية : «**تغلب غضبى**» (٢) رواه البخارى وغيره .

وروى ابن ماجه عن جابر يرفعه ، قال : «**بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا إليه رؤوسهم ، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾** [يس: ٥٨] . **فينظر إليهم ، وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شئ من النعيم ما داموا ينظرون إليه**» (٣) .

وروى مسلم عن النبى ﷺ فى تفسير قوله تعالى : ﴿**هُوَ الأَوَّلُ**

---

(١) **ضعيف**. رواه أبو يعلي [٢٦٥٣]، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤ / ٣٧١)، من طريق أبي حيان التيمي، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: أنشد حسان ابن ثابت رضي الله عنه النبي ﷺ ـ فذكره بدون البيت الثالث ـ فقال النبي ﷺ : «**وأنا**».
وإسناده ضعيف، لانقطاعه حبيب بن أبي ثابت ثقة كثير الإرسال والتدليس كما في « التقريب »، وعلة الحديث الإرسال كما قال الذهبي في « السير » (٢ / ٥٨)، والهيثمي في « المجمع » (١ / ٢٤)، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤ / ٣٧١)، من طريق عمر بن زياد عن عبد الملك بن عمير به. وزاد البيت الثالث، وقول النبي ﷺ : «**وأنا أشهد**» بعد كل بيت وإسناده ضعيف لانقطاعه عبد الملك بن عمير ثقة من الرابعة كما في « التقريب ».

(٢) رواه البخاري [٧٤٢٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٤]، ومسلم [٢٧٥١]، والنسائي في « الكبري » [٧٧٥١، ٧٧٥٧]، وابن ماجه [١٨٩]، وأحمد (٢ / ٢٥٨، ٢٥٩)، ولفظ مسلم: «**سبقت رحمتي غضبي**».
والرواية الأخرى عند البخاري [٧٤٠٤]، ومسلم [٢٧٥١]، والترمذي [٣٥٤٣]، والنسائي في « الكبري » [٧٧٥٠]، وابن ماجه [٤٢٩٥]، وأحمد (٢ / ٣٥٨، ٤٣٣).

(٣) سبق تخريجه (١ / ١٤٢).

﴿وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] بقوله: **«أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شئ»** (١).

والمراد بالظهور هنا: العلو ومنه قوله تعالى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ**﴾ [الكهف: ٩٧]، أى: يعلوه.

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابى، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس ونهكت الأموال، أو هلكت الأنعام فاستسق لنا، فإنا نستشفع بك إلى الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله ﷺ: **«ويحك أتدرى ما تقول»**؟ وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه، ثم قال: **«ويحك! وإنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك! أتدرى ما الله؟ إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته، وقال بأصابعه، مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد بالراكب»** (٢).

وفى قصة سعد بن معاذ يوم بنى قريظة، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، فقال النبى ﷺ: **«لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات»** (٣). وهو حديث صحيح، أخرجه الأموى

---

(١) سبق تخريجه (١/٦١).

(٢) سبق تخريجه (٢/٢٤).

(٣) **صحيح**. رواه النسائي في «الكبرى» [٥٩٣٩]، والحاكم (٢/١٢٣ - ١٢٤)، =

فى مغازيه، وأصله فى «الصحيحين».

وروى البخارى عن زينب ﵂: «أنها كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله من فوق سبع سماوات»[1].

وعن عمر ﵁: أنه مر بعجوز فاستوقفته، فوقف معها يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، حبست الناس بسبب هذه العجوز؟ فقال: ويلك! أتدرى من هذه؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة التى أنزل الله فيها: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [المجادلة: ١] [2] أخرجه الدارمى.

= والبيهقي (٩/٦٣)، من طريق محمد بن صالح التمار، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص ﵁ به.

ورجاله ثقات، سوي محمد بن صالح، فإنه صدوق يخطئ كما في «التقريب»، ووثقه أحمد كما في «الجرح والتعديل» (٧/٢٨٧)، وأبو داود كما في «تهذيب الكمال»، والعجلي في «الثقات»، وابن حبان في «الثقات»، والحديث صححه الذهبي في «العلو» (ص: ٣٢).

وأصله في «الصحيحين» بدون لفظ: «من فوق سبع سماوات» أخرجه البخاري [٣٠٤٣]، و مسلم [١٧٦٨]، وأحمد (٣/٢٢)، من حديث أبي سعيد ﵁.

(١) رواه البخاري [٧٤٢٠]، والترمذي [٣٢١٣] بهذا اللفظ، ورواه النسائي (٦/٦٥)، وأحمد (٣/٢٢٦) بلفظ: «إن الله أنكحني من السماء» كلهم من حديث أنس ﵁

(٢) **ضعيف**. رواه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد علي الجهمية» (ص: ٢٧٤)، ومن طريقه الذهبي في «العلو» (ص: ٦٣)، عن موسي بن إسماعيل، عن جرير بن حازم، عن أبي يزيد المدني، عن عمر ﵁ به.

وإسناده منقطع بين أبي يزيد، وعمر بن الخطاب ﵁ كما قال ابن كثير في «التفسير» (٤/٣١٩)، والذهبي في «العلو».

ورواه عمر بن شبة في «أخبار المدينة» (٢/٣٤٣)، عن هارون بن عمر، عن علي بن الحسن، عن خليد بن دعلج، عن قتادة، عن عمر ﵁ به، وسمي المرأة خولة بنت =

وروى عكرمة، عن ابن عباس، فى قوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، قال: ولم يستطع أن يقول من فوقهم؛ لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم (١).

ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف، وجد منه إثبات الفوقية مالا ينحصر.

ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق الخلق لم يخلقهم فى ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، لكان متصفا بضد ذلك؛ لأن القابل للشئ لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق؛ لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده.

فإن قيل: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها. قيل: لو لم يكن قابلا للعلو والفوقية، لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، وأنه موجود فى الخارج، ليس وجوده ذهنيا فقط، بل وجوده خارج الأذهان

= حكيم امرأة عبادة، قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (هامش الإصابة - ١٢/٣٠٢): وهو وهم، وخليد ضعيف سئ الحفظ، وإنما هي امرأة أوس بن الصامت علي اختلاف في اسم أبيها. اهـ.

(١) **ضعيف**. رواه الطبري في «التفسير» (٨/١٣٧)، من طريق حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وإسناده ضعيف، فيه حفص بن عمر العدني، وهو ضعيف كما في «التقريب»، ورواه اللالكائي في «السنة» [٦٦١]، من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه به.
وإسناده ضعيف فيه إبراهيم بن الحكم، وهو ضعيف وصل مراسيل كما في «التقريب».

قطعا، وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك، فهو: إما داخل العالم وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما هو أجلى وأظهر الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب، فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أظهر منه، وأوضح وأبين. وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال، لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا، ولا يخالف كتابا، ولا سنة، ولا إجماعا، فنفى حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذى لا تأتي به شريعة أصلا، فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله إلا بذلك؟! فكيف إذا انضم الى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التى تقرب من عشرين نوعاً:

أحدهما: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة: «من» المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل: ٥٠].

الثانى: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج: ٤]. وقوله ﷺ: «**فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم**»[١].

الرابع: التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ**

---

(١) رواه البخاري [٥٥٥]، ومسلم [٦٣٢]، والنسائي (١/ ١٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٧، ٣١٢)، ومالك (ص: ١٢٣)، وأبو يعلي [٦٣٣٠]، وابن حبان [١٧٣٦]، والبيهقي (١/ ٤٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقوله: ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ [آل عمران: ٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ [سبأ: ٢٣]. ﴿ **إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الشورى: ٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [الزمر: ١]. ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [غافر: ٢]. ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [فصلت: ٢]. ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ [النحل: ١٠٢]. ﴿ **حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾ [الدخان: ١-٥].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ** ﴾ [الأنبياء: ١٩]. ففرق بين: «من له» عموما وبين: «من عنده» من مماليكه وعبيده خصوصا. وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: «**أنه عنده فوق العرش**»[1].

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من

(١) سبق تخريجه (٢/٣٣).

أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون «فى» بمعنى «على»، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون فى ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة: «على» مختصا بالعرش، الذى هو أعلى المخلوقات مصاحبا فى الأكثر لأداة: «ثم» الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادى عشر: التصريح برفع الأيدى إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: **«إن الله يستحى من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً»** [1] والقول بأن **العلو** قبلة الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع، كما يأتى إن شاء الله تعالى.

الثانى عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم به وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، ولما كان بالمجمع الأعظم الذى لم يجتمع لأحد مثله، فى اليوم الأعظم، فى المكان

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [١٤٨٨]، والترمذي [٣٥٥٦]، وابن ماجه [٣٨٦٥]، وأحمد (٥/٤٣٨)، وابن حبان [٨٧٦]، والحاكم (١/٤٩٧)، من طريق جعفر بن ميمون، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً به.
ورجاله ثقات غير جعفر بن ميمون فإنه صدوق يخطئ كما في «التقريب»، وتابعه سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان موقوفا، أخرجه أحمد (٥/٤٣٨)، والحاكم (١/٤٩٧)، قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح علي شرط الشيخين. اهـ. وقال الحافظ في «الفتح» (١١/١٤٣): سنده جيد. اهـ.

الأعظم، قال لهم: «**أنتم مسؤولون عنى، فماذا أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلا: «**اللهم اشهد**» (١) فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهى مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: «**اللهم اشهد**» ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين. والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التصريح بلفظ: «الأين» كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلا بوجه: «**أين الله**» (٢) فى غير موضع.

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال: إن ربه فى السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات؛ فقال: ﴿**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. فمن نفى

---

(١) رواه مسلم [١٢١٨]، وأبو داود [١٩٠٥]، والنسائي في «الكبري» [٤٠٠١]، وابن ماجه [٣٠٧٤]، وابن خزيمة [٢٨٠٩]، وابن حبان [٣٩٤٤]، وعبد بن حميد [١١٣٥]، وابن الجارود [٤٦٩]، وهو حديث جابر رضي الله عنه المشهور في حجة النبي ﷺ.

(٢) سبق تخريجه (١/١٦١). ضمن حديث: «**إن صلاتنا لا يصح فيها شئ من كلام الناس**».

العلو من الجهمية فهو فرعونى، ومن أثبته فهو موسوى محمدى.

السابع عشر: إخباره أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه، ثم يعود إلى موسى عدة مرار.

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبى ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: «**بينا أهل الجنة فى نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى:** ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾ [يس: ٥٨]. **ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم فى ديارهم**»[1] رواه الإمام أحمد فى «المسند» وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه.

ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية؛ ولهذا طرد الجهمية النفيين، وصدق أهل السنة بالأمرين معاً، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذباً بين ذلك، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!. وكلام السلف فى إثبات صفة العلو كثير جداً: فمنه: ما روى شيخ الإسلام أبو اسماعيل الأنصارى فى كتابه «الفاروق»، بسنده إلى أبى مطيع البلخى: أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف

---

(١) سبق تخريجه (١/١٤٢).

ربى فى السماء أم فى الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سماواته، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدرى العرش فى السماء أم فى الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنه فى السماء، فمن أنكر أنه فى السماء فقد كفر. وزاد غيره: لأن الله فى أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى، لا من أسفل. انتهى.

ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبى حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له فى كثير من اعتقاداته، وقد ينسب إلى مالك والشافعى وأحمد من يخالفهم فى بعض اعتقاداتهم. وقصة أبى يوسف فى استتابته لبشر المريسى، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش مشهور رواها عبد الرحمن بن أبى حاتم وغيره.

ومن تأول «فوق» بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة. فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده، وخير من عرشه: من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من فلان اليهودى، والسماء فوق الأرض!! وليس فى ذلك تمجيد، ولا تعظيم، ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه، وأهجنه! فكيف يليق بكلام الله، الذى لو اجتمع الإنس، والجن على أن يأتوا بمثله، لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا!! بل فى ذلك تنقص، كما

قيل في المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره
إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ولو قال قائل: الجوهر فوق قشر البصل وقشر السمك! لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذى بينهما، فإن التفاوت الذى بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم بخلاف ما إذا كان المقام يقتضى ذلك، بأن كان احتجاجا على مبطل، وكما فى قول يوسف الصديق ﷺ: ﴿ **أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ [يوسف: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿ **آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿ **وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ [طه: ٧٣].

وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية فى ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر وفوقية القدر، وفوقية الذات. ومن أثبت البعض، ونفى البعض، فقد تنقص.

وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه. فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان، فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ: «المكانة والمنزلة» يستعمل فى المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ «المكان والمنزل» فى الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك فى قلوبنا منزلة، منزلة فلان فى قلوبنا وفى نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء فى الأثر: «إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه» [1] فقوله: «منزلة الله فى قلبه»: هو ما يكون فى

(١) **ضعيف**. رواه أبو يعلي [١٨٦٥، ٢١٣٨]، والبزار [كشف الأستار - ٣٠٦٤]، =

قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن «المكانة والمنزلة»: تأنيث المكان والمنزل والمؤنث فرع على المذكر فى اللفظ والمعنى، وتابع له، فعلو المثل الذى يكون فى الذهن يتبع علو الحقيقة إذا كان مطابقا كان حقا، وإلا كان باطلا.

فإن قيل: المراد علوه فى القلوب، وأنه أعلى فى القلوب من كل شىء.

قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه فى نفسه على كل شىء، فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شىء، كان علوه فى القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه:

أحدها: العلم البديهى القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً فى الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر.

الثانى: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه فى ذاته أو خارجا عن ذاته، والأول باطل، أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانيا: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً. والثانى يقتضى كون العلم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت

= والحاكم (١/٤٩٤)، والطبراني في «الأوسط» [٢٥٠١] من طريق بشر بن المفضل، عن عمر مولي غفرة، عن أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري، عن جابر رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف فيه عمر بن عبد الله مولي غفرة وهو ضعيف كما في «التقريب»، قال الحاكم: صحيح الإسناد. اهـ. وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: عمر ضعيف. اهـ.

المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضى نفى وجوده بالكلية، لأنه غير معقول، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه والأول باطل فتعين الثانى، فلزمت المبانية.

وأما ثبوته بالفطرة، فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى. وذكر محمد بن طاهر المقدسى [١] أن الشيخ أبا جعفر الهمذانى [٢] حضر مجلس الأستاذ أبى المعالى الجوينى [٣] المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم فى نفى صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد فى قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالى على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرنى الهمذانى حيرنى الهمذانى! أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن

---

(١) هو الإمام الحافظ، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، الجوَّال، الرحال، ذو التصانيف، أبو الفضل بن القيسراني، المقدسيّ. ولد ببيت المقدس سنة (٤٠٨ هـ)، وتوفي سنة (٥٠٧ هـ). (السير ١٩ / ٣٦١، الوافي -٣ / ١٦٧).

(٢) هو الشيخ الإمام الحافظ، الرحال، الزاهد، بقية السلف والأثبات، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله الهَمَذاني، ولد بعد سنة (٤٤٠ هـ)، وتوفي سنة (٥٣١ هـ). (السير- ٢٠ / ١٠١).

(٣) سبق ترجمته (١ / ٨٩).

يتلقوه من المعلمين، يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو.

وقد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بداهته؛ لأنه أنكره جمهور العقلاء، فلو كان بديهيا، لما كان مختلفا فيه بين العقلاء، بل هو قضية وهميةٌ خيالية.

والجواب عن هذا الاعتراض مبسوط في موضعه، ولكن أشير إليه هنا إشارة مختصرة، وهو أن يقال: إن العقل إن قبل قولكم فهو لقولنا أقبل، وإن رد العقل قولنا، فهو لقولكم أعظم رداً، فإن كان قولنا باطلا في العقل، فقولكم أبطل، وإن كان قولكم حقا مقبولا في العقل، فقولنا أولى أن يكون مقبولاً في العقل، فإن دعوى الضرورة مشتركة.

فإنا نقول: نعلم بالضرورة بطلان قولكم، وأنتم تقولون كذلك، فإذا قلتم: تلك الضرورة التي تحكم ببطلان قولنا هي من حكم الوهم لا من حكم العقل؟ قابلناكم بنظير قولكم، وعامة فطر الناس ليسوا منكم ولا منا يوافقون لنا على هذا، فإن كان حكم فطر بني آدم مقبولا ترجحنا عليكم، وإن كان مردودا غير مقبول بطل قولكم بالكلية، فإنكم إنما بنيتم قولكم على ما تدعون أنه مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية وبطلت عقلياتنا أيضا، وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم فنحن مختصون بالسمع دونكم، والعقل مشترك بيننا وبينكم.

فإن قلتم: أكثر العقلاء يقولون بقولنا؟ قيل: ليس الأمر كذلك، فإن الذين يصرحون بأن صانع العالم ليس هو فوق العالم، وليس فوق

العالم شئ موجود، وأنه لا مباين للعالم ولا حال فى العالم، طائفة من النظار، وأول من عرف عنه ذلك فى الإسلام جهم بن صفوان وأتباعه.

واعترض على الدليل الفطرى: أن ذلك إنما لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس فى جهة الأرض، وأجيب عن هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثانى: أن قبلة الدعاء هى قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعى أن يستقبل القبلة، وكان النبى ﷺ يستقبل القبلة فى دعائه فى مواطن كثيرة [1]، فمن قال: إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو إن له قبلتين: إحداهما الكعبة، والأخرى السماء: فقد ابتدع فى الدين، وخالف جماعة المسلمين.

الثالث: إن القبلة: هى ما يستقبله العابد بوجهه، كما تسقبل الكعبة فى الصلاة، والدعاء، والذكر، والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وجهة. والاستقبال خلاف الاستدبار،

---

(١) روي البخاري [١٠١٢، ١٠٢٥]، ومسلم [٨٩٤]، وأبو داود [١١٦١]، والترمذي [٥٥٦]، والنسائي (٣/١٢٣)، وابن ماجه [١٢٦٧]، وأحمد (٤/٣٩)، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج إلي المصلي فاستسقي، فاستقبل القبلة. وفي رواية: فاستقبل القبلة يدعو.
وفي الباب من حديث عمر، وعائشة، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازا، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعى وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذى ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً؛ ولأن القبلة فى الدعاء أمر شرعى تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعى يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك. ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذى يجده الداعى من نفسه أمر فطرى، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر مايفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة.

وأمر التوجه فى الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز فى الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعى، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذ هو تحته. هذا لا يخطر فى قلب ساجد، لكن يحكى عن بشر المريسى أنه سمع وهويقول فى سجوده: سبحان ربى الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيراً. وإن من أفضى به النفى الى هذه الحال لحرى أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف: ٥]. فمن لم

يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان. نسأل الله العفو والعافية.

وقوله: «وقد أعجز عن الإحاطة خلقه» أي: لا يحيطون به علماً ولا رؤية، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة، بل هو سبحانه محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء.

قوله: «**و نقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليما، إيمانا وتصديقا وتسليما**».

ش: قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٤]. الخلة: كمال المحبة، وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم، كما تقدم، وكان أول من ابتدع هذا فى الإسلام هو الجعد بن درهم [١]، فى أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسرى [٢] أمير العراق والمشرق بواسط، خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا،

---

(١) هو مؤدب مروان الحمار، وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسي، وأن ذلك لا يجوز علي الله.
قال المدائني: كان زنديقاً، وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، ولو لم يخبرنا الله أن له يداً، وأن له عيناً، ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب. (السير - ٥/ ٤٣٣).

(٢) هو الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي، أمير العراقين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان.
من حسناته: قتل الجعد بن درهم، ومغيرة الكذاب. توفي سنة (١٢٦ هـ). (السير - ٥/ ٤٢٥).

تقبل الله ضحاياكم، فإنى مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه [١].
وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم، فجزاه الله عن الدين وأهله خيراً.

وأخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان [٢]، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول: «الجهمية». فقتله سلم بن أحوز [٣] أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد [٤]، وظهر قولهم فى أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً؛ لأن الخلة هى كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح منى ولذا سمى الخليل خليلا

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته. ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت فى «الصحيح» عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ قال: **«لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله»** [٥] يعنى نفسه.

---

(١) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٦٩)، واللالكائي في «السنة» (٢/٣١٩)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/٤٣٢).
(٢) سبق ترجمته (١/١٩).
(٣) وهو أيضاً قاتل يحيي بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب (السير ـ ٥/٣٩١).
(٤) سبق ترجمته (١/٢٦١).
(٥) سبق تخريجه (١/١٣٢).

وفى رواية: «**إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[1].

وفى رواية: «**إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**»[2].

فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً، كقوله لمعاذ: «**والله إنى لأحبك**»[3]. وكذلك قوله للأنصار[4]، وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وابنه أسامة حبه، وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قال: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[5].

فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محباً لذاته، لا لشئ آخر؛ إذ المحبوب لغيره هو مؤخر فى الحب عن ذلك

---

(١) سبق تخريجه (١/١٣٣).

(٢) سبق تخريجه (١/١٣٢).

(٣) **صحيح**. رواه أبو داود [١٥٢٢]، والنسائي (٣/٤٥)، وأحمد (٥/٢٤٤)، وابن خزيمة [٧٥١]، وابن حبان [٢٠٢٠]، والحاكم (١/٢٧٣)، من طريق حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين سوي عقبة بن مسلم فإنه ثقة لم يخرج له الشيخان، والحديث صححه النووي في «المجموع» (٣/٤٦٧)، والحافظ في «النتائج» (٢/٢٨١).

(٤) رواه البخاري [٣٧٨٥، ٥١٨٠]، ومسلم [٢٥٠٨]، وأحمد (٣/١٧٥)، من حديث أنس رضي الله عنه وفيه يقول النبي ﷺ للأنصار: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليّ**» قالها ثلاث مرات.

(٥) رواه البخاري [٣٦٦٢، ٤٣٥٨]، ومسلم [٢٣٨٤]، والنسائي في «الكبري» [٨١١٧]، والترمذي [٣٨٨٥]، وأحمد (٤/٢٠٣)، وابن حبان [٦٩٠٠]، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة؛ لتخللها المحب، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب. ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه ليظهر سر الخلة فى تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة فى الإقدام على ذبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة فى الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ فى حقه، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة فى أتباعه إلى يوم القيامة.

وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تقدم، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك فى حديث الإسراء.

وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبى ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ، فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافيين؟.

وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، يضيق هذا المكان عن بسطها.

وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس فى آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبى ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله

وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التى للأنبياء وفيهم إبراهبم لمحمد صلى الله عليهما وسلم، فيحصل له من المزية مالم يحصل لغيره.

وأحسن من هذا: أن النبى محمداً ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: «**كما صليت على آل إبراهيم**» متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، بل هو متناول إبراهيم أيضاً، كما فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٣]. فإبراهيم وعمران دخلا فى آل إبراهيم، وآل عمران، وكما فى قوله تعالى: ﴿**إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ**﴾ [القمر: ٣٤] فإن لوطاً داخل فى آل لوط، وكما فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ**﴾ [البقرة: ٤٩] وقوله: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦] فإن فرعون داخل فى آل فرعون، ولهذا - والله أعلم - أكثر روايات حديث الصلاة على النبى ﷺ إنما فيها «**كما صليت على آل إبراهيم**» (١) وفى كثير منها «**كما صليت على إبراهيم**» (٢) ولم يرد: «**كما**

---

(١) رواه البخاري [٤٧٩٧، ٦٣٥٧]، ومسلم [٤٠٦]، والنسائي (٣/٤٠)، وأحمد (٤/٢٤١، ٢٤٣)، من حديث كعب بن عجرة ﷺ بلفظ: «**كما صليت علي آل إبراهيم**».
وفي الباب من حديث أبي حميد الساعدي ﷺ رواه البخاري [٣٣٦٩، ٦٣٦٠]، ومسلم [٤٠٧].
ومن حديث أبي سعيد الخدري ﷺ رواه البخاري [٤٧٩٨].
ومن حديث عبد الله بن مسعود ﷺ رواه مسلم [٤٠٥]، والنسائي (٣/٣٨).
(٢) رواه البخاري [٤٧٩٨، ٦٣٥٨]، والنسائي (٣/٤٢)، وابن ماجه [٩٠٣]، وأحمد (٣/٤٧)، من حديث أبي سعيد ﷺ.
في الباب من حديث كعب بن عجرة، وطلحة، وأبي حميد الساعدي ﷺ.

صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»[1]، إلا فى قليل من الروايات وما ذلك - والله أعلم - إلا لأن فى قوله ﷺ: «**كما صليت على إبراهيم**»، يدخل آله تبعاً. وفى قوله: «**كما صليت على آل إبراهيم**»، هو داخل فى آل إبراهيم.

وكذلك لما جاء أبو أوفى رضي الله عنه بصدقته إلى النبى ﷺ دعا له النبى ﷺ وقال: «**اللهم صل على آل أبى أوفى**»[2]. فعلى رواية من روى: «**كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم**» لا يدخل فيهم لإفراده بالذكر.

ولما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص:

منها: أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبى إلا من أهل بيته.

ومنها: أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم، فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

ومنها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، كما تقدم ذكره.

---

(١) رواه البخاري [٣٣٧٠]، والنسائي (٣ / ٤٠)، وأحمد (٤ / ٢٤٤)، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.
وروه النسائي (٣ / ٤١)، من حديث طلحة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري [١٤٩٧، ٤١٦٦]، ومسلم [١٠٧٨]، وأبو داود [١٥٩٠]، والنسائي (٥ / ٢٢)، وابن ماجه [١٧٩٦]، وأحمد (٤ / ٣٥٣، ٣٥٥)، وعبد الرزاق [٦٩٥٧]، والطيالسي [٨١٩]، وابن خزيمة [٢٣٤٥]، وابن حبان [٩١٧]، من حديث ابن أبي أوفي رضي الله عنه.

ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إماماً للناس. قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذى جعله قياماً للناس، ومثابة للناس وأمناً، وجعله قبلة لهم وحجاً، فكان ظهور هذا البيت من أهل هذا البيت الأكرمين.

ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت، إلى غير ذلك من الخصائص.

قـــوله: «**ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين**».

ش: هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآيات، وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبريل وسؤاله للنبى ﷺ عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره**

وشره»[1].

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولاكتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه وجودٌ مجرد لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة، ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق، ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله.

وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا تكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول. والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم ما يناله غيره، وقوة النفس؛ ليؤثر بها في هيولى العالم بقلب صورة إلى صورة، وقوة التخييل، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم! وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب

---

(١) سبق تخريجه (٢/١٥).

وتجئ وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها فى الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيباً به وإنكاراً له، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار. كل هذا عندهم أمثال مضروبة؛ لتفهيم العوام، لا حقيقة لها فى الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل. فهذا إيمان هذه الطائفة ـ الذليلة الحقيرة ـ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذه هى أصول الدين الخمسة.

وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التى هدموا بها كثيراً من الدين. فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض، الذى هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التى هى الأعراض على حدوث الموصوف الذى هو الجسم، وتكلموا فى التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيهاً بالصفات الموجودة فى الموصوفات التى هى الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك فى أفعاله التى هى القدر، وسموا ذلك: «العدل»، ثم تكلموا فى النبوة والشرائع، والأمر والنهى، والوعد والوعيد، وهى مسائل الأسماء والأحكام، التى هى المنزلة بين المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد، ثم تكلموا فى إلزام الغير بذلك، الذى هو الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال. فهذه أصولهم الخمسة، التى وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التى بعث بها الرسول.

والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد، والعدل،

والنبوة، والإمامة.

وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول.

وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة ـ لما تضمنتا هذا الأصل ـ لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففى «الصحيحين» عن أبى مسعود عقبة بن عمرو، عن النبى ﷺ، قال: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه**»[1].

وفى «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**بينا جبريل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته**»[2].

وقال أبو طالب المكى[3]: أركان الإيمان سبعة، يعنى هذه الخمسة، والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار. وهذا حق، والأدلة

---

(١) رواه البخاري [٤٠٠٨، ٥٠٠٩]، ومسلم [٨٠٧، ٨٠٨]، وأبو دواد [١٣٩٧]، والترمذي [٢٨٨١]، والنسائي في «الكبري» [٨٠٠٣، ٨٠٠٤]، وابن ماجه [١٣٦٨، ١٣٦٩]، وأحمد (٤/١٢١، ١٢٢)، وابن خزيمة [١١٤١]، وابن حبان [٧٨١].

(٢) رواه مسلم [٨٠٦]، والنسائي (٢/١٠٦)، وابن حبان [٧٧٨]، والحاكم (١/٥٥٨)، والطبراني في «الكبير» [١٢٢٥٥].

(٣) هو الإمام الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، أبو طالب محمد بن عليّ بن عطية، الحارثي، المكي المنشأ، العجمي الأصل، له كتاب «قوت القلوب» مشهور. توفي سنة (٣٨٦ هـ). (السير ـ ١٦/٥٣٦).

عليه ثابتة محكمة قطعية. وقد تقدمت الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

وأما الملائكة، فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ [النازعات: ٥]. ﴿**فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا**﴾ [الذاريات: ٤]. وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة؛ لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا**﴾ ﴿**فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا**﴾ ﴿**وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا**﴾ ﴿**فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا**﴾ ﴿**فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا**﴾ [المرسلات: ١-٥].

ومنهم: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾ ﴿**وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾ ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾ ﴿**فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا**﴾ [النازعات: ١-٤].

ومنهم: ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا**﴾ ﴿**فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا**﴾ ﴿**فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا**﴾

[الصافات: ١-٣]. ومعنى جمع التأنيث فى ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التى مفردها: «فرقة» و«طائفة» و«جماعة».

و منهم: ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التى لا يحصيها إلا الله تعالى.

ولفظ «الملك» يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٨]. ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٠].

فهم عباد له مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: ﴿**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبريل، وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله فى خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده فى أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطَّت

السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف.

وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، وبرائتهم من الذنوب.

وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو، والطهارة والقوة والإخلاص. قال تعالى: ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ**﴾ [آل عمران: ١٨]. ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [غافر: ٧]. ﴿**وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ [الزمر: ٧٥]. ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٦]. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. ﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ**﴾ [فصلت: ٣٨]. ﴿**كِرَامًا كَاتِبِينَ**﴾ [الانفطار: ١١]. ﴿**كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾ [عبس: ١٦]. ﴿**يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين: ٢١]. ﴿**لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الأَعْلَى**﴾ [الصافات: ٨]. وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم؛ فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

وقد تكلم الناس فى المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.

وأتباع الأشعرى على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع فى ذلك قولا، وحكى عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.

وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فصَّل تفصيلاً آخر. ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض. وكنت ترددت فى الكلام على هذه المسألة، لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعنى، و«**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» [1].

و الشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفى ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصداً، فإن الإمام أبا حنيفة رحمه الله وقف فى الجواب عنها على ما ذكره فى «مآل الفتاوى» [2]. فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعدَّ منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء، وهذا هو الحق.

فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن

---

(١) سبق تخريجه (١/٢٧٨).

(٢) وهو كتاب «الملتقط في الفتاوي الحنفية» للإمام ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسيني السمرقندي المتوفي سنة (٥٥٦ هـ). ذكره في «كشف الظنون» (١٨١٣/٢).

نعتقد أى الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات لبين لنا نصاً. وقد قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]. ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم: ٦٤].

وفى «الصحيح»: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء ـ رحمة بكم غير نسيان ـ فلا تسألوا عنها**»[١].

فالسكوت عن الكلام فى هذه المسألة نفياً وإثباتاً ـ والحالة هذه ـ

---

(١) **حسن**. رواه الدارقطني (٤/ ١٨٤)، والحاكم (٤/ ١١٥)، والبيهقي (١٠/ ١٢)، من طريق داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ به.
ورجاله ثقات إلا أنه منقطع كما قال الحافظ في «المطالب العالية» [٣٢٢٣]، مكحول لم يصح له السماع من أبي ثعلبة كما قال ابن رجب في «جامع العلوم» (ص: ٢٦١)، وللحديث شواهد منها ما رواه البزار [كشف الأستار ـ ٢٢٣١]، والحاكم (٢/ ٣٧٥)، والبيهقي (١٠/ ١٢)، من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن أبيه، عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو**» ـ الحديث، وإسناده حسن عاصم بن رجاء صدوق يهم كما في «التقريب»، وقال البزار: إسناده صالح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ.
ومن شواهد الحديث ما رواه أبو داود [٣٨٠٠]، والحاكم (٤/ ١١٥)، من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن محمد بن شريك المكي، عن عمرو بن دينار، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس ﷺ قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله تعالي نبيه، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فما أحله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو وتلا ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً﴾ ـ إلي آخر الآية. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده النووي في «المجموع» (٩/ ٢٧)، وللحديث شاهد ثالث رواه الترمذي [١٧٢٦]، وابن ماجه [٣٣٦٧]، والحاكم (٤/ ١١٥)، من طريق سيف بن هارون، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان ﷺ بنحو حديث أبي الدرداء ﷺ. وإسناده ضعيف فيه سيف بن هارون، وهوضعيف أفحش ابن حبان القول فيه كما في «التقريب».
والحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، وقد حسنه النووي في «الأربعين» (ص: ٧٠)، وأبو بكر السمعاني في «أماليه» (جامع العلوم ـ ص: ٢٦١).

أولى.

ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة هنا متكافئة، على ما أشير إليه، إن شاء الله تعالى. وحملنى على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادماً للنبى ﷺ!. أو: إن بعض الملائكة خدام بنى آدم!! يعنون الملائكة الموكلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب.

والتفضيل - إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس: لا شك فى رده، وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وجد فيها نص، وهو قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [الإسراء: ٥٥] وقد تقدم الكلام فى ذلك عند قول الشيخ: «وسيد المرسلين»، يعنى النبى ﷺ.

والمعتبر رجحان الدليل، ولا يهجر القول لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفاً فيها بين أهل السنة، وقد كان أبو حنيفة رحمه الله يقول أولاً بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله.

والأدلة فى هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا نزاع فى ذلك.

وللشيخ تاج الدين الفزارى [١] رحمه الله مصنف سماه «الإشارة

(١) هو تاج الدين الفركاح، فقيه الشام، شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم =

فى البشارة» فى تفضيل البشر على الملك، قال فى آخره: اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام، التى لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأئمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير من المقاصد؛ ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه من ضعف واضطراب، انتهى.

فمما استدل به على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ وذلك دليل على تفضيله عليهم؛ ولذلك امتنع إبليس واستكبر وقال: ﴿**أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة وانقياداً وطاعة له، وتكريماً لآدم وتعظيماً، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بنى آدم بسجودهم إليها امتثالا لأمر ربهم.

وأما امتناع إبليس، فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه وهذه المقدمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول! وكلتا المقدمتين فاسدة.

= بن سباع، الفزاري، الدمشقي الشافعي، ولد سنة (٦٢٤ هـ) وتوفي سنة (٦٩٠ هـ). (الشذرات).

أما الأولى: فإن التراب يفوق النار فى أكثر صفاته؛ ولهذا خان إبليس عنصره، فأبى واستكبر، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعونة وإفساد ما تصل إليه ومحقه وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عنصره فى التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب المغفرة، فإن من صفات التراب الثبات والسكون والرصانة والتواضع والخضوع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو، وينمو ويبارك فيه، ضد النار.

وأما المقدمة الثانية ـ وهى: أن الفاضل لا يسجد للمفضول: فباطلة، فإن السجود طاعة لله وامتثال لأمره، ولو أمر الله عباده أن يسجدوا لحجر لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجود له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله، قالوا: وقد يكون قوله: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، بعد طرده لامتناعه عن السجود له، لا قبله، فينتفى الاستدلال به.

ومنه: أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل.

وقال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمل العبادة وترك الونى والفتور فيها ما يفى بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة.

ومنه: أن الله تعالى جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه

وبينهم. وهذا الكلام قد اعتل به من قال: إن الملائكة أفضل، واستدلالهم به أقوى، فإن الأنبياء المرسلين، إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي يكون رسولاً إلى الرسول البشري.

ومنه: قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: ٣١]، الآيات.

قال الآخرون: وهذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى، بكونه علم ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر، وتزودا لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحاً، وقال له الخضر: إنك على علم من علم الله، إلى آخر كلامه. ولا الهدهد أفضل من سليمان ﷺ، بكونه أحاط بما لم يحط به سليمان ﷺ علماً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: ٧٥].

قال الآخرون: هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلا لزم تفضيله على محمد ﷺ. فإن قلتم: هو من ذريته؟ فمن ذريته البر والفاجر، بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: «**ابعث من ذريتك بعثاً الى النار**»، «**يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة**» (١) فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط!.

---

(١) رواه البخاري [٣٣٤٨]، ومسلم [٢٢٢]، والنسائي في «الكبرى» [١١٣٣٩]، وأحمد (٣/ ٣٢-٣٣)، وعبد بن حميد (٩١٧]، ورواه الحاكم مختصراً (١/ ٢٩)، جميعاً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالي: يا آدم. فيقول لبيك وسعيديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار**» - الحديث.

ومنه: قول عبد الله بن سلام ﵁: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ» [١] ـ الحديث، فالشأن فى ثبوته وإن صح عنه فالشأن فى ثبوته فى نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات.

ومنه: حديث عبد الله بن عمرو ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له: كن فكان**» [٢] أخرجه الطبرانى.

وأخرجه عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل عن عروة بن رويم، أنه قال: أخبرنى الأنصارى، عن النبى ﷺ: «**أن الملائكة قالوا**»، الحديث، وفيه: «**وينامون ويستريحون، فقال الله تعالى: لا، فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا**» [٣]. والشأن فى ثبوتهما، فإن فى

---

(١) **إسناده صحيح**. رواه البخاري في «التاريخ» (٢ / ٧٦)، والحاكم (٤ / ٥٦٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٥ / ٤٨٥)، من طريق مهدي بن ميمون، عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام ﵁ به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، سوي بشر بن شغاف، وهو ثقة كما في التقريب». وصححه الحاكم.

(٢) **ضعيف**. رواه الطبراني في «الأوسط» [٦١٧٣]، من طريق طلحة بن زيد القرشي، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو ﵄ به.
وإسناده ضعيف جداً، فيه طلحة بن زيد القرشي، وهو متروك، وقال أحمد، وعلي، وأبو داود: كان يضع كما في «التقريب».

(٣) **ضعيف**. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [١٠٦٥]، من طريق عثمان بن حصين ابن علان، عن عروة بن رويم، قال: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ به.
وإسناده ضعيف، عروة بن رويم صدوق يرسل كثيراً كما في «التقريب»، وقد أبهم شيخه فلا ندري من الأنصاري؟ وقد جاءت إحدي الروايات مصرحة باسمه فيما =

سندهما مقالاً، وفى متنهما شيئاً، فكيف يظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم: ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٧]. وهل يظن بهم أنهم متبرمون بأحوالهم، متشوفون إلى ما سواها من شهوات بنى آدم؟ والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم يغبطونهم باللهو، وهو من الباطل؟ قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم ودلاه بغرور إذ أطمعه فى أن يكون ملكا بقوله: ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠]. فدل أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر فى الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتى قطعن أيديهن عند رؤية يوسف: ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**﴾ [الأنعام: ٥٠].

قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركوز فى النفوس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر على الأفعال الهائلة، خصوصاً العرب، فإن الملائكة كانوا فى نفوسهم من العظمة بحيث قالوا: إن الملائكة بنات

= أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٣١٧)، من طريق عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه بنحوه. وهذا إسناد مرسل، عروة بن رويم روايته عن جابر مرسلة، كما في «تهذيب الكمال» (٢٠/٨)، والقول بأن الأنصاري المبهم في رواية عبد الله بن أحمد، هو جابر بن عبد الله رضي الله عنه يتنافي مع تصريح عروة بالسماع منه، وبالجملة لا يصح كون الأنصاري هو جابر بن عبد الله، ولو صح كان الإسناد منقطعاً كما ذهب إلي ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوي» (٤/٣٤٤): حيث قال: رواه عبد الله بن أحمد عن النبي ﷺ مرسلاً. اهـ.

الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال الآخرون: قد يذكر «العالمون»، ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿ **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان: ١]. ﴿ **قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الحجر: ٧٠]. ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٦٥]. ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [الدخان: ٣٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [البينة: ٧] والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت أن صالحي البشر خير الخلق.

قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية؛ لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة. هذا على قراءة من قرأ «البريئة»، بالهمز وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى وهو التراب كما قاله الفراء فيما نقله عنه الجوهري في «الصحاح» يكون المعنى أنهم خير من خلق من التراب، فلا عموم فيها، إذاً لغير من خلق من التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا، ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن بمزيد قربه،

وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

وقال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت لهم أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة سُلِّم المدعَى، وإلا فلا.

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر: قوله تعالى: ﴿**لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [النساء: ١٧٢] وقد ثبت من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه؛ لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادماً للملك، ولا الشرطي أو الحارس. وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يرتقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى ﷺ ثبت في حق غيره؛ إذ لم يقل أحد إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد وعيسى ﷺ لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه: قوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**﴾ [الأنعام: ٥٠]. ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتي، ولست ممن يدعى ذلك.

أجاب الآخرون: إن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿**مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٧]. فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه: ما روى مسلم بإسناده، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير**»[(١)] ومعلوم أن قوة البشر لا تدانى قوة الملك ولا تقاربها.

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر - والله أعلم - فلا تدخل الملائكة فى هذا العموم.

ومنه ما ثبت فى «الصحيح» عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال فيما يروى عن ربه عز وجل، قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم**»[(٢)] الحديث. وهذا نص فى الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد خيراً منه للمذكور لا الخيرية

---

(١) رواه مسلم [٢٦٦٤]، والنسائي في «الكبري» [١٠٤٥٧]، وابن ماجه [٧٩، ٤١٦٨]، وأحمد (٢/٣٦٦، ٣٧٠)، والحميدي [١١١٤]، وأبو يعلي [٦٢٥١]، والطحاوي في «شرح المشكل» [٢٦٢]، وابن حبان [٥٧٢٢]، والبيهقي (١٠/ ٨٩).

(٢) رواه البخاري [٧٤٠٥]، ومسلم [٢٦٧٥]، والترمذي [٣٦٠٣]، والنسائي في «الكبري» [٧٧٣٠]، وابن ماجه [٣٨٢٢]، وأحمد (٢/ ٢٥١، ٤١٣)، وعبد بن حميد [١١٦٩]، وابن حبان [٨١١، ٨١٢].

المطلقة .

ومنه ما رواه بن خزيمة بسنده فى كتاب « التوحيد » عن أنس ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينا أنا جالس إذ جاء جبريل ، فوكز بين كتفى ، فقمت إلى شجرة مثل وكرى الطير ، فقعد فى إحداهما ، وقعدت فى الأخرى ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب بصرى ، ولو شئت أن أمس السماء مسست ، فنظرت إلى جبريل كأنه حلس لاطىء ، فعرفت فضل علمه بالله على** » (١) .

قال الآخرون : فى سنده مقال فلا نسلم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته .

وحاصل الكلام : أن هذه المسألة من فضول المسائل . ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول ، وتوقف أبو حنيفة ﷺ فى الجواب عنها ، كما تقدم . والله أعلم بالصواب .

وأما الأنبياء والمرسلون ، فعلينا الإيمان بمن سمَّى الله تعالى فى كتابه من رسله ، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء ، لا

---

(١) **ضعيف**. رواه ابن خزيمة في « التوحيد » [٣١٤] ، والبزار [كشف الأستار ـ ٥٨] ، والطبراني في « الأوسط » [٦٢١٤] ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢ / ٣١٦) ، والبيهقي في « الشعب » [١٥٣] ، من طريق سعيد بن منصور ، عن الحارث بن عبيد الإيادي ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس ﷺ به .
وإسناده ضعيف ، فيه الحارث بن عبيد ، وهو ضعيف ، قال أحمد : مضطرب الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به « تهذيب الكمال » . قال الحافظ في [مختصر زوائد البزار ـ ٣٤] : أخرج له الشيخان ، وهو مع ذلك له مناكير هذا منها . اهـ.
وقال ابن كثير في « التفسير » (٤ / ٢٤٩) : فهذا الحديث من غرائب رواياته ، فإن فيه نكارة ، وغرابة ألفاظ ، وسياقاً عجيباً ، ولعله منام ، والله أعلم . اهـ.

يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذى أرسلهم.

فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بيَّنوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢]. ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوى وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، قال: وهم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. وفى قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشوري: ١٣].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمَّى الله

تعالى منها في كتابه، من التوارة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء، قال تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا**﴾ إلى قوله: ﴿**وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿**الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾ [آل عمران: ١-٤]. ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده. وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو، وقال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ [البقرة: ٢١٣]. ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]. ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ [سبأ: ٦]. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧]. ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا**﴾ [التغابن: ٨]. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.

قوله: «**ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين**».

ش: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل**

ذبيحتنا، فهو المسلم، له مالنا وعليه ما علينا» [1]، ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

والمراد بقوله: «أهل قبلتنا»، من يدعى الإسلام، ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصى، ما لم يكذب بشئ مما جاء به الرسول ﷺ. وسيأتى الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله». وعند قوله: «والإسلام والإيمان، واحد، وأهله فى أصله سواء».

قوله: «**ولا نخوض فى الله ولا نمارى فى دين الله**».

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون فى الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم. ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ**﴾ [النجم: ٢٣].

وعن أبى حنيفة رحمه الله، أنه قال: لا ينبغى لأحد أن ينطق فى ذات الله بشىء، بل يصفه بما وصف به نفسه. وقال بعضهم: الحق سبحانه يقول: «من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب، ومن كشفت له حقيقة ذاتى ألزمته العطب، فاختر الأدب أو العطب»، ويشهد لهذا: أنه سبحانه لما كشف للجبل عن ذاته، ساخ الجبل وتدكدك ولم يثبت على عظمة الذات. قال الشبلى [2]: الانبساط

---

(١) رواه البخاري [٣٩١]؛ والنسائي (٨/١٠٩)، والبيهقي (٢/٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) هو أبو بكر الشبلي البغداديّ، قيل اسمه دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس =

بالقول مع الحق ترك الأدب.

وقوله: «ولا نمارى فى دين الله» معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم؛ لأنه فى معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام.

قوله: «**ولا نجادل فى القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدا ﷺ. وهوكلام الله تعالى، لا يساويه شئ من كلام المخلوقين. ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين**».

ش: فقوله: «ولا نجادل فى القرآن»، يحتمل أنه أراد: أنَّا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، إلى آخر كلامه.

ويحتمل أنه أراد: أنَّا لا نجادل فى القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح. وكل من المعنيين حق. ويشهد بصحة المعنى الثانى ما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت فى وجهه الكراهية، وقال: «**كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[1] رواه مسلم.

= ولد بسامَرَّاء، وكان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر. توفي سنة (٣٣٤ هـ) (السير-١٥/ ٣٦٧).

(١) رواه البخاري [٢٤١٠]، والنسائي في «الكبرى» [٨٠٩٤]، وأحمد (١/ ٣٩٣، ٤١٢)، وابن الجعد [٤٦٤]، وأبو يعلي [٥٢٦٢]، والحديث لم يروه مسلم كما قال المصنف -رحمه الله-.

نهى رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذى فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع صاحبه من الحق، لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا. ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه، لعثمان رضي الله عنه: أدرك هذه الأمة لا تختلف كما اختلفت الأمم قبلهم [1]، فجمع الناس على حرف واحد اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن فى ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحظور، إذ كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة، رخصة من الله تعالى، وقد جعل الاختيار إليهم فى أى حرف اختاروه.

كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا، ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب المصحف العثمانى، وكذلك مصحف غيره. وأما ترتيب آيات السور فهوترتيب منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية، بخلاف السور، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إن لم تجتمع على حرف واحد جمعهم الصحابة عليه. هذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير وغيره.

ومنهم من يقول: إن الترخص فى الأحرف السبعة كان فى أول الإسلام، لما فى المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم، وهوأوفق لهم: أجمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الأخيرة.

---

(١) رواه البخاري [٤٩٨٧] ،والترمذي [٣١٠٤]، والنسائي في «الكبرى» [٧٩٨٨]، وأبو يعلي [٩٢]، من حديث أنس رضي الله عنه.

وذهب طوائف من الفقهاء، وأهل الكلام إلى أن المصحف يشتمل على الأحرف السبعة؛ لأنه لا يجوز أن يهمل شئ من الأحرف السبعة. وقد اتفقوا على نقل المصحف العثماني. وترك ما سواه. وقد تقدمت الإشارة إلى الجواب، وهو: أن ذلك كان جائزاً لا واجباً، أوأنه صار منسوخاً.

وأما من قال عن ابن مسعود: إنه كان يجوِّز القراءة بالمعنى، فقد كذب عليه، وإنما قال: قد نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هوكقول أحدكم: هلم وأقبل وتعال، فاقرؤوا كما علمتم [1]، أوكما قال.

والله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتى هى أحسن، وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر، قبل أن تقام عليه الحجة التى حكم الرسول بكفر من تركها، والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان؛ ولهذا ذم السلف أهل الأهواء، وذكروا أن آخر أمرهم السيف. وسيأتى لهذا المعنى زيادة بيان، إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ «ونرى الجماعة حقا وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً».

---

(١) **إسناده صحيح**. رواه الطبري في «التفسير (١/٢٢)، والطبراني في «الكبير» [٨٦٨٠]، وفي«الأوسط» [١٤٣١]، والبيهقي (٢/٣٨٤)، من طريق الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات علي شرط الشيخين.

وقوله: «ونشهد أنه كلام رب العالمين»، قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله: «وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا».

وقوله: «نزل به الروح الأمين»، هوجبريل ﷺ سمى روحاً، لأنه حامل الوحى الذى به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهوأمين حق أمين، صلوات الله عليه. قال تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]. وهذا وصف جبريل بخلاف قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ** ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤١]، الآيات. فإن الرسول هنا هومحمد ﷺ.

وقوله: «فعلمه سيد المرسلين»: تصريح بتعليم جبريل إياه إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره فى نفسه إلهاماً.

وقوله: «ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين»: تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أن القرآن كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: «ولا نخالف جماعة المسلمين»، مجرى على إطلاقه: أنا لا نخالف جماعة المسلمين فى جميع ما اتفقوا عليه فإن خلافهم زيغ وضلال وبدعة.

قوله: «**ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله**»

ش: أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم فى قوله: «ونسمى أهل

قبلتنا مسلمين مؤمنين» : يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، كثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه، فى جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذى بعث الله به رسوله فى نفس الأمر، أوالمخالفة لذلك فى اعتقادهم، على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف فى تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول : لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفى التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن فى أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هوأكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يُظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأيضا : فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لوأظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحوذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً، والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور، كما ذكره الخلال [1] فى كتاب «السنة»، بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال : إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

---

(١) هو أبو بكر، أحمد بن محمد بن هارون، المعروف بالخلال، توفي سنة (٣١١ هـ). (طبقات الحنابلة - ٢ / ١٢).

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفى العام ونفى العموم والواجب إنما هونفى العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب؛ ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ رحمه الله بقوله: «ما لم يستحله».

وفى قوله: «ما لم يستحله» إشارة إلى أن مراده من هذا النفى العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية. وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف فى العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا فى العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع، إلا أن يضمن قوله: «يستحله» بمعنى: يعتقده، أونحوذلك.

وقوله: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله...» إلى آخر كلامه: رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهؤلاء فى طرف، والخوارج فى طرف، فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أوبكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شئ من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان، ويدخل فى الكفر. والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل فى الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين. وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود فى النار!.

وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك فى الأعمال، لكن فى الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولاً، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ

وغيره، أويقولون: يكفر كل مبتدع. وهؤلاء يدخل عليهم فى هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التى يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التى يحتج بها أولئك.

والكلام فى الوعيد مبسوط فى موضعه وسيأتى بعضه عند الكلام على قول الشيخ: «وأهل الكبائر فى النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون».

والمقصود هنا: أن البدع هى من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً، لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً، وإما مفرطاً مذنبا، فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعى بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هوالوسط، وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفى ما أثبته الرسول أوإثبات ما نفاه، أوالأمر بما نهى عنه، أوالنهى عما أمر به: يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذى دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهوكافر، ونحوذلك، كما يذكر من الوعيد فى الظلم فى النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن وأن الله لا يرى فى الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها. وعن أبى يوسف رحمه الله، أنه قال: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة، حتى اتفق رأيى ورأيه: أن من قال بخلق القرآن فهوكافر.

وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من

أعظم البغى أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده فى النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت. ولهذا ذكر أبوداود فى سننه فى كتاب الأدب «باب النهى عن البغى» وذكر فيه عن أبى هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان فى بنى إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد فى العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلنى وربى، أبعثت علىَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أولا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالماً؟ أوكنت على ما فى يدى قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**». قال أبوهريرة: والذى نفسى بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته [1]. وهوحديث حسن.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله كما غفر للذى

---

(١) **حسن**. رواه أبو داود [٤٩٠١]، وأحمد (٢ / ٣٢٣، ٣٦٢)، وابن حبان [٥٧١٢]، من طريق عكرمة بن عمار، عن ضمضم بن جوس، عن أبي هريرة ﷺ به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير عكرمة بن عمار، فإنه صدوق يغلط، وفي روايته عن يحيي بن أبي كثير اضطراب كما في «التقريب»، وقد استشهد به البخاري، وقال الذهبي في «الكاشف» (٢ / ٢٧٦): ثقة إلا في يحيي بن أبي كثير مضطرب. اهـ.
ويشهد له ما رواه الطبراني في «مسند الشاميين» [٢٨١]، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٢٧٥)، عن أبي زرعة الذمشقي، عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن رجل من آل جبير بن مطعم، عن أبي قتادة الأنصاري بنحوه. ورجاله ثقات غير الرجل الذي لم يسم.

قال: «**إذا مت فاسحقونى ثم اذرونى، ثم غفر الله له لخشيته**»[1] وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أوشك فى ذلك. لكن هذا التوقف فى أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه فى الدنيا لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه.

ثم إذا كان القول فى نفسه كفراً قيل: إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً. فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً، وكتاب الله يبين ذلك، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف: **صنف**: كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين. **وصنف**: المؤمنون باطناً وظاهراً. **وصنف**: أقروا به ظاهراً لا باطناً.

وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر فى نفس الأمر وكان مقراً بالشهادتين، فإنه لا يكون إلا زنديقاً، والزنديق هوالمنافق.

وهنا يظهر غلط الطرفين، فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع فى الباطن، يلزمه أن يكفر أقواماً ليسوا فى الباطن منافقين، بل هم فى الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين، كما ثبت فى «صحيح البخارى»، عن أسلم مولى عمر، عن عمر رضي الله عنه: أن رجلاً كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان اسمه: عبد الله وكان يلقب:

---

(١) رواه البخاري [٣٤٨١]، ومسلم [٢٧٥٦]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي الباب من حديث أبي بكر، وأبي سعيد، وحذيفة، وأبي مسعود، وسلمان رضي الله عنهم.

حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده فى الشراب، فأتى به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه. ما أكثر ما يؤتى به. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تلعنه، إنه يحب الله ورسوله**»[1]. وهذا أمر متيقن به فى طوائف كثيرة، وأئمة فى العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أوالمرجئة أوالقدرية أوالشيعة أوالخوارج، ولكن الأئمة فى العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها؛ ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير. فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

ولكن بقى هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله، وهو: أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤] وقال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[2] متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**[3]»

---

(١) رواه البخاري [٦٧٨٠]، والبزار في [البحر الزخار - ٢٦٩]، وأبو يعلي [١٧٦]، والبيهقي (٨ / ٣١٢).

(٢) رواه البخاري [٤٨]، ومسلم [٦٤]، والترمذي [١٩٨٣، ٢٦٣٥]، والنسائي (٧ / ١١١)، وابن ماجه [٦٩، ٣٩٣٩]، وأحمد (١ / ٣٨٥، ٤١١)، وابن حبان [٥٩٣٩]، والحميدي [١٠٤]، والطيالسي [٢٤٨].
وفي الباب من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري [٤٤٠٣]، ومسلم [٦٦]، وأبو داود [٤٦٨٦]، والنسائي (٧ / ١١٥)، وابن ماجه [٣٩٤٣]، وأحمد (٢ / ٨٥، ٨٧)، وأبو يعلي [٥٥٩٢] وأبو عوانة (١ / ٢٥)، وابن حبان [١٨٧].
وفي الباب من حديث جرير، وأبي بكرة، وابن عباس رضي الله عنهم.

و«**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**»(١) متفق عليهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهومؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهومؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهومؤمن، والتوبة معروضة بعد**»(٣).

وقال ﷺ: «**بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة**»(٤) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري [٦١٠٤]، ومسلم [٦٠]، وأبو داود [٤٦٨٧]، والترمذي [٢٦٣٧]، وأحمد (٢/١٨، ٤٤)، ومالك (ص: ٦٠٩)، والحميدي [٦٩٨]، والطيالسي [٢٨٤٢]، والطحاوي في «شرح المشكل» [٨٥٥]، وابن حبان [٢٤٩، ٢٥٠].

(٢) رواه البخاري [٣٤]، ومسلم [٥٨]، وأبو داود [٤٦٨٨]، والترمذي [٢٦٣٢]، والنسائي (٨/١٠٢)، وأحمد (٢/١٨٩، ١٩٨)، وأبو عوانة (١/٢٠)، وابن حبان [٢٥٤، ٢٥٥].
وفي الباب من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، وأنس، وجابر رضي الله عنهم.

(٣) رواه البخاري [٢٤٧٥]، ومسلم [٥٧]، وأبو داود [٤٦٨٩]، والنسائي (٨/٥٨، ٢٨٠)، والترمذي [٢٦٢٥]، وابن ماجه [٣٩٣٦]، وأحمد (٢/٢٤٣، ٣٧٦)، والحميدي [١١٢٨]، وابن حبان [٤٤١٢]، من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.
وفي الباب من حديث ابن عباس، وعائشة، وابن أبي أوفي رضي الله عنهم.

(٤) رواه مسلم [٢٨]، وأبو داود [٤٦٧٨]، والترمذي [٢٦١٨، ٢٦١٩، ٢٦٢٠]، والنسائي في «الكبري» [٣٣٠]، وابن ماجه [١٠٧٨]، وأحمد (٣/٣٧٠، ٣٨٩)، وأبو يعلي [١٧٨٣]، والطحاوي في «شرح المشكل» [٣١٧٥]، والدارقطني (٢/٥٣)، وابن حبان [١٤٥٣].

وقال ﷺ : «**من أتى كاهناً فصدقه، أوأتى امرأة فى دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1] .

وقال ﷺ : «**من حلف بغير الله فقد كفر**»[2] رواه الحاكم بهذا اللفظ .

وقال ﷺ : «**ثنتان فى أمتى هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت**»[3] ونظائر ذلك كثيرة .

والجواب : أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لوكفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولى القصاص، ولا تجرى الحدود فى الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضروة من دين الإسلام .

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل فى الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة . فإن قولهم باطل أيضاً؛ إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **فَمَنْ**

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [٣٩٠٤]، والترمذي [١٣٥]، والنسائي في «الكبري» [٩٠١٧]، وابن ماجه [٦٣٩]، وأحمد (٢ / ٤٧٦)، من طريق حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه به .
وإسناده صحيح، رجال ثقات، وحكيم الأثرم وثقه ابن المديني، وأبو داود، كما في «تهذيب التهذيب» . وذكره ابن حبان في «الثقات» .
والحديث صححه العراقي، وقوي إسناده الذهبي (فيض القدير - ٦ / ٢٣) .

(٢) سبق تخريجه (١ / ٢٤١) .

(٣) رواه مسلم [٦٧]، وأحمد (٢ / ٣٧٧، ٤٤١)، والبخاري في «الأدب» [٣٩٥]، وابن الجارود [٥١٥]، وابن منده في «الإيمان» [٦٦٠]، والبيهقي (٤ / ٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولى القصاص، والمراد أخوَّةُ الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ إلى أن قال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزانى والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

وقد ثبت فى «الصحيح» عن النبى ﷺ أنه قال: «**من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أوشئ فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقى فى النار**»[١]. أخرجاه فى «الصحيحين».

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفى المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت فى «الصحيح» عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، قال: المفلس من يأتى يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار**»[٢]. رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري [٢٤٤٩]، والترمذي [٢٤١٩]، وأحمد (٢/٤٣٥، ٥٠٦)، والطيالسي [٢٣٢٧]، وأبو يعلي [٦٥٣٩]، والطحاوي في «شرح المشكل» [١٨٧]، وابن حبان [٧٣٦١]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
والحديث لم يروه مسلم كما أشار المصنف ـ رحمه الله ـ بعزوه الحديث للصحيحين.

(٢) رواه مسلم [٢٥٨١]، والترمذي [٢٤١٨]، وأحمد (٢/٣٠٣، ٣٣٤)، وأبو يعلي =

وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤]، فدل ذلك على أنه فى حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته، وهذا مبسوط فى موضعه.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا فى حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظى فقط.

وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص. لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة. وإذا اجتمعت نصوص الوعد التى استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التى استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين. ولا فائدة فى كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافاً لفظياً؟ لا يترتب عليه فساد، وهو: أنه هل يكون الكفر على مراتب، كفراً دون كفر؟ كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دون إيمان؟ وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم فى مسمى «الإيمان»: هل هوقول وعمل يزيد وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمى رسوله من تقدم ذكره كافراً ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد

= [٦٤٩٩]، وابن حبان [٤٤١١]، والبيهقي (٦/٩٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وينقص، قال: هو كفر عملى لا اعتقادى والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر كالإيمان عنده.

ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، ولا يدخل العمل فى مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازى غير حقيقى، إذ الكفر الحقيقى هو الذى ينقل عن الملة، وكذلك يقول فى تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أى صلاتكم إلى بيت المقدس، أنها سميت إيمانا مجازاً؛ لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان إذ هى دالة على كون مؤديها مؤمناً؛ ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا، فليس بين فقهاء الأمة نزاع فى أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم فى النار، كالخوارج والمعتزلة، ولكن أردأ ما فى ذلك التعصب من بعضهم، وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه، والتشنيع عليه وإذا كنا مأمورين بالعدل فى مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتى هى أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض فى مثل هذا الخلاف؟ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة: ٨]، الآية.

وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازياً، وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب،

وأنه مخير فيه، أواستهان به مع تيقنه أنه حكم الله: فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أوكفراً أصغر. وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطىء، له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور.

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله: ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة. وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك. فإن قدامة بن مظعون شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [المائدة: ٩٣]، الآية، فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا. وقال عمر لقدامة: أخطأت إستك الحفرة، أما إنك لواتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر [١].

---

(١) **إسناده صحيح**. رواه عبد الرزاق [١٧٠٧٦]، ومن طريقه البيهقي (٨/٣١٥)، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ـ وكان أبوه شهد بدراً ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل قدامة بن مظعون علي البحرين ـ فذكره.
وإسناده صحيح، علي شرط الشيخين. وأما اتفاق عمر، وعلي، وسائر الصحابة رضي الله عنهم علي أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وإن أصروا علي استحلالها قتلوا، فقد رواه ابن أبي شيبة (٩/٥٤٦)، عن ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن علي رضي الله عنه قال: شرب قوم من أهل الشام الخمر ـ الحديث، وفيه قول علي رضي الله عنه: أري أن تستتيبهم، فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشرب الخمر، وإن لم يتوبوا ضربت رقابهم ـ =

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية [1]. بيَّن فيها أن من طعم الشئ فى الحال التى لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس. ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك ندموا وعلموا أنهم أخطأوا وأيسوا من التوبة. فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿**حمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ**﴾ [غافر: ١-٣]. ما أدرى أى ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم يأسك من رحمة الله ثانياً [2]؟ وهذا

= الحديث. وروي الدارقطني (٣/١٥٧)، والحاكم (٤/٣٧٥)، والبيهقي (٨/٣٢٠)، من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن ابن وبرة الكلبي، قال: أرسلني خالد إلي عمر فأتيته في المسجد ـ الحديث، وفيه قول علي ﷺ: نراه إذا سكر هذي، وإذا هذي افتري، وعلي المفتري ثمانون. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ورجاله ثقات رجال مسلم سوي ابن وبرة الكلبي فقد ترجم له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/٢٧٥)، وقال: سمع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وخالد بن الوليد، وكان معه بالشام. اهـ.

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٣٠٥٠]، من طريق إسرائيل، ورواه الطيالسي [٧١٥]، وأبو يعلي [١٧١٩]، من طريق شعبة كلاهما عن أبي إسحق، عن البراء بن عازب ﷺ به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات علي شرط الشيخين، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وفي الباب من حديث أنس ﷺ، رواه البخاري [٢٤٦٤]، ومسلم [١٩٨٠]، وأحمد (٣/٢٢٧)، بلفظ: فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله ﴿ليس علي الذين آمنوا﴾ ـ الآية. وفي الباب أيضاً من حديث ابن عباس، وابن مسعود ﷺ.

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه عبد الرزاق [١٧٠٧٨]، عن ابن جريج قال: أخبرت أن أبا عبيدة بالشام وجد أبا جندل ابن سهيل بن عمرو، وضرار بن الخطاب المحاربي، وأبا الأزور، وهم من أصحاب النبي ﷺ قد شربوا ـ الحديث. وفيه قول عمر ﷺ: إن الذي زين لك الخطيئة حظر عليك التوبة ـ وذكرالآية.
وإسناده ضعيف لإعضاله، وأما كتابة عمر إلي قدامة فلم أعثر عليه.

الذى اتفق عليه الصحابة هومتفق عليه بين أئمة الإسلام.

قوله: «**ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم**».

ش: وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذى قاله الشيخ رحمه الله فى حق نفسه وفى حق غيره. قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾ [الإسراء: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ [البقرة: ٤١]. ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ [المائدة: ٤٤]. ومدح أهل الخوف، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]. وفى «المسند»، والترمذى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ [المؤمنون: ٦٠] هوالذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**»[(١)].

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٣١٧٥]، وابن ماجه [٤١٩٨]، وأحمد (٦/١٥٩، ٢٠٥)، والحاكم (٢/٣٩٣)، والبيهقي في «الشعب» [٧٤٧]، من طريق مالك بن مغول، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت ـ الحديث.
وإسناده صحيح، إلا أنه مرسل عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة رضي الله عنها مرسل كما قال أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/٢٣٩)، والمزيّ في «تهذيب الكمال»، والذهبي في «الكاشف»، ووصله الطبري في «التفسير» (١٨/٣٣)، عن ابن حميد، عن =

قال الحسن رضي الله عنه: عملوا - والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً. انتهى.

وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢١٨]، فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات؟ فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التى اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدرته وثوابه وكرامته. ولوأن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يحرثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتى من مغلها مثل ما يأتى من حرث وزرع وتعاهد الأرض لعده الناس من أسفه السفهاء. وكذا لورجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع. أويصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام، وأمثال ذلك. فكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه فى الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

ومما ينبغى أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

= الحكم بن بشر، عن عمرو بن قيس، عن عبد الرحمن بن سعيد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن عائشة رضي الله عنها به. ورجاله ثقات غير ابن حميد، فهو ضعيف، كما في «التقريب»، وتابعه عمرو بن رافع أبو حجر أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٣٩٦٥]، عن علي بن سعيد الرازي، عن عمرو بن رافع عن الحكم بن بشير به، سنداً ومتناً. ورجاله ثقات غير كلام يسير في علي بن سعيد شيخ الطبراني.
والحديث صحيح بمجموع طرقه.

الثالث: سعيه فى تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شئ من ذلك، فهومن باب الأمانى، والرجاء شئ والأمانى شئ آخر. فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير، مخافة الفوات.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]. فالمشرك لا ترجى له المغفرة، لأن الله نفى عنه المغفرة وما سواه من الذنوب فى مشيئة الله، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه.

وفى «معجم الطبرانى»: الدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهوالشرك بالله، ثم قرأ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ** ﴾ [النساء: ٤٨]. وديوان لا يترك الله منه شيئاً، مظالم العباد بعضهم بعضاً، وديوان لا يعبأ الله به، وهوظلم العبد نفسه بينه وبين ربه (١).

وقد اختلفت عبارات العلماء فى الفرق بين الكبائر والصغائر، وستأتى الإشارة إلى ذلك عند قول الشيخ رحمه الله: «وأهل الكبائر من أمة محمد فى النار لا يخلدون».

ولكن ثم أمر ينبغى التفطن له، وهو: أن الكبيرة قد يقترن بها من

---

(١) **إسناده ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ٢٤٠)، والحاكم (٤/ ٥٧٥)، وأبو نعيم في «تاريخ إصبهان» (٢/ ٢)، من طريق صدقة بن موسي، عن أبي عمران الجوني، عن يزيد بن بابنوس، عن عائشة رضي الله عنها به.
وإسناده ضعيف، فيه صدقة بن موسي، قال الذهبي: ضعفوه، وقال الحافظ في «التقريب» صدوق له أوهام. اهـ. ويزيد بن بابنوس قال في أبو حاتم: مجهول، وقال البخاري في «التاريخ» (٨/ ٣٢٣): كان من الشيعة الذين قاتلوا علياً، سمع عائشة. اهـ. وأورده العقيلي في «الضعفاء».

الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر. وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهوقدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.

وأيضاً: فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحوعشرة أسباب، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ**﴾ [مريم: ٦٠]. ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾ [البقرة: ١٦٠]. وغيرها، والتوبة النصوح وهى الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟ حتى لوتاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل؟ والصحيح أنها تقبل، وهل يَجُبُّ الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب وإن لم يتب منها؟ أم لابد مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لوأسلم وهو مصرّ على الزنا وشرب الخمر مثلا، هل لا يؤاخذ بما كان منه فى كفره من الزنا وشرب الخمر؟ أم لابد أن يتوب من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يتوب توبة عامة من كل ذنب؟ وهذا هوالأصح: أنه لابد من التوبة مع الإسلام، وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شئ يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذا لمن تاب؛ ولهذا قال: ﴿**لَا تَقْنَطُوا**﴾، وقال بعدها: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ**﴾ [الزمر: ٥٤]، الآية.

السبب الثاني: الاستغفار، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. لكن الاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكر وحده دخلت معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل فى مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه فى المستقبل من سيئات أعماله.

ونظير هذا: الفقير والمسكين، إذا ذكر أحد اللفظين شمل الآخر، وإذا ذكرا معاً كان لكل منهما معنى. قال تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩]. ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]. ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. لا خلاف أن كل واحد من الاسمين فى هذه الآيات لما أفرد شمل المقلّ والمعدم ولما قرن أحدهما بالآخر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠]. كان المراد بأحدهما المقلّ والآخر المعدم، على خلاف فيه.

وكذلك: الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان.

ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرا معاً كان لكل منهما معنى. وكذلك الإيمان والإسلام، على ما يأتى الكلام فيه، إن شاء الله تعالى.

السبب الثالث: الحسنات: فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ

يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات ﴾ [هود: ١١٤]. وقال ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»[١].

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه**»[٢] وفى «المسند»: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣] قال أبوبكر: يارسول الله، نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً؟ فقال: «**يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به**»[٣]. فالمصائب نفسها مكفرة، وبالصبر عليها

---

(١) **حسن**. رواه الترمذي [١٩٨٧]، وأحمد (٥/١٥٣)، والحاكم (١/٥٤)، من طريق سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**».

وإسناده حسن، رجاله ثقات، سوي ميمون بن أبي شبيب، فإنه صدوق، كثير الإرسال، كما في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الحاكم علي شرط الشيخين. قال ابن رجب في «جامع العلوم» (ص: ١٤٧): وقد حسن الترمذي هذا الحديث، وما وقع في بعض النسخ من تصحيحه فبعيد. اهـ.

(٢) رواه البخاري [٥٦٤١، ٥٦٤٢]، ومسلم [٢٥٧٣]، وأحمد (٢/٣٠٣، ٣٣٥)، (٣/١٨)، وابن حبان [٢٩٠٥]، من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ورواه الترمذي [٩٦٦]، وأحمد (٣/٤، ٢٤، ٣٨)، وأبو يعلي [١٢٥٦]، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) **إسناده ضعيف**. رواه أحمد (١/١١)، وأبو يعلي [٩٨، ٩٩، ١٠٠]، والطبري في «التفسير» (٥/٢٩٤)، وابن حبان [٢٩١٠، ٢٩٢٦]، والحاكم (٣/٧٤)، والبيهقي (٣/٣٧٣)، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بكر بن أبي زهير، عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً به.

وإسناده ضعيف، أبو بكر بن أبي زهير لم يسمع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ٢٥٨).

ويغني عنه ما رواه مسلم [٢٥٧٤]، والترمذي [٣٠٣٨]، وأحمد (٢/٢٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: لما نزلت: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتي النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها**».

يثاب العبد، وبالتسخط يأثم. فالصبر والتسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهى جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والتسخط من فعله، وإن كان الأجر قد يحصل بغير عمل من العبد، بل هدية من الغير أوفضلاً من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿ **وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٤٠]. فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم.

وكثيرا ما يفهم من الأجر غفران الذنوب، وليس ذلك مدلوله، وإنما يكون من لازمه.

السبب الخامس: عذاب القبر: ويأتى الكلام عليه، إن شاء الله تعالى.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم فى الحياة وبعد الممات.

السبب السابع: ما يهدى إليه بعد الموت، من ثواب صدقة أو قراءة أو حج ونحو ذلك، ويأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب التاسع: ما ثبت فى «الصحيحين»: «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة**»[١].

---

(١) رواه البخاري [٢٤٤٠]، وأحمد (٣/١٣، ٥٧، ٦٣)، وعبد بن حميد [٩٣٥]، وأبو يعلي [١١٨٦]، وابن حبان [٧٤٣٤]، والحاكم (٢/٣٥٤)، من حديث أبي سعيد ﷺ. والحديث لم يروه الإمام مسلم رحمه الله.

السبب العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨]. فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى في النار مَنْ في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه [١].

و إذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة غير من شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين، ونخاف عليهم.

قوله: «**والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة**».

ش: يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢١٨].

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. قال أبو علي

---

(١) سبق تخريجه (١/٢٣٨).

الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ الآية [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ الآية [السجدة: ١٦]. فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً. وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

وقال صاحب «منازل السائرين» رحمه الله: الرجاء أضعف منازل المريد. وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد. وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي. فليظن بي ما شاء**» (١) وفي «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**» (٢) ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٤٩١)، (٤/ ١٠٦، ٤٩١)، والدارمي [٢٧٣٤]، وابن حبان [٦٣٣]، والحاكم (٤/ ٢٤٠)، من طريق حيان أبي النضر قال سمعت واثلة رضي الله عنه مرفوعاً به.
وإسناده صحيح. رجاله ثقات، وحيان وثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢٤٤)، وابن حبان في «الثقات» (٤/ ١٧١)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ. والذي في الصحيحين سبق تخريجه (٢/ ٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بدون لفظ: «**فليظن بي ما شاء**».

(٢) رواه مسلم [٢٨٧٧]، وأبو داود [٣١١٣]، وابن ماجه [٤١٦٧]، وأحمد =

يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه.

وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري. ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد، ولقد أحسن محمود الوراق في قوله:

لو قد رأيت الصغير مَنْ عَمَلِ الخـ ـيـر ثواباً عـجـبت من كِبَرِه
أو قد رأيت الحقير من عمل الشـ ـر جـزاء أشـفـقت من حـذره

قوله: «**ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه**»

ش: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قوله بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وفيه تقرير لما قال أولاً: «لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله». وتقدم الكلام على هذا المعنى.

قوله: «**والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى**».

ش: اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان، اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه وسائر

=(٣/٢٩٣، ٣١٥)، وعبد بن حميد [١٠١٥، ١٠٤١]، والطيالسي [١٧٧٩]، وأبو يعلي [١٩٠٧، ١٩٤٢]، وابن حبان [٦٣٦].

أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوى رحمه الله: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلى، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدى رحمه الله، ويروى عن أبى حنيفة رضي الله عنه.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان: هو الإقرار باللسان فقط. فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذى أوعدهم الله به. وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسين الصالحى أحد رؤساء القدرية إلى أن الإيمان هو: المعرفة بالقلب. وهذا القول أظهر فساداً مما قبله. فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ**﴾ [الإسراء: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [النمل: ١٤]. وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبى ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان. فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]. والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه، فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافراً بشهادته على نفسه!.

وبين هذه المذاهب مذاهب أخر، بتفاصيل وقيود، أعرضت عن ذكرها اختصاراً، ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة» وغيره.

وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوى عن أبى حنيفة وأصحابه رحمهم الله، أو باللسان وحده، كما تقدم ذكره عن الكرامية. أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدى رحمه الله. وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

والاختلاف الذى بين أبى حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صورى. فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو فى مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه: نزاع لفظى، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة، ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى. وإلا فقد نفى النبى ﷺ الإيمان عن

الزانى والسارق وشارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية، اتفاقاً.

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعنى بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذى يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل. لكن هذا المطلوب من العباد: هل يشمله اسم الإيمان أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازاً؟ هذا محل النزاع.

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه: أنه عاص لله ورسوله، مستحق الوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة فى مسمى الإيمان من قال: لما كان الإيمان شيئاً واحداً، فإيمانى كإيمان أبى بكر الصديق وعمر ﭬ، بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم السلام!! وهذا غلو منه، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون فى قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومن يرى الخط الثخين، دون الرفيع إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة، وآخر بضده.

ولهذا ـ والله أعلم ـ قال الشيخ رحمه الله: «وأهله فى أصله سواء»، يشير إلى أن التساوى إنما هو فى أصله، ولا يلزم منه التساوى من كل وجه، بل تفاوت نور: لا إله إلا الله فى قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله تعالى: فمن الناس مَنْ نورها فى قلبه كالشمس، ومنهم من نورها فى قلبه كالكوكب الدرى، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر

كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي ﷺ: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله تعالى**» [1]، وقوله: «**لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله**» [2] وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار وأول بعضهم الدخول بالخلود، ونحو ذلك.

والشارع صلوات الله عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول

---

(١) رواه البخاري [٤٢٥]، ومسلم [٣٣]، والنسائي في «الكبري» [١٠٩٤٧]، وأحمد (٤/٤٤)، والطيالسي [١٢٤١]، وابن خزيمة [١٦٥٣]، وابن حبان [٢٢٣]، وعبد الرزاق [١٩٢٩]، من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم [٢٩]، والترمذي [٢٦٣٨]، وأحمد (٥/٣١٨)، من حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله حرمه الله علي النار**»

ورواه البخاري [١٢٨]، ومسلم [٣٢]، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله علي النار**» ـ الحديث.

ورواه أحمد (٣/٤٥١، ٤٦٦)، وابن حبان [١٩٩]، والحاكم (٣/٦٣٠)، من حديث سهيل بن البيضاء رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**إنه من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله علي النار، وأوجب له الجنة**».

وفي الباب من حديث أبي بكر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وجابر، وابن عمر رضي الله عنهم.

اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين فى الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما فى القلوب.

وتأمل حديث البطاقة التى توضع فى كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها [1].

ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار.

وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان، التى لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو فى تلك الحال أن جعل ينوء بصدره وهو يعالج سكرات الموت.

وتأمل ما قام بقلب البغى من الإيمان، حين نزعت موقها وسقت الكلب من الركية، فَغُفِرَ لها.

وهكذا العقل أيضا. فإنه يقبل التفاضل، وأهله فى أصله سواء، مستوون فى أنهم عقلاء غير مجانين، وبعضهم أعقل من بعض.

وكذلك الإيجاب والتحريم، فيكون إيجاب دون إيجاب، وتحريم دون تحريم. هذا هو الصحيح، وإن كان بعضهم قد طرد ذلك فى العقل والوجوب.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٧٧).

وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله.

وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح: فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم. ولهذا قال النبي ﷺ: «**ليس المخبَر كالمعاين**»[1]، وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخبَر، وإن جزم بصدق المخبِر، فقد لا يتصور المخبَر به نفسه، كما يتصوره إذا عاينه، كما قال إبراهيم الخليل صلوات الله على نبينا محمد وعليه: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأيضاً: فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجبه ما لا يجب على غيره إلا مجملاً، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل.

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (١/٢١٥، ٢٧١)، وابن حبان [٦٢١٣]، والطبراني في «الأوسط» [٢٥]، والحاكم (٢/٣٢١)، من طريق هشيم. ورواه البزار [كشف الأستار - ٢٠٠]، وابن حبان [٣٢١٤]، والطبراني في «الكبير» [١٢٤٥١]، والحاكم (٢/٣٨٠)، من طريق أبي عوانة. كلاهما (هشيم، وأبي عوانة) عن أبي بشر، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وصححه الحاكم علي شرط الشيخين، وهو كما قال.

وكذلك الرجل أول ما يسلم، إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

ولا شك أن من قام بقلبه التصديق الجازم، الذى لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة: لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة أو إحداهما لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيد فيعصى، ولهذا - والله أعلم - قال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**» الحديث. فهو حين يزنى يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا، وإن بقى أصل التصديق فى قلبه. ثم يعاوده. فإن المتقين كما وصفهم الله بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠١]. قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه، والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع. ثم قال تعالى: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٢]. أى: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين فى الغى ثم لا يقصرون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس تقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم (١). فإذا لم

---

(١) **إسناده صحيح**. رواه االطبري في «التفسير» (٩/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» [٨٧٠٩] من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وإسناده صحيح، وصحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير قال عنها الإمام أحمد: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلي مصر قاصداً ما كان كثيراً. اهـ.

وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح، عن علي =

يبصر يبقى قلبه فى عمى، والشيطان يمده فى غيه، وإن كان التصديق فى قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه، وهذا كما أن الإنسان يغمض عينه فلا يرى، وإن لم يكن أعمى فكذلك القلب، بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبى ﷺ: حيث قال: «**إذا زنا العبد نزع منه الإيمان، فإذا تاب أعيد إليه**» [1].

وإذا كان النزاع فى هذه المسألة بين أهل السنة نزاعاً لفظياً، فلا محذور فيه، سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى، والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصى، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام ولى من أولياء الله. فلا يبالى بما يكون منه من المعاصى، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله. وهذا باطل قطعاً.

فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته فى عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط كما فى الصلاة

= ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد علها كثيراً. (فتح الباري - ٨/٤٣٨ - ٤٣٩).
وهذا الإسناد صححه الحافظ في «الفتح» في أكثر من موضع منها (٩/٣٦٦).

(١) **إسناده صحيح**. رواه أبو داود [٤٦٩٠]، والحاكم (١/٢٢)، من طريق ابن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن ابن الهاد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه به. وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، سوي نافع بن يزيد، فإنه ثقة من رجال مسلم، وروي له البخاري استشهاداً.

والصوم والحج ونحو ذلك.

فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله: أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك. ثم هذا المعنى اللغوى، وهو التصديق بالقلب، هو الواجب على العبد حقاً لله، وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا، هذا على أحد القولين كما تقدم، ولأنه ضد الكفر وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما. وقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، يدل على أن القلب هو موضع الإيمان لا اللسان، ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل، لزال كله بزوال جزئه، ولأن العمل قد عطف على الإيمان والعطف يقتضى المغايرة، قال تعالى: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، في مواضع من القرآن.

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلم قلتم: إنه يوجب الترادف مطلقاً؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان، ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق: صدقه، ولا يقال: آمنه، ولا آمن به بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]. ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمخبَر به، والثانى للمخبِر، ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدق لنا، لأن دخول اللام، لتقوية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم الفاعل، أو مصدراً، على ما عرف فى موضعه.

فالحاصل أنه لايقال: قطُّ آمنته، ولا صدقت له، وإنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له. فكان تفسيره بأقررت أقرب من تفسيره بصدَّقت، مع الفرق بينهما، ولأن الفرق بينهما ثابت فى المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهد أو غيب، يقال له فى اللغة: صدقت، كما يقال له: كذبت. فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا فى الخبر عن الغائب، فيقال لمن قال: طلعت الشمس: صدقناه، ولا يقال: آمنا له، فإن فيه أصل معنى الأمن، الائتمان إنما يكون فى الخبر عن الغائب، فالأمر الغائب هو الذى يؤتمن عليه المخبر، ولهذا لم يأت فى القرآن وغيره لفظ آمن له إلا فى هذا النوع، ولأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك: لكان كفره أعظم، فعلم أن الإيمان ليس التصديق فقط، ولا الكفر هو التكذيب فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكذيباً، ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب. فكذلك الإيمان، يكون تصديقاً وموافقة وموالاة وانقياداً، ولا يكفى مجرد التصديق، فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان.

ولو سلِّم الترادف، فالتصديق يكون بالأفعال أيضاً. كما ثبت فى

«الصحيح» عن النبى ﷺ أنه قال: **«العينان تزنيان، وزناهما النظر، والأذن تزنى، وزناها السمع»** إلى أن قال: **«والفرج يصدق ذلك ويكذبه»** (١)، وقال الحسن البصرى رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى، ولكنه ما وقر فى الصدر وصدقته الأعمال، ولو كان تصديقاً فهو تصديق مخصوص كما فى الصلاة ونحوها كما قد تقدم، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص، وصفه وبيَّنه، فالتصديق الذى هو الإيمان، أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام، فلا يكون مطابقاً له فى العموم والخصوص من غير تغيير للبيان ولا قلبه، بل يكون الإيمان فى كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص، كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق، أو لأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم.

ونقول: إن هذه لوازم تدخل فى مسمى اللفظ تارة، وتخرج عنه أخرى، أو إن اللفظ باق على معناه فى اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً، أو أن يكون الشارع استعمله فى معناه المجازى، فهو حقيقة شرعية، مجاز لغوى، أو أن يكون قد نقله الشارع. وهذه أقوال لمن سلك هذه الطريق.

وقالوا: إن الرسول قد وقفنا على معانى الإيمان، وعلمنا من مراده

---

(١) رواه البخاري [٦٢٤٣]، ومسلم [٢٦٥٧]، والنسائي في «الكبري» [١١٥٤٤]، وأبو داود [٢١٥٢]، وأحمد (٢/٢٧٦)، وابن حبان [٤٤٢٠]، من حديث ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهم.
ورواه مسلم [٢٦٥٧]، وأبو داود [١٢٥٣]، وأحمد (٢/٣٤٣، ٥٣٦)، والطحاوي في «شرح المشكل» [٩٨]، وابن حبان [٤٤٢٣]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علماً ضروريا أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان، مع قدرته على ذلك، ولا صلى، ولا صام، ولا أحب الله ورسوله، ولا خاف الله بل كان مبغضاً للرسول معادياً له يقاتله: أن هذا ليس بمؤمن.

كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما. فقد قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» (١).

قال أيضا ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**» (٢).

قال ايضاً ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**» (٣).

وقال أيضاً ﷺ: «**البذاذة من الإيمان**» (٤).

---

(١) رواه مسلم [٣٥]، والنسائي (٨/٩٦، ٩٧)، بهذا اللفظ.
ورواه البخاري [٩]، بلفظ: «**بضع وستون شعبة**».
ورواه أبو داود [٤٦٧٦]، بدون لفظ: «**شعبة**».
ورواه الترمذي [٢٦١٤]، وأحمد (٢/٤١٤، ٤٣٥)، بلفظ: «**بضع وسبعون باباً**»
كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذا اللفظ ضمن الحديث السابق.

(٣) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٦٨٢]، والترمذي [١١٦٢]، وأحمد (٢/٢٥٠، ٤٧٢)، وابن حبان [٤٧٩]، والحاكم (١/٣)، من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، غير محمد بن عمرو فإنه صدوق له أوهام كما في «التقريب»، روي له البخاري مقروناً، وروي له مسلم في المتابعات. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
ورواه أحمد (٢/٥٢٧)، والحاكم (١/٣)، والبيهقي (١٠/١٩٢)، من طريق ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه به. محمد بن عجلان صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه كما في «التقريب». وقال الذهبي: لم يتكلم عليه المؤلف، وهو صحيح. اهـ. وصححه العراقي في أماليه (فيض القدير - ٢/٩٧).

(٤) **صحيح**. رواه أبو داود [٤١٦١]، من طريق محمد بن إسحق، عن عبد الله بن أبي =

فإذا كان الإيمان أصلا له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى: إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان. وهذه الشعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها، كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى. وكما أن شعب الإيمان إيمان، فكذا شعب الكفر كفر، فالحكم بما أنزل الله - مثلا - من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وقد قال ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فلبسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»** [1] رواه مسلم.

= أمامة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبي أمامة ﷺ مرفوعاً بلفظ: **«ألا تسمعون، ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان»** - الحديث.

ورجاله ثقات، غير محمد بن إسحق، فإنه صدوق يدلس، وقد عنعنه، وعبد الله بن أبي أمامة صدوق كما في «التقريب»، ووثقه ابن حبان.

ورواه الطحاوي في «شرح المشكل» [١٥٣١]، والطبراني في «الكبير» [٧٩١]، من طريق عبد الله بن حمران، عن عبد الحميد بن جعفر، عن عبد الله بن أبي أمامة، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبي أمامة ﷺ به. وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير ابن حمران فإنه صدوق يخطئ قليلا، وابن جعفر صدوق كما في «التقريب».

ورواه ابن ماجه [٤١١٨]، من طريق أيوب بن سويد، عن أسامة بن زيد، عن عبد الله ابن أبي أمامة، عن أبيه به. وإسناده حسن، أيوب بن سويد صدوق يخطئ، وأسامة بن زيد صدوق يهم كما في «التقريب».

والحديث صحيح بمجموع طرقه، كما ذهب إلي ذلك الحافظ في «الفتح» (١٠/٣٦٨)، وقال الديلمي: هو صحيح (فيض القدير - ٣/٢١٧).

(١) رواه مسلم [٤٩]، وأبو داود [١١٤٠]، والترمذي [٢١٧٢]، والنسائي (٨/٩٨)، =

وفى لفظ: «**ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**» (١).

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحب لله، وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**» (٢) ومعناه - والله أعلم - أن الحب والبغض أصل حركة القلب، وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك فإن المال آخر المتعلقات بالنفس والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كله لله، كان الله إلهه فى كل شىء، فلم يكن فيه شئ من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكملاً الإيمان إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

ويأتى فى كلام الشيخ رحمه الله فى شأن الصحابة ﷺ: وحبهم دين، وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. فسمى حب الصحابة إيماناً وبغضهم كفراً.

= وابن ماجه [١٢٧٥]، وأحمد (٣/١٠، ٢٠)، وابن حبان [٣٠٦]، من حديث أبي سعيد ﷺ.

(١) رواه مسلم [٥٠]، وأبو عوانة (١/٣٥، ٣٦)، وابن حبان [٦١٩٣]، والطبراني [٩٧٨٤]، والبيهقي (١٠/٩٠)، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٦٨١]، والطبراني في «الكبير» [٧٧٣٧]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/٣١)، من طريق يحيي بن الحارث، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبي أمامة ﷺ به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير القاسم بن عبدالرحمن، فإنه صدوق كما قال الذهبي في «الكاشف». ورواه الترمذي [٢٥٢١]، وأحمد (٣/٤٤٠)، والحاكم (٢/١٦٤)، من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ، عن سعيد بن أبي أيوب، عن أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه ﷺ.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، رجال الصحيح، غير أبي مرحوم فإنه صدوق، وسهل بن معاذ لا بأس به إلا في روايات زبان عنه كما في «التقريب»، وقد وثقه ابن حبان، والعجلي. والحديث صحيح بمجموع طرقه.

وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفى وغيره، عن استدلالهم بحديث شعب الإيمان المذكور، وهو: أن الراوى قال: «**بضع وستون أو بضع وسبعون**» فقد شهد الراوى بفعله نفسه حيث شك، فقال: «**بضع وستون، أو بضع وسبعون**» ولا يظن برسول الله ﷺ الشك فى ذلك، وأن الحديث مخالف للكتاب.

فطعن فيه بغفلة الراوى ومخالفته الكتاب، فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه، فإن تردد الراوى بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه، مع أن البخارى رحمه الله إنما رواه: «**بضع وستون**» من غير شك.

وأما الطعن بمخالفته الكتاب، فأين فى الكتاب ما يدل على خلافه. وإنما فيه ما يدل على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

وقالوا أيضاً: وهنا أصل آخر، وهو: أن القول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط فى اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقى تصديق القلب وزال الباقى فهذا موضع المعركة!!.

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح، وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «**إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا**

وهى القلب»[1] فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً بخلاف العكس، وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمُسلَّم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً: منها: قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**﴾ [مريم: ٧٦]. ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾ [المدثر: ٣١]. ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ [الفتح: ٤]. ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وكيف يقال فى هذه الآية والتى قبلها إن الزيادة باعتبار زيادة المؤْمَن به؟ فهل فى قول الناس: ﴿**قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٧٣]. زيادة مشروع؟ وهل فى إنزال السكينة فى قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة فى قلوب المؤمنين مرجعهم من الحديبية، ليزدادوا طمأنينة ويقيناً ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ**﴾ [آل عمران: ١٦٧] وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ**

---

(١) رواه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩]، وأبو داود [٣٣٢٩]، والترمذي [١٢٠٥]، والنسائي (٧/٢١٣)، وابن ماجه [٣٩٨٤]، (٤/٢٦٩)، من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندى [١] رحمه الله، فى «تفسيره» عند هذه الآية، فقال: حدثنا الفقيه، قال: حدثنا محمد بن الفضل وأبو القاسم الساباذى، قالا: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل بن العابد، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، قال: حدثنا أبو مطيع، عن حماد بن سلمة، عن ابن المحزم، عن أبى هريرة، قال: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «**لا، الإيمان مكمل فى القلب، زيادته ونقصانه كفر**» [٢].

فقد سئل شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله عن هذا الحديث؟ فأجاب: بأن الإسناد من أبى الليث إلى أبى مطيع مجهولون لا يعرفون فى شئ من كتب التواريخ المشهورة، وأما أبو مطيع فهو: الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخى، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وعمرو بن على الفلاس، والبخارى، وأبو داود، والنسائى،

---

(١) هو الإمام الفقيه، المحدث، الزاهد، أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقنديّ، الحنفي، صاحب كتاب «تفسير القرآن»، وكتاب «النوازل» في الفقه، وكتاب «خزانة الفقه»، وكتاب «تنبيه الغافلين». توفي سنة (٣٧٥ هـ)، وقيل (٣٧٣ هـ). (السير - ١٦/ ٣٢٢)، و«الجواهر المضية - ٣/ ٥٤٤).

(٢) **موضوع**. رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٣٠ - ١٣١)، بالإسناد الذي ذكره المصنف، وقال: هذا حديث موضوع بلا شك، وهو من وضع أبي مطيع. اهـ.
ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٠٣)، من طريق عثمان بن عبد الله الأموي عن حماد به. قال ابن حبان: هذا شئ وضعه أبو مطيع البلخي علي حماد بن سلمة، فسرقه هذا الشيخ وحدث عنه اهـ. وحكم عليه بالوضع أيضاً الذهبي في «الميزان» (٣/ ٤٢)، والسيوطي في «اللآلئ» (١/ ٣٨)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٤٩).

وأبو حاتم الرازى، وأبو حاتم محمد بن حبان البستى، والعقيلى، وابن عدى، والدارقطنى، وغيرهم. وأما أبو المهزم، الراوى عن أبى هريرة، وقد تصحف على الكتّاب، واسمه: يزيد بن سفيان، فقد ضعفه أيضاً غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائى: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم بسبعين حديثاً.

وقد وصف النبى ﷺ النساء بنقصان العقل والدين [1]. وقال ﷺ: «**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» [2]. والمراد نفى الكمال، ونظائره كثيره، وحديث شعب الإيمان وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟. وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان.

وكلام الصحابة رضي الله عنهم فى هذا المعنى كثير أيضاً.

منه: قول أبى الدرداء رضي الله عنه: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما

---

(١) رواه البخاري [٣٠٤]، ومسلم [٨٠]، وابن حبان [٥٧٤٤]، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**».
وفي الباب من حديث ابن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(٢) رواه البخاري [١٥]، ومسلم [٤٤]، والنسائي (٨ / ١٠٠)، وابن ماجه [٦٧]، وأحمد (٣ / ١٧٧، ٢٧٥)، وابن حبان [١٧٩]، من حديث أنس رضي الله عنه.
ورواه البخاري [١٤]، والنسائي [٨ / ١٠١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص» [١].

وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: «هلموا نزدد إيماناً» [٢] فيذكرون الله تعالى.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً» [٣].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة» [٤].

---

(١) **صحيح**. رواه اللالكائي في «السنة» [١٧١٠]، من طريق يزيد بن هارون، عن حريز ابن عثمان، قال: حدثنا أشياخنا - أو بعض أشياخنا - أن أبا الدرداء - فذكره.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وقد صرح حريز بن عثمان بمن أبهم من أشياخه فيما رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦٢٣]، والبيهقي في «الشعب» [٥٣]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/١٢٦)، من طريق إسماعيل بن عياش، عن حريز بن عثمان، عن الحارث بن مخمر، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: الإيمان يزيد وينقص.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، والحارث هو أبو حبيب القاضي ثقة كما في «الجرح والتعديل» (٣/٨٩)، ولقي أبا الدرداء، وروي عنه كما قال مسلم في «الأسامي» (ص: ٢٨)، وأحمد في «الأسامي والكني»، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل بلده صحيحه وشيخه حريز بن عثمان شامي ثقة كما فى «التقريب».

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه ابن أبي شيبة (١١/٢٦)، والآجري في «الشريعة» [٢٤١]، والبيهقي في «الشعب» [٣٦] من طريق محمد بن طلحة، عن زبيد، عن ذر عن عمر رضي الله عنه.
وإسناده منقطع، ذر بن عبد الله لم يدرك عمر رضي الله عنه، وهو لم يسمع عبدالرحمن بن أبزي رضي الله عنه كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ٥٧).

(٣) **إسناده صحيح**. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٧٩٧]، والآجري في «الشريعة» [٢٤٢]، واللالكائي في «السنة» [١٧٠٤]، من طريق وكيع، عن شريك، عن هلال، عن عبد الله بن عكيم، عن ابن مسعود رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، كما قال الحافظ في «الفتح» (١/٤٨).

(٤) **صحيح**. رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام علي خمس**». ووصله ابن أبي شيبة (١١/٢٦)، وعبد الله بن أحمد في =

ومثله عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه [1].

وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم» [2] ذكره البخاري رحمه الله في «صحيحه» وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق.

وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة، فلا يكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان: فلا شك أن الإيمان تارة يذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنفال: ٢] الآية. ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ [الحجرات: ١٥] الآية. ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا**

= «السنة» [٧٩٦]، والبيهقي في «الشعب» [٤٣]، من طريق الأعمش، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال، عن معاذ رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح رجاله ثقات، رجال الشيخين، وصححه الحافظ في «التغليق» (٢ / ٢١).

(١) **إسناده ضعيف**. رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» [١١٦]، عن أبي أسامة، عن موسي بن مسلم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن رواحة به.
وإسناده منقطع، عبد الرحمن بن سابط من الثالثة كما في «التقريب»، لم يدرك عبد الله بن رواحة الذي قتل في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة.
ورواه البيهقي في «الشعب» [٤٩]، من طريق عطاء بن يسار، عن ابن رواحة به.
وإسناده منقطع أيضاً عطاء بن يسار لم يدرك ابن رواحة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**. رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام، ووصله عبد الرزاق [١٩٤٣٩]، وابن أبي شيبة (١١ / ٤٨)، واللالكائي [١٧١٣]، من طريق، عن أبي إسحق، عن صلة بن زفر، عن عمار رضي الله عنه.
وإسناده صحيح. رجاله ثقات، رجال الشيخين، وقد رواه عن أبي إسحق جماعة منهم شعبة. وحديثه عن أبي إسحق صحيح، والحديث صححه الحافظ في «التغليق» (٢ / ٣٨).

بالله ورسوله﴾ [النور: ٦٢]. **﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾** [المائدة: ٨١].

وقال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**» [١] الحديث.

«**لا تؤمنوا حتى تحابوا**» [٢].

«**من غشنا فليس منا**» [٣].

«**من حمل علينا السلاح فليس منا**» [٤].

وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله: «**فليس منا**» أى: فليس مثلنا، فليت شعرى، فمن لم يغش يكون مثل النبى ﷺ وأصحابه؟!.

وأما إذا عطف عليه العمل الصالح، فاعلم أن عطف الشئ على الشئ يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك فى الحكم الذى ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٨٧).

(٢) رواه مسلم [٥٤]، وأبو داود [٥١٩٣]، والترمذي [٢٦٨٨]، وابن ماجه [٦٨، ٣٦٩٢]، وأحمد (٢/ ٣٩١، ٤٤٢)، والبخاري في «الأدب» [٩٨٠]، وأبو عوانة (١/ ٣٠)، وابن حبان [٢٣٦]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم [١٠٢]، وأبو داود [٣٤٥٢]، والترمذي [١٣١٥]، وابن ماجه [٢٢٢٤]، وأحمد (٢/ ٢٤٢)، وأبو عوانة (١/ ٥٧)، وأبو يعلي [٦٥٢٠]، وابن حبان [٤٩٠٥]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قصة.
ورواه مسلم [١٠١]، وأحمد (٢/ ٤١٧)، بلفظ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا**» ورواه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٠)، والطحاوي في «شرح المشكل» [١٣٣٠]، مختصراً.

(٤) رواه البخاري [٦٨٧٤]، ومسلم [٩٨]، والنسائي (٧/ ١٠٨)، وأحمد (٢/ ٣، ١٦، ٥٣)، والطيالسي [١٨٢٨]، وأبو عوانة (١/ ٥٨)، وأبو يعلي [٥٨٢٧]، والطحاوي في «شرح المشكل» [١٣٢٢]، وابن حبان [٤٥٩٠]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أعلاها: أن يكونا متباينين، وليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ [الأنعام: ١]. ﴿**وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾ [آل عمران: ٣]. وهذا هو الغالب.

ويليه: أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿**وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٤٢]. ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [المائدة: ٩٢].

الثالث: عطف بعض الشئ عليه، كقوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى**﴾ [البقرة: ٢٣٨]. ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ [البقرة: ٩٨]. ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ**﴾ [الأحزاب: ٧].

وفى مثل هذا وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً فى الأول فيكون مذكوراً مرتين.

والثانى: أن عطفه عليه يقتضى أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك فى لفظ «الفقراء والمساكين» ونحوه مما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

الرابع: عطف الشئ على الشئ لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾ [غافر: ٣]. وقد جاء فى الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

فألفى قولها كذباً ومينا

ومن الناس من زعم أن في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة: ٤٨]. والكلام على ذلك معروف في موضعه.

فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه، نظرنا في كلام الشارع: كيف ورد فيه الإيمان، فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر، والتقوى، والدين، ودين الإسلام.

ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾ [البقرة: ١٧٧]، الآيات.

قال محمد بن نصر: حدثنا إسحق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن زيد ابن يزيد المقرى، والملائى، قالا: حدثنا المسعودى، عن القاسم، قال: جاء رجل إلى أبى ذر ﷺ، فسأله عن الإيمان، فقرأ: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**﴾، إلى آخر الآية، فقال الرجل: ليس عن هذا سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فسأله عن الذى سألتنى عنه، فقرأ عليه الذى قرأت عليك، فقال له الذى قلت لى، فلما أبى أن يرضى، قال: «**إن المؤمن الذى إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها**»[1] وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب.

---

(١) **إسناده ضعيف**. رواه ابن نصر في «الصلاة» [٤٠٨]، كما ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ، وإسناده ضعيف لانقطاعه القاسم لم يدرك أبا ذر ﷺ كما في «تهذيب الكمال»، والمسعودي صدوق اختلط قبل موته كما في «التقريب»، وقال ابن كثير في «التفسير» (١/ ٢٠٨): منقطع. اهـ.
ويغني عنه ما رواه أحمد (٥/ ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥)، وابن حبان [١٧٦]، والحاكم =

وفى «الصحيح» قوله لوفد عبد القيس: **«آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم»** (١).

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر فى مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان.

وأىُّ دليل على أن الأعمال داخلة فى مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود. وفى «المسند» عن أنس، عن النبى ﷺ، أنه قال: **«الإسلام علانية، والإيمان فى القلب»** (٢).

وفى هذا الحديث دليل على المغايرة بين الإسلام والإيمان، ويؤيده حديث جبريل عليه السلام، وقد قال فيه النبى ﷺ: **«هذا جبريل أتاكم يعلمكم**

= (١/١٤)، والطبراني في «الكبير» [٧٥٣٩]، من طريق يحيي بن أبي كثير، عن زيد ابن سلام، عن جده أبي سلام، عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: **«إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن»**. وإسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، وصححه الحاكم.

(١) رواه البخاري [٥٣]، ومسلم [١٧]، وأبو داود [٤٦٧٧]، والترمذي [٢٦١١]، والنسائي (٨/١٠٥)، وأحمد (١/٢٢٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) **اسناده ضعيف**. رواه أحمد (٣/١٣٥)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» [٦]، وأبو يعلي [٢٩٢٣]، والبزار [كشف الأستار - ٢٠]، وابن عدي في «الكامل» (٥/١٨٥٠)، من طريق علي بن مسعدة، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه به.
ورجاله ثقات، سوي علي بن مسعدة، فإنه صدوق يهم كما في «التقريب»، وقال البخاري فيه نظر (الميزان - ٣/١٠٦)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/١١١): كان ممن يخطئ علي قلة روايته، وينفرد بما لا يتابع عليه، فاستحق ترك الاحتجاج به بما لا يوافق الثقات من الأخبار. اهـ.

دينكم»[1] فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فبين أن ديننا يجمع الثلاثة. لكن هو درجات ثلاث: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن. والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعا، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان. هذا محال. وهذا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد.

وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن فإنه معرض للوعيد.

فأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام. فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين، وهذا كالرسالة والنبوة، فالنبوة داخلة فى الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبى، ولا ينعكس.

وقد صار الناس فى مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال:

فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة.

وطائفة أجابوا بما أجاب به النبى ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان

(١) سبق تخريجه (١٥/٢).

بالأصول الخمسة.

وطائفة جعلوا الإسلام مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: «**إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة**» [1]، الحديث: شعائر الإسلام. والأصل عدم التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم قالوا: الإسلام والإيمان شيء واحد، فيكون الإسلام هو التصديق، وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النبي ﷺ: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت**» [2] وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة. فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نجيب بغير ما أجاب النبي ﷺ.

وأما إذا أفرد اسم الإيمان فانه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلماً ولا يقال له مؤمن؟ وقد تقدم الكلام فيه.

وكذلك هل يستلزم الإسلام الإيمان؟ فيه النزاع المذكور. وإنما وعد الله بالجنة في القرآن وبالنجاة من النار باسم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. وقال تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [الحديد: ٢١].

وأما اسم الإسلام مجرداً فما علق به في القرآن دخول الجنة، لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه، وبه بعث النبيين

(١) سبق تخريجه (٢/١٥).
(٢) رواه البخاري [١١٢٠]، ومسلم [٧٦٩]، وأبو داود [٧٧١]، والترمذي [٣٤١٨]، والنسائي (٣/١٧٠)، وابن ماجه [١٣٥٥]، وأحمد (١/٢٩٨، ٣٠٨).

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان فى الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى فى المعنى والحكم كشىء واحد. كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه.

ونظائر ذلك فى كلام الله ورسوله وفى كلام الناس كثيرة، أعنى فى الإفراد والاقتران.

منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفرداً فى وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]. ونظائره كثيرة، وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه.

وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ الفقير والمسكين، وأمثال ذلك.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان، قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]، إلى آخر السورة، وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾: انقدنا بظواهرنا، فهم منافقون فى الحقيقة، وهذا أحد قولى المفسرين فى هذه الآية الكريمة. وأجيب بالقول الآخر ورجح، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملى

الإيمـان، لا أنهم منافـقـون كـمـا نفى الإيمـان عن القـاتل، والزانى، والسارق، ومن لا أمانة له. ويؤيد هذا سباقُ الآية وسياقها، فإن السورة من أولهـا إلى هنا فى النهى عن المعـاصى، وأحكام بعض العـصـاة، ونحوذلك، وليس فيها ذكر المنافقين. ثم قال بعد ذلك: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا** ﴾ [الحجرات: ١٤]، ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [الحجرات: ١٥]، الآية، يعنى ـ والله أعلم ـ أن المؤمنين الكاملى الإيمـان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منفى عنكم الإيمـان الكامل. يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لايقال له ذلك، ولو كـانوا منافـقـين لنفى عنهم الإسـلام، كـمـا نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمنوا بإسلامهم، فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمنوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحا لقال: لم تسلموا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم فى قولهم: ﴿ **نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ** ﴾ [المنافقون: ١]. والله أعلم بالصواب.

وينتفى بعد هذا التقرير والتفصيل دعوى الترادف، وتشنيع من ألزم بأن الإسلام لو كان هو الأمور الظاهرة لكان ينبغى أن لا يقابل إلا ذلك، ولا يقبل إيمان المخلص، وهذا ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد، فانظر إلى كلمة الشهادة، فإن النبى ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله**»[1]، الحديث فلو قالوا: لا إله إلا الله،

---

(١) سبق تخريجه (١/١٧).

وأنكروا الرسالة، ما كانوا يستحقون العصمة، بل لا بد أن يقولوا: لاإله إلا الله قائمين بحقها ولا يكون قائماً بـ« لا إله إلا الله » حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمداً رسول الله، لا يكون قائماً بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول فى كل ما جاء به، فانتظمت التوحيد، وإذا ضمت شهادة أن لاإله إلا الله إلى شهادة أن محمداً رسول الله، كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة كذلك الإسلام والإيمان: إذا قرن أحدهما بالآخر، كما فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقوله ﷺ: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت**» (١) كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر، وكما قال ﷺ: «**الإسلام علانية والإيمان فى القلب**» (٢) وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما فى الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظى الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فهل يقال فى قوله تعالى: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ**﴾ [المائدة: ٨٩]. أنه يعطى المقل دون المعدم، أو بالعكس؟ وكذا فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٧١].

ويندفع أيضاً تشنيع من قال: ما حكم من آمن ولم يسلم؟ أو أسلم ولم يؤمن؟ فى الدنيا والآخرة؟ فمن أثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر ظهر بطلان قوله.

ويقال له فى مقابلة تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله

---

(١) سبق تخريجه (٢/١٢٩).

(٢) سبق تخريجه (٢/١٢٧).

تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]. فجعلهما غيرين. وقد قيل لرسول الله ﷺ: مالك عن فلان والله إنى لأراه مؤمناً؟ قال: «**أو مسلماً**»(١)، قالها ثلاثاً، فأثبت له اسم الإسلام وتوقف فى اسم الإيمان، فمن قال: هما سواء كان مخالفاً، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله. وقد يتراءى فى بعض النصوص معارضة ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن فى التوفيق، وبالله التوفيق.

وأما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦] على ترادف الإسلام والإيمان فلا حجة فيه؛ لأن البيت المخرج كانوا موصوفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبى حنيفة رضي الله عنه، وإنما هى من الأصحاب، فإن غالبها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة. وقد حكى الطحاوى حكاية أبى حنيفة مع حماد بن زيد وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: «أى الإسلام أفضل»(٢) إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أى الإسلام أفضل، قال: «**الإيمان**»، ثم جعل الهجرة والجهاد من

---

(١) رواه البخاري [٢٧]، ومسلم [١٥٠]، وأبو داود [٤٦٨٣]، والنسائي (٨/٩٢)، وأحمد (١/١٧٦، ١٨٢)، والحميدي [٦٨]، وعبد بن حميد [١٤٠]، وأبو يعلي [٧١٤]، وابن حبان [١٦٣]، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) **إسناده صحيح**. رواه عبد الرزاق [٢٠١٠٧]، وعنه أحمد (٤/١١٤)، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله: ما الإسلام، قال: «**أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**» قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**»ـ الحديث.
وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين.

الإيمان؟ فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بم أجيبه؟ وهو يحدثنى بهذا عن رسول الله ﷺ.

ومن ثمرات هذا الاختلاف: مسألة الاستثناء فى الإيمان، وهو أن يقول أى الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله. والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال.

أما من يوجبه فلهم مأخذان:

أحدهما: أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة وما سبق فى علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذى يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان، كالصلاة التى أفسدها صاحبها قبل الكمال والصيام الذى يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يحب فى الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد، وليس هذا قول السلف، ولا كان يعلل بهذا من يستثنى من السلف فى إيمانه، وهو فاسد؛ فإن الله تعالى قال: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل منهم يستثنى فى الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله، ونحو ذلك،

يعنى القبول. ثم صار كثير منهم يستثنون فى كل شىء، فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله. هذا حبل إن شاء الله. فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه؟ يقولون: نعم لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره!!.

المأخذ الثانى: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله المقربين. وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغى أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال.

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ [الفتح: ٢٧]. وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[١] وقال أيضاً: «**إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله**»[٢] ونظائر هذا.

وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا

---

(١) رواه مسلم [٢٤٩]، وأبو داود [٣٢٣٧]، والنسائي (١/٧٩)، وابن ماجه [٤٣٠٦]، وأحمد (٢/٣٠٠، ٣٧٥)، ومالك (ص: ٤٤)، وابن خزيمة [٦]، وابن حبان [١٠٤٦]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي الباب من حديث عائشة، وبريدة رضي الله عنهم، وسيأتي تخريجهما (٢/٢٧٩).
(٢) رواه مسلم [١١١٠]، وأبو داود [٢٣٨٩]، والنسائي في «الكبري» [٣٠٢٥]، وأحمد (٦/٦٧، ١٥٦)، ومالك (ص: ١٩٤)، وأبو يعلي [٤٤٢٧]، وابن خزيمة [٢٠١٤]، وابن حبان [٣٤٩٢]، من حديث عائشة رضي الله عنها.

أعلم أنى مؤمن، كما أعلم أنى تكلمت بالشهادتين، فقولى: أنا مؤمن، كقولى: أنا مسلم، فمن استثنى فى إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون فى إيمانهم الشكاكة، وأجابوا عن الاستثناء الذى فى قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه. وقيل: لتدخلن جميعاً أو بعضكم، لأنه علم أن بعضهم يموت.

وفى كلا الجوابين نظر: فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك فى الدخول، ولا فى الأمن، ولا فى دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلاشك فيه أيضاً، فكان قول: إن شاء الله هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على أن يفعله لامحالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك فى إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف فى مثل هذه اليمين" ؛ لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثنى إذا أخبرنا عن مستقبل وفى كون هذا المعنى مراداً من النص نظر فإنه ما سيق الكلام له إلا أن يكون مراداً من إشارة النص.

وأجاب الزمخشرى بجوابين آخرين باطلين، وهما: أن يكون الملك قد قاله، فأثبت قرآناً. أو أن الرسول قاله!!.

وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها: فإن أراد المستثنى الشك فى أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين

وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]. فالاستثناء حينئذ جائز وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى.

قوله: «**وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق**».

يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر ـ وإن كان قطعي السند ـ لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين؛ وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات. قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها، فسدّوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية، سموها قواطع عقلية، وبراهين يقينية وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩-٤٠].

ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحى، وعزلوا لأجلها النصوص؛ فاقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بقضايا العقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية، ولو حكموا نصوص الوحى لفازوا بالمعقول الصحيح، الموافق للفطرة السليمة.

بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً: فيما وافقه قال: إنه محكم، وقبله واحتج به، وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تفويضاً، أو حرفه، وسمى تحريفه تأويلاً! فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم.

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول ولا قول فلان، كما أشار إليه الشيخ رحمه الله. وكما قال البخارى رحمه الله: سمعت الحميدى يقول: كنا عند الشافعى رحمه الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال قضى فيها رسول الله كذا وكذا فقال رجل للشافعى: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله، ترانى فى كنيسة. ترانى فى بيعة. ترى على وسطى زناراً؟ أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟!.

ونظائر ذلك فى كلام السلف كثير.

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقينى عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمى المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة فى ذلك نزاع، كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما

الأعمال بالنيات» [١]، وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: «**نهى عن بيع الولاء وهبته»** [٢]، وخبر أبي هريرة رضي الله عنه: «**لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»** [٣]، وكقوله: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»** [٤] وأمثال ذلك، وهو نظير خبر الذى أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة، فاستداروا إليها [٥].

وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله؛ لأنه خبر واحد، وقد قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ [التوبة: ٣٣]. فلابد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه؛ لئلا تبطل حججه وبيناته.

ولهذا فضح الله من كذب على رسوله فى حياته وبعد وفاته، وبين

---

(١) سبق تخريجه (١/١٤٨).

(٢) رواه البخاري [٢٥٣٥]، ومسلم [١٥٠٦]، وأبو داود [٢٩١٩]، والترمذي [١٢٣٦]، والنسائي (٧/٢٦٩، ٢٧٠)، وابن ماجه [٢٧٤٧]، وأحمد (٢/٩، ٧٩)، من حديث عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري [٥١٠٩، ٥١١٠]، ومسلم [١٤٠٨]، وأبو داود [٢٠٦٥]، والترمذي [١١٢٥، ١١٢٦]، والنسائي (٦/٧٩)، وابن ماجه [١٩٢٩]، وأحمد (٢/٤٦٢، ٤٦٥).

(٤) رواه البخاري [٢٦٤٥]، ومسلم [١٤٤٧]، والنسائي (٦/٨٣)، وابن ماجه [١٩٣٨]، وأحمد (١/٢٧٥، ٢٩٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وفي الباب من حديث عليّ، وعائشة، وأم حبيبة رضي الله عنهم.

(٥) رواه البخاري [٤٠٣]، ومسلم [٥٢٦]، وأبو عوانة (١/٢٩٤)، والدارقطني (١/٢٧٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلي الشام فاستداروا إلي الكعبة.
وفي الباب من حديث البراء، وأنس، وسهل بن سعد رضي الله عنهم.

حاله للناس قال سفيان بن عيينة: ما ستر الله أحداً يكذب فى الحديث. وقال عبد الله بن المبارك: لو هَمَّ رجل فى السَّحَرِ أن يكذِبَ فى الحديث، لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب.

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لاينالـه أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشتغلاً بالحديث، والبحث عن سيرة الرواة؛ ليقف على أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً فى كلمة يتقولها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، فهم يَزَكُ الإسلام وعصابة الإيمان، وهم نقاد الأخبار، وصيارفة الأحاديث، فإذا وقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه.

ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم من العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره، ما ليس لغيرهم به شعور، فضلاً أن يكون معلوماً لهم أو مظنوناً. كما أن النحاة عندهم من أخبار سيبويه والخليل وأقوالهما ما ليس عند غيرهم، وعند الأطباء من كلام بقراط وجالينوس ماليس عند غيرهم وكل ذى صنعة هو أخبر بها من غيره، فلو سألت البقال عن أمر العطر، أو العطار عن البز، ونحو ذلك.. لعد ذلك جهلاً كبيراً.

و لكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]: مستنداً لهم فى رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم وما وضعت خواطرهم وأفكارهم ردوه

بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تلبيساً منهم وتدليساً على من هو أعمى قلباً منهم وتحريفاً لمعنى الآية عن مواضعه.

ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أنه يقتضى إثباتها التمثيل بما للمخلوقين ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تحريفاً للنصين!! ويصنفون الكتب، ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذى أمر الله به وجاء من عنده ويقرأون كثيراً من القرآن ويفوضون معناه إلى الله تعالى من غير تدبر لمعناه الذى بيَّنه الرسول، وأخبر أنه معناه الذى أراده الله.

وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث، وقص ذلك علينا من خبرهم؛ لنعتبر وننزجر عن مثل طريقتهم، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، إلى أن قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. والأمانى: التلاوة المجردة، ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. فذمهم على نسبة ما كتبوه إلى الله وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضاً من الدنيا مالاً أو رياسة، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، فى القول والعمل، بمنه وكرمه.

ويشير الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: «من الشرع والبيان». إلى أن ما صح عن النبى ﷺ نوعان: شرع ابتدائى، وبيان لما شرعه الله تعالى فى كتابه العزيز وجميع ذلك حق واجب الاتباع.

وقوله: «وأهله فى أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى»، وفى بعض النسخ: «بالخشية والتقى» بدل قوله: «بالحقيقة». ففى العبارة الأولى يشير إلى أن الكل مشتركون فى أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم تنظيره بقوة البصر وضعفه، وفى العبارة الأخرى يشير إلى أن التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، أما التصديق فلا تفاوت فيه. والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.

قوله: «**والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن**».

ش: قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] الآية، الولى: من «الولاية» بفتح الواو، التى هى ضد العدواة، وقد قرأ حمزة: ﴿**مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الأنفال: ٧٢]، بكسر الواو، والباقون بفتحها. فقيل: هما لغتان. وقيل: بالفتح النصرة وبالكسر الإمارة. قال الزجاج: وجاز الكسر؛ لأن فى تولى بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسور، مثل: الخياطة ونحوها.

فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ [البقرة: ٢٥٧]، الآية، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد: ١١]. والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١] الآية، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾

[الأنفال: ٧٢]. إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم. فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. فالله تعالى ليس له ولى من الذل، بل لله العزة جميعا، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولى ينصره.

والولاية أيضاً نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ: أن أهلها فى أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة: فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤]. فـ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ منصوب على أنه صفة «أولياء الله»، أو بدل منه، أو بإضمار «أمدح»، أو مرفوع بإضمار «هم»، أو خبر ثان لـ«إن»، وأجيز فيه الجر، بدلاً من ضمير «عليهم».

وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور فى الآيات الثلاث وهى عبارة عن موافقة الولى الحميد فى محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تمزق ولا رياضة. وقيل: «الذين آمنوا» مبتدأ، والخبر: «لهم

البشرى»، وهو بعيد، لقطع الجملة مما قبلها، وانتثار نظم الآية.

ويجتمع فى المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وإن كان فى هذا الأصل نزاع لفظى بين أهل السنة، ونزاع معنوى بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم فى الإيمان، ولكن موافقة الشارع فى اللفظ والمعنى أولى من موافقته فى المعنى وحده قال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿**قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات: ١٤] الآية. وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين. وقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً، ومن كانت فيه خَلَّةٌ منهن كانت فيه خَلَّةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»[١] وفى رواية «**وإذا ائتمن خان**» بدل: «**وإذا وعد أخلف**». أخرجاه فى «الصحيحين»، وحديث: شعب الإيمان تقدم[٢]. وقوله ﷺ: «**يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[٣].

فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد فى النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب فى النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصى من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود ورأس شعب الإيمان التصديق.

---

(١) سبق تخريجه (٢/٨٧).
(٢) سبق تخريجه (٢/١١٥).
(٣) سبق تخريجه (١/٢٣٨).

وأما ما يروى مرفوعاً إلى النبى ﷺ أنه قال: «**ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولى لله، لاهم يدرون به، ولا هو يدرى بنفسه**»[1] فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفاراً، وقد يكونون فساقاً يموتون على الفسق.

وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون فى قوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] الآية.

والتقوى هى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ إلى قوله: ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون. فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح. والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. كما فى «صحيح البخارى» عن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددى**

---

(١) **باطل لا أصل له**. ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١ / ٢٧١)، وقال: قال القاري: لا أصل له، وهو كلام باطل. اهـ.
وذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوي» (١١ / ٦٠)، وقال: من الأكاذيب ليس في شئ من دواوين الإسلام. اهـ.

عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» [1].

والولى: خلاف العدو، وهو مشتق من الولى، وهو الدنو والتقرب، فولى الله: هو من والى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. قال أبو ذر ﷺ: لما نزلت هذه الآية، قال النبى ﷺ: «**يا أبا ذر، لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم**» [2]، فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات.

قوله: «**وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن**».

ش: أى: أكرم المؤمنين هو الأطوع لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]. وفى «السنن» عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا فضل لعربى على عجمي، ولا لعجمى على عربى، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض،**

---

(١) رواه البخاري [٦٥٠٢] بلفظ: «**فقد آذنته بالحرب**».
ورواه ابن حبان [٣٤٧] بلفظ: «**فقد أذني**».
ورواه البيهقي (٣/٣٤٦) بلفظ: «**فقد بارزني بالحرب**».

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه النسائي في «الكبري» [١١٦٠٣]، وابن ماجه [٤٢٢٠]، والحاكم (٢/٤٩٢).
ورواه أحمد (٥/١٧٨)، وابن حبان [٦٦٦٩]، مطولاً من طريق أبي السليل ضريب بن نفير، عن أبي ذر ﷺ به.
وإسناده ضعيف لانقطاعه، أبو السليل لم يدرك أبا ذر ﷺ كما قال المزيّ في «تهذيب الكمال» (١٣/٣١٠). وقال البوصيري في«الزوائد» [١٥٠٧]: هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، أبو السليل لم يدرك أبا ذر ﷺ. اهـ.

إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب» [1]. وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم فى مسألة الفقير الصابر والغنى الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إل ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة فى نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا ـ والله أعلم ـ قال عمر ﷺ: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالى أيهما ركبتُ [2]. الفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: **﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾** [الفجر: ١٥]، فإن استوى الفقير الصابر والغنى الشاكر فى التقوى، استويا فى الدرجة، وإن فضل أحدهما فيها، فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٥/٤١١)، عن إسماعيل، عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي علي أعجمي**» ـ الحديث.
ورجاله ثقات، والرجل المبهم الذي روي عنه أبو نضرة، هو أبو سعيد الخدري ﷺ كما جاء في رواية الطبراني في «الأوسط» [٤٧٤٩]، من طربق أبي المنذر الوراق، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً به مختصراً. وإسناده ضعيف فيه، أبو المنذر الوراق، ضعفه البخاري في «التاريخ» (٨/٣٨٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/٢٢٧)، ورواه أيضا البزار [مختصر الزوائد ـ ١٧٤٥]، من طريق جعفر ابن سليمان، عن الجريري، عن أبي نضرة قال: ولا أعلمه إلا عن أبي سعيد ﷺ ـ فذكره مختصراً بدون وجه الشاهد، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٨٤).
والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) لم أجده من قول عمر ﷺ، وقد روي أحمد في «الزهد» (ص: ١٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٣٢)، والطبراني في «الكبير» [٨٥٠٥]، من طريق المسعودي، عن علي بن بذيمة، عن قيس بن حبتر، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: يا حبذا المكروهان الموت والفقر، وأيم الله ما هو إلا الغني والفقر، وما أبالي بأيهما ابتليت، إن كان الغني إن فيه للعطف، وإن كان الفقر إن فيه للصبر.

والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر: وهو أن الإيمان نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، فكل منهما لابد له من صبر وشكر، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر، وفرعاً من الشكر، وأخذوا في الترجيح، فجردوا غنياً منفقاً متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً لله عليه، وفقيراً متفرغاً لطاعة الله، ولأوراد العبادات، صابراً على فقره، وحينئذ يقال: إن أكملهما أطوعهما وأتبعهما، فإن تساويا، تساوت درجتهما، والله أعلم. ولو صح التجريد، لصح أن يقال: أيما أفضل معافى شاكر، أو مريض صابر، ومطاع شاكر، أو مهان صابر، وآمن شاكر، أو خائف صابر؟ ونحو ذلك.

قوله: «**والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى**».

ش: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام، فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**». وسأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره**». وسأله عن الإحسان، فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]. وقد ثبت في «الصحيح» عنه ﷺ: أنه كان يقرأ في ركعتي

---

(١) سبق تخريجه (٢/١٥).

الفجر تارة بسورتى الإخلاص: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١][١]، وتارة بآيتى الإيمان والإسلام: التى فى سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، والتى فى آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤][٢]. وفسر ﷺ الإيمان فى حديث وفد عبد قيس، المتفق على صحته، حيث قال لهم: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»[٣].

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر فى غير موضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الآية [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

---

(١) رواه مسلم [٧٢٦]، وأبو داود [١٢٥٦]، والنسائي (٢/١٢٠)، وابن ماجه [١١٤٨]، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه مسلم [٧٢٧]، وأبو داود [١٢٥٩]، والنسائي (٢/١٢٠)، وأحمد (١/٢٣٠)، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) سبق تخريجه (٢/١٢٧).

تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]، نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية: دل على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها، كان من أهل الوعيد، لم يكن أتى بالإيمان الواجب الذى وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب.
ولا يقال: إن بين تفسير النبى ﷺ الإيمان فى حديث جبريل وتفسيره إياه فى حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنه فسر الإيمان فى حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر مع الأعمال التى ذكرها فى تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذى قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسره ابتداء، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام، ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان فحديث وفد عبد القيس مشكل عليه.

ومما يسأل عنه: أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من الخصال الخمس التى أجاب بها النبى ﷺ فى حديث جبريل المذكور، فلم قال: إن الإسلام هذه الخصال الخمس؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده.

والتحقيق: أن النبى ﷺ ذكر الدين الذى هو استسلام العبد لربه مطلقاً الذى يجب لله عبادة محضة على الأعيان، فيجب على كل من كان قادراً عليه، ليعبد الله بها مخلصاً له الدين، وهذه هى الخمس، وما سوى ذلك، فإنما يجب بأسباب مصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس، بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية، كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وما يتبع ذلك من إمارة، وحكم، وفتيا، وإقراء، وتحديث،

وغير ذلك.

وإما أن يجب بسبب حق الآدميين، فيختص به من وجب له وعليه، وقد يسقط بإسقاطه، من قضاء الديون، ورد الأمانات والمغصوب، والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض، وحقوق الزوجة والأولاد، وصلة الأرحام، ونحو ذلك، فإن الواجب من ذلك على زيد غير الواجب على عمرو، بخلاف صوم رمضان، وحج البيت، والصلوات الخمس، والزكاة، فإن الزكاة وإن كانت حقاً مالياً، فإنها واجبة لله، والأنصاف الثمانية مصارفها، ولهذا وجبت فيها النية، ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه، ولم تطلب من الكفار. وحقوق العباد لا يشترط لها النية، ولو أداها غيره عنه بغير إذنه، برئت ذمته، ويطالب بها الكفار، وما يجب حقا لله تعالى، كالكفارات، هو بسبب من العبد، وفيها معنى العقوبة، ولهذا كان التكليف شرطاً فى الزكاة، فلا تجب على الصغير، والمجنون، عن أبى حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، على ما عرف فى موضعه.

وقوله: «والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى» تقدم قوله ﷺ فى حديث جبريل عليه السلام: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1] وقال تعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿**إِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء: ٧٨، ٧٩].

---

(١) سبق تخريجه (٢/١٥).

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟ قيل: قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: الخصب والجدب، والنصر والهزيمة، كلها من عند الله، وقوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أى: ما أصابك من سيئة من الله، فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ «وأنا كتبتها عليك» [(١)].

والمراد بالحسنة هنا: النعمة، والسيئة: البلية، فى أصح الأقوال، وقد قيل: الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية، وقيل: الحسنة: ما أصابه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد، والقول الأول شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثانى ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾، فإنهم يقولون: إن فعل العبد ـ حسنة كان أو سيئة ـ فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرقون، ولأنه قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾، فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله،

---

(١) قال السيوطي في «الدر المنثور» (٢/١٨٥): أخرج ابن المنذر من طريق مجاهد أن ابن عباس كان يقرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك. قال مجاهد: وكذلك في قراءة أُبيّ، وابن مسعود. اهـ.

وهم لا يقولون بذلك فى الأعمال، بل فى الجزاء. وقوله بعد هذا ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ**﴾ و ﴿**مِن سَيِّئَةٍ**﴾ مثل قوله: ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ**﴾، و﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾.

وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التى هى النعم، وبين السيئات التى هى المصائب فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضى الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهى باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

ولهذا كان النبى ﷺ يقول فى الاستفتاح: «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**»[1] أى: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه، ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئى إضافى، فأما شر كلى، أو شر مطلق، فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذى ليس إليه.

ولهذا لا يضاف الشر إليه مفرداً، بل إما أن يدخل فى عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿**كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٧٨]، وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: ﴿**مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ [الفلق: ٢]، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾ [الجن: ١٠].

---

(١) رواه مسلم [٧٧١]، وأبو داود [٧٦٠]، والترمذي [٣٤٢٢]، والنسائي (٢/ ١٠٠، ١٠١)، وأحمد (١/ ١٠٢)، من حديث علي رضي الله عنه مطولاً. وأوله: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**» ـ الحديث.

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع فى المخلوقات ما هو شر جزئى بالإضافة، يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً ومصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام.

وهذا مما يقتضى أنه لا يجوز أن يؤيد كذاباً عليه بالمعجزات التى أيد بها الصادقين، فإن هذا شر عام للناس يضلهم، فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم.

وليس هذا كالملك الظالم والعدو، فإن الملك الظالم لابد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه، وقد قيل: ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام، وإذا قدر كثرة ظلمه، فذاك خير فى الدين، كالمصائب، تكون كفارة لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليه، ويرجعون فيه إلى الله، ويستغفرونه ويتوبون إليه، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو، ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الظالمين مدة، وأما المتنبئون الكاذبون، فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم، لأن فسادهم عام فى الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

وفى قوله: ﴿**فَمِن نَّفْسِكَ**﴾، من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشر كامن فيها، لا يجئ إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه، فإن ذلك من السيئات التى أصابته، وهى إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته،

فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فإنه إذا هداه هذا الصراط، أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله بعض المفسرين: إنه قد هداه! فلماذا يسأل الهدى؟! وأن المراد التثبيت، أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه من تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى أن يلهمه أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريداً للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتدياً، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادراً على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاونا وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تثبيت، وهي آخر الرتب.

وبعد ذلك كله هداية أخرى، وهي الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة. ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة، لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شئ أحوج منهم إلى هذا الدعاء، فيجب أن يعلم أن الله بفضل رحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب

المقتضية للخير، المانعة من الشر، فقد بين القرآن أن السيئات من النفس، وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كلها من الله تعالى.

وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يشكر سبحانه، وأن يستغفره العبد من ذنوبه، وأن لا يتوكل إلا عليه وحده، فلا يأتى بالحسنات إلا هو؛ فأوجب ذلك توحيده، والتوكل عليه وحده، والشكر له وحده، والاستغفار من الذنوب.

وهذه الأمور كان النبى ﷺ يجمعها فى الصلاة، كما ثبت عنه فى «الصحيح»: أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه**»[1]. «**ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شئ بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد**»[2]. فهذا حمد، وهو شكر لله تعالى، وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك: «**لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

وهذا تحقيق لوحدانيته، لتوحيد الربوبية، خلقاً وقدراً، وبداية وهداية، هو المعطى المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع،

---

(١) رواه البخاري [٧٩٩]، وأبو داود [٧٧٠]، والنسائي (٢/ ١٥٤)، وأحمد (٤/ ٣٤٠)، من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه قال: كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده»، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً ـ الحديث.
وفي الباب من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم [٤٧٧]، وأبو داود [٨٤٧]، وأحمد (٣/ ٨٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربنا لك الحمد، ملء السموات والأرض، وملء ما شئت من شئ بعد، أهل الثناء والمجد» ـ الحديث.

ولتوحيد الإلهية، شرعاً وأمراً ونهياً، وهو أن العباد وإن كانوا يعطون جداً ملكاً وعظمة وبختاً ورياسة فى الظاهر، أو فى الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا ينفع ذا الجد منك الجد، أى: لا ينجيه، ولا يخلصه، ولهذا قال: «لا ينفعه منك» ولم يقل: «ولا ينفعه عندك» لأنه لو قيل ذلك أوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره.

فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد، وتحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره، لكان الواجب أن لا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسأل إلا هو، ولا يستغيث إلا به، ولا يستعان إلا هو، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا به. فكيف وليس شئ من الأسباب مستقلاً بمطلوب، بل لابد من انضمام أسباب أخر إليه، ولابد أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود، فكل سبب، فله شريك، وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه، ولم ينصرف عنه ضده، لم تحصل مشيئته.

والمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذى إلا بما جعل فى البدن من الأعضاء والقوى، ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات.

والمخلوق الذى يعطيك أو ينصرك، فهو - مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل - فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة، خارجة عن

قدرته، تعاونه على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولابد أن يصرف عن الأسباب المتعاونة ما يعارضها ويمانعها، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضى وعدم المانع.

وكل سبب معين، فإنما هو جزء من المقتضى، فليس فى الوجود شئ واحد هو مقتضى تام، وإن سمى مقتضياً، وسمى سائر ما يعينه شروطاً، فهذا نزاع لفظى، وأما أن يكون فى المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها، فهذا باطل.

ومن عرف هذا حق المعرفة، انفتح له باب توحيد الله، وعلم أنه لا يستحق أن يسأل غيره، فضلاً عن أن يعبد غيره، ولا يتوكل على غيره، ولا يرجى غيره.

قوله: «**ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به**».

ش: الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان به تفصيلاً، وقوله «لا نفرق بين أحد من رسله» إلى آخر كلامه، أى: لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم، ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض، كافر بالكل، قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، فإن المعنى الذى لأجله آمن بمن آمن منهم، موجود فى الذى لم يؤمن به، وذلك الرسول الذى آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين، كان كافراً بمن فى زعمه أنه مؤمن به، لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين

كلهم، فكان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن، فكان من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قوله: «**وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فى النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم فى مشيئته وحكمه، وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل فى كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨]. **وإن شاء عذبهم فى النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته، ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا ولى الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به**».

ش: فقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فى النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهو موحدون» رد لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين أهل الكبائر فى النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان، لا بدخولهم فى الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ» تخصيصه أمة محمد، يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفى ذلك نظر، فإن النبى ﷺ أخبر أنه: «**يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من**

إيمـان» [1]، ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، وليس فى بعض النسخ ذكر الأمة.

وقوله: «فى النار» معمول لقوله: «لا يخلدون» وإنما قدمه لأجل السجعة، لا أن يكون فى النار خبراً لقوله: «وأهل الكبائر» كما ظنه بعض الشارحين.

واختلف العلماء فى الكبائر على أقوال:

فقيل: سبعة.

وقيل: سبعة عشر.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله.

وقيل: ذهاب الأموال والأبدان.

وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلاً، أو: إنها أخفيت كليلة القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

وقيل: كل ما نهى الله عنه، فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتب عليها حد، أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

واختلفت عبارة قائليه:

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٣٨).

منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة، أو غضب، أو نار.

ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد فى الدنيا ولا وعيد فى الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، فإن الوعيد الخاص فى الآخرة كالعقوبة الخاصة فى الدنيا، أعنى المقدرة، فالتعزير فى الدنيا نظير الوعيد بغير النار، أو اللعنة والغضب.

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنى، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه.

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس، وابن عيينة، وابن حنبل، وغيرهم.

الثانى: أن الله تعالى قال: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ [النساء:٣١]، فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشر، أو إلى

السبعين أقرب، مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلف فيه: يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك ـ ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك من الكبائر، وهذا فاسد.

ومن قال: ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان، يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات، ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصلا، أو إنها مبهمة، فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم.

وقوله: «وإن لم يكونوا تائبين» لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب.

وقوله: «بعد أن لقوا الله تعالى عارفين» لو قال: مؤمنين، بدل قوله: «عارفين» كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر. وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم، وقوله مردود باطل، كما تقدم، فإن إبليس عارف بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿قَالَ

﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وكأن الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء، التي يشير إليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم.

وقوله: «وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم، وعفا عنهم بفضله» إلي آخر كلامه، فصل الله تعالى بين الشرك وغيره، لأن الشرك أكبر الكبائر، كما قال ﷺ [(١)]، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور، وعلق غفران ما دونه بالمشيئة، والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران بالمشيئة، وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به، غير معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة.

وقوله: «ذلك أن الله مولى أهل معرفته» فيه مؤاخذة لطيفة، كما

---

(١) رواه البخاري [٢٦٥٤]، ومسلم [٨٧]، والترمذي [١٩٠١]، وأحمد (٥/٣٦)، من حديث أبي بكرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثًا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**» ـ الحديث.

تقدم.

وقوله: «اللهم يا ولى الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام ـ وفى نسخة: ثبتنا على الإسلام ـ حتى نلقاك به» روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى فى كتابه «الفاروق»، بسنده عن أنس ﷺ، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: «**يا ولى الإسلام وأهله، مسكنى بالإسلام حتى ألقاك عليه**»(1). ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة، وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه، حيث قال: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف: ١٠١]. وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه. حيث، قالوا: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٦]. ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمنى الموت، فلا دليل له فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

قوله: «**ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم**».

---

(1) **صحيح**. رواه أبو يعلي [المطالب العالية ـ ٣٢٥٥]، عن إسماعيل بن خالد القرشي، عن عتاب بن بشير، عن أبي الواصل عبد الحميد بن واصل، عن أنس ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**يا ولي الإسلام وأهله مسكني به حتي ألقاك به**»، وإسناده صحيح، رجاله ثقات، سوي عتاب بن بشير فإنه صدوق يخطئ، روي له البخاري كما في «التقريب»، وقد تابعه محمد بن سلمة، وخطاب بن القاسم، وكلاهما ثقة.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٦٦١]، من طريق محمد بن سلمة، وعتاب بن بشير، وخطاب بن القاسم، عن أبي الواصل، عن أنس ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**يا ولي الإسلام وأهله ثبتني به حتي ألقاك**».

قال ﷺ: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»[١]. رواه مكحول، عن أبى هريرة ﷺ، وأخرجه الدراقطنى، وقال مكحول: لم يلق أبا هريرة، وفى إسناده معاوية بن صالح، متكلم فيه، وقد احتج به مسلم فى صحيحه، وخرج له الدراقطنى أيضاً، وأبو داود، عن مكحول، عن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم بر وفاجر، وإن هو عمل بالكبائر، والجهاد واجب مع كل أمير بر وفاجر، وإن عمل الكبائر**»[٢].

وفى صحيح البخارى: أن عبد الله بن عمر ﷺ كان يصلى خلف الحجاج بن يوسف الثقفى[٣]، وكذا أنس بن مالك[٤]، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً.

وفى صحيحه أيضاً، أن النبى ﷺ قال: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم**»[٥].

---

(١) **ضعيف**. رواه الدارقطني (٢/٥٧)، والبيهقي (٤/١٩)، من طريق مكحول، عن أبي هريرة ﷺ وإسناده ضعيف لانقطاعه مكحول لم يسمع أبا هريرة ﷺ كما قال الدارقطني، والحافظ في «التلخيص» (٢/٣٥)، وقال العقيلي في «الضعفاء» (٩٠/٣): ليس في هذا المتن إسناد يثبت. اهـ. وقال أبو أحمد الحاكم: هذا حديث منكر.اهـ. (تلخيص الحبير - ٢/٣٥).

(٢) **إسناده ضعيف**. هو إحدي ألفاظ الحديث السابق، وهذا اللفظ رواه أبو داود [٥٩٤]، والدارقطني (٢/٥٦)، والبيهقي (٣/١٢١)، بإسناد الحديث السابق.

(٣) رواه البخاري [١٦٦٠]، والنسائي (٥/٢٠٣)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٢٥٩)، وابن خزيمة [٢٨١٠]، ولم تصرح هذه الروايات بصلاة ابن عمر خلف الحجاج، وقد جاء التصريح بذلك فيما رواه الشافعي في «الأم» (١/١٥٨)، والبيهقي (٣/١٢١)، من طريق نافع أن ابن عمر ﷺ اعتزل بمني في قتال ابن الزبير، والحجاج بمني فصلي مع الحجاج.

(٤) لم أعثر عليه، ولعل المصنف استنبطه من إقامة أنس بن مالك بالبصرة وكان الحجاج أميرا عليها.

(٥) رواه البخاري [٦٩٤]، وأحمد (٢/٣٥٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله**»[1]. أخرجه الدراقطني من طرق، وضعفها.

اعلم، رحمك الله وإيانا: أنه يجوز للرجل أن يصلى خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلى خلف المستور الحال.

ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذى لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام فى صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك، فإن المأموم يصلى خلفه، عند عامة السلف والخلف.

ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار، ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلى خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس

---

(١) **ضعيف**. رواه الدارقطني (٢/٥٦)، من طريق عثمان بن عبد الرحمن، عن عطاء، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً به.
وإسناده ضعيف جداً، فيه عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو متروك، وكذبه ابن معين كما في «التقريب»، ورواه الطبراني في «الكبير» [١٣٦٢٢]، وأبو نعيم في «الحليلة» (١٠/٣٢٠)، من طرق كلها ضعيفة، وذكرها الحافظ في «التلخيص» (٢/٣٥)، وبيَّن عللها، والحديث ضعفه النووي في «المجموع» (٥/١٦٧)، وعبد الحق في «الأحكام الوسطي» (١/٣٢٣)، وابن القطان في «بيان الوهم» (٣/١٩١)، والحافظ في «بلوغ المرام» [٤٥].

ﷺ، كما تقدم، وكذلك كان عبد الله مسعود ﷺ، وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟ ! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم فى زيادة [1] !!.

وفى «الصحيح»: أن عثمان بن عفان ﷺ لما حصر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذى يصلى بالناس إمام فتنة؟ ! فقال: يا ابن أخى، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم [2].

والفاسق والمبتدع صلاته فى نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماما للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان

---

(١) قصة صلاة الوليد بن عقبة وهو سكران مشهورة فقد روي مسلم [١٧٠٧]، من طريق حضين بن المنذر أبي ساسان قال: شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد قد صلي الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم ـ الحديث، ورواه النسائي في «الكبري» [٥٢٦٩]، بلفظ: «صلاة الصبح أربع ركعات».
وأما لفظ المصنف ـ رحمه الله ـ فقد ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (هامش الإصابة ـ ١١ / ٢٦)، فقال: ذكر عمر بن شبه، قال: ثنا هارون بن معروف، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، قال: صلي الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود ﷺ ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم. وإسناده منقطع ابن شوذب هو عبد الله، صدوق من السابعة، توفي سنة (١٥٦ هـ) فلم يدرك هذه القصة.
(٢) رواه البخاري [٦٩٥].

حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره، أثر ذلك فى إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل، أو ينتهى الناس عن مثل ذنبه فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه، كان فى ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة.

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهذا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة ﷺ.

وكذلك إذا كان الإمام قد رتبه ولاة الأمور، ليس فى ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلف الأفضل أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر فى الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضراراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر، فهو موضع اجتهاد للعلماء، منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك فى كتب «الفروع».

وأما الإمام إذا نسى أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً للجنابة، فأعاد الصلاة [1]، ولم يأمر المأمومين بالإعادة، ولو علم بعد فراغه أن إمامه كان على غير طهارة، أعاد عند أبى حنيفة، خلافاً لمالك والشافعى وأحمد فى المشهور عنه، وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلى على غير وضوء!!! فليس له أن يصلى خلفه، لأنه لاعب، وليس بمصل.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة أن ولى الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة: يطاع فى مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه فى موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته فى ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض، والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض، ويروى عن أبى يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك

---

(١) **صحيح**. رواه مالك في «الموطأ» (ص: ٥٥)، والشافعي في «الأم» (١/٣٧)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/٥٢)، والبيهقي (١/١٧٠، ٤٠٥)، من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن زبيد بن الصلت أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلي الجرف فنظر فإذا هو قد احتلم، وصلي ولم يغتسل فقال: والله ما أراني إلا احتلمت، وما شعرت، وصليت وما اغتسلت، قال: فاغتسل وغسل ما رأي في ثوبه، ونضح ما لم ير وأذن أو أقام ثم صلي بعد ارتفاع الضحي متمكناً.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه البيهقي في «مختصر الخلافيات» (٢/٢٣٤).

بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقيل لأبى يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع، وحديث أبى هريرة ﷺ الذى رواه البخارى، أن رسول الله ﷺ قال: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم**»[1] نص صحيح صريح فى أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم، والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظورٍ اعتقد أنه ليس محظوراً. ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة على من يطلق من الحنفية والشافعية، والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه، لم يصح اقتداؤه به!! فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضى إلى الفساد.

وقوله: «وعلى من مات منهم» أى: ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثنى من هذا العموم البغاة وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، خلافاً لأبى يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك، والشافعى رحمهما الله، على ما عرف فى موضعه، لكن الشيخ إنما ساق هذا الكلام لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور، لا للعموم الكلى.

ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن علم نفاقه، لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه، صلى عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص، لم يصل هو عليه، وصلى عليه

---

(١) سبق تخريجه (١٦٥/٢).

من لم يعلم نفاقه، وكان عمر ﷺ لا يصلى على من لم يصل عليه حذيفة ﷺ(١)، لأنه كان فى غزوة تبوك قد عَرَفَ المنافقين، وقد نهى الله سبحانه رسوله ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله، لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية، أو العملية الفجورية ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩]، فأمر سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين، والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة، والرحمة، وسائر الخيرات، إما واجب، وإما مستحب، وهو على نوعين: عام، وخاص، أما العام فظاهر، كما فى هذه الآية، وأما الدعاء الخاص، فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أمر المؤمنون أن يصلوا عليه صلاة الجنازة، وهم مأمورون فى صلاتهم عليه أن يدعوا له، كما روى أبو داود، وابن ماجه، عن أبى هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا صليتم على الميت، فأخلصوا له الدعاء**»(٢).

---

(١) **مرسل صحيح**. رواه البيهقي (٨/ ٢٠٠)، من طريق الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ حين غزا تبوك ـ الحديث، وفيه: فلما توفي رسول الله ﷺ كان عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته إذا مات رجل يظن أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حُذيفة فاقتاده إلي الصلاة عليه فإن مشي معه حذيفة صلي عليه، وإن انتزع [illegible]ديفة يده فأبي أن يمشي معه انصرف عمر معه فأبي أن يصلي عليه، وأمر عمر أن يصلي عليه.

وإسناده صحيح علي شرط الشيخين، إلا أنه مرسل عروة بن الزبير، ولد في أوائل خلافة عثمان كما في «التقريب».

(٢) **حسن**. رواه أبو داود [٣١٩٩]، وابن ماجه [١٤٩٧]، وابن حبان [٣٠٧٦]، =

قوله: «**ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً**».

ش: يريد: أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة ﷺ، وإن كنا نقول: إنه لابد أن يدخل النار من أهل الكبائر من يشاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف فى الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن حقيقة باطنه، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسئ.

والسلف فى الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد ابن الحنفية، والأوزاعى.

والثانى: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون، كما فى الصحيحين: أنه مر بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال النبى ﷺ: «**وجبت**» ومر بأخرى، فأثنى عليها بشر، فقال: «**وجبت**». وفى رواية كرر: «**وجبت**» ثلاث مرات، فقال عمر ﷺ: يا رسول الله، ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم**

= والبيهقي (٤ / ٤٠)، من طريق محمد بن إسحق، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ به.
وإسناده حسن، محمد بن إسحق صدوق يدلس كما في «التقريب»، وقد عنعنه إلا أنه قد صرح بالسماع في رواية ابن حبان [٣٠٧٧].

عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض» [1].

وقال ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيئ» [2]. فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار.

قوله: «**ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شئ من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى**».

ش: لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ**﴾ الآية [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ الآية [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ الآية [الإسراء: ٣٦].

قوله: «**ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف**».

ش: فى الصحيح عن النبى ﷺ، أنه قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم**

---

(١) رواه البخاري [١٣٦٧]، ومسلم [٩٤٩]، والترمذي [١٠٥٨]، والنسائي (٤/ ٤١)، وابن ماجه [١٤٩١]، وأحمد (٣/ ١٧٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **إسناده حسن**. رواه ابن ماجه [٤٢٢١]، وأحمد (٣/ ٤١٦)، وابن حبان [٧٣٨٤]، والحاكم (٤/ ٤٣٦)، والبيهقي (١٠/ ١٢٣)، من طريق أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه به.
ورجاله ثقات غير أبي بكر بن أبي زهير فإنه مقبول كما في «التقريب». قال الحافظ في «الإصابة» (١١/ ١٤٧): سند حسن غريب. اهـ. وقال البوصيري في «الزوائد» [١٥٠٨]، إسناد حديثه صحيح رجاله ثقات.

يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة»[1].

قوله: **«ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»**.

ش: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وفى الصحيح عن النبى ﷺ، أنه قال: **«من أطاعنى، فقد أطاع الله، ومن عصانى، فقد عصى الله، ومن يطع الأمير، فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير، فقد عصانى»**[2].

وعن أبى ذر رضي الله عنه، قال: **«إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدَّع الأطراف»**[3]. وعند البخارى: **«ولو لحبشى كأن رأسه زبيبة»**[4].

وفى الصحيحين أيضاً: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**[5].

---

(١) رواه البخاري [٦٨٧٨]، ومسلم [١٦٧٦]، وأبو داود [٤٣٥٢]، والترمذي [١٤٠٢]، والنسائي (٧/٨٣)، وابن ماجه [٢٥٣٤]، وأحمد (١/٣٨٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وفي الباب من حديث عثمان، وابن عباس، وعائشة رضي الله عنهم.

(٢) رواه البخاري [٢٩٥٧]، ومسلم [١٨٣٥]، والنسائي (٧/١٣٨)، وابن ماجه [٢٨٥٩]، وأحمد (٢/٣١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم [١٨٣٧]، وابن ماجه [٢٨٦٢]، والطيالسي [٤٥٢].

(٤) رواه البخاري [٦٩٣]، وابن ماجه [٢٨٦٠]، وأحمد (٣/١١٤)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: **«اسمعوا وأطيعوا»** الحديث.

(٥) رواه البخاري [٧١٤٤]، ومسلم [١٨٣٩]، وأبو داود [٢٦٢٦]، والترمذي =

وعن حذيفة بن اليمان ﵁، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**»، قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتى، ويهتدون بغير هديى، تعرف منهم وتنكر**» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «**نعم، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركنى ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[1].

وعن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتة جاهلية**»[2].

وفى رواية: «**فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[3].

= [١٧٠٧]، والنسائي (٧/١٤٢، ١٤٣)، وابن ماجه [٢٨٦٤]، وأحمد (٢/١٤٢)، من حديث ابن عمر ﵄.

(١) رواه البخاري [٣٦٠٦]، ومسلم [١٨٤٧]، وابن ماجه [٣٩٧٩].
ورواه النسائي في «الكبري» [٨٠٣٢]، وأحمد (٥/٤٠٦) بنحوه.

(٢) رواه البخاري [٧٠٥٣، ٧٠٥٤]، ومسلم [١٨٤٩]، وأحمد (١/٢٧٥).

(٣) **صحيح**. رواه الترمذي [٢٨٦٣، ٢٨٦٤]، وأحمد (٤/١٣٠)، وابن حبان [٦٢٣٣]، والحاكم (١/١١٧، ١١٨)، من طريق يحيي بن أبي كثير، عن زيد بن سلام أن أبا سلام حدثه عن الحارث الأشعري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيي بن زكريا بخمس كلمات**» ـ الحديث. وفيه: «**فإنه من فارق الجماعة قيد شبر** =

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما**»(1).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألاَ مَنْ وَلِى عليه وال، فرآه يأتى شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة**»(2).

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]، كيف قال: ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولى الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم فى ذلك، وأما ولى الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا

= **فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع**» الحديث.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، ويحيي بن أبي كثير ثقة، ثبت، لكنه يدلس، ويرسل كما في «التقريب»، وقد صرح بالسماع في رواية ابن حبان، والحاكم فأمن بذلك تدلسيه، وقد تابعه معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام به. أخرجه ابن خزيمة [٩٣٠].
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. اهـ. وصححه الحاكم، وحسنه ابن كثير في «التفسير» (١/ ٥٩)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (هامش الإصابة - ٢/ ٢٢٧).

(١) رواه مسلم [١٨٥٣]، والبيهقي (٨/ ١٤٤).
(٢) رواه مسلم [١٨٥٥]، وأحمد (٦/ ٢٤)، وابن حبان [٤٥٨٩].

فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الإجتهاد فى الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار: أنه جاء فى بعض كتب الله: أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدى، فمن أطاعنى، جعلتهم عليه رحمة، ومن عصانى، جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم [١].

---

(١) **ضعيف**. رواه الطبراني في «الأوسط» [٨٩٦٢]، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٤، ٧٥)، من طريق وهب بن راشد، عن مالك بن دينار، عن خلاس بن عمرو، عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً بلفظ أتم مما ساقه المصنف ـ رحمه الله ـ.
وإسناده ضعيف، فيه وهب بن راشد، وهو منكر الحديث، كما قال أبو حاتم، والعقيلي، وقال الدارقطني: متروك كما في «اللسان».
قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٤٩): فيه إبراهيم بن راشد، وهو متروك. اهـ. كذا قال والصواب وهب بن راشد.

قوله: «**ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة**».

ش: السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وثبت في «السنن» الحديث الذي صححه الترمذي، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؟ فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء**

الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» (١).

وقال ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعنى الأهواء - كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة**».

وفى رواية: قالوا: من هى يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابى**» (٢).

فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة.

وما أحسن قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: من كان منكم مستناً، فليستن بمن مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة (٣)،

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٢٦٧٦]، من طريق بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه به.
ورواه أبو داود [٤٦٠٧]، وابن ماجه [٤٣]، وأحمد (٤/١٢٦)، وابن حبان [٥]، والحاكم (١/٩٥)، من طريق خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية - الحديث.
ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر كلاهما مقبول كما في «التقريب».
قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، وعبد الحق في «الأحكام الوسطي» (١/١١٩).

(٢) سبق تخريجه (١/٢٧٥).

(٣) **إسناده ضعيف**. رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص: ٣٦٨)، من طريق سنيد، عن معتمر بن سلام بن مسكين، عن قتادة، عن ابن مسعود رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف، فيه سُنيد بن داود، وهو ضعيف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه كما في «التقريب».

أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وسيأتى لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

قوله: «**ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة**».

ش: وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التى لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب فى الله، لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالى من يواليه، ويعادى من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه فى كل حال.

والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله.

والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، ونبغضهم، موافقة له سبحانه وتعالى.

وفى «الصحيحين»، عن النبى ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه**

إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار» [(١)].

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلابد أن يبغض أعداءه، ولابد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾** [الصف: ٤].

والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه مبغوضاً من وجه، والحكم للغالب، وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشئ من وجه، ويكرهه من وجه آخر، كما قال ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولابد له منه»** [(٢)].

فبين أنه يتردد، لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحبه عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: «وأنا أكره مساءته» وهو سبحانه قضى بالموت، فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك، إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه.

---

(١) رواه البخاري [١٦]، ومسلم [٤٣]، والترمذي [٢٦٢٤]، والنسائي (٨/٨٧)، وابن ماجه [٤٠٣٣]، وأحمد (٣/١٠٣)، من حديث أنس ﷺ.
(٢) سبق تخريجه (٢/١٤٦).

قوله: «**ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه**».

ش: تقدم في كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ومن تكلم بغير علم، فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ**﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الحج: ٣، ٤].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لا يعلم إليه، فقال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿**قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم**﴾ [الكهف: ٢٢]. وقد قال ﷺ، لما سئل عن أطفال المشركين: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[1].

---

(١) رواه البخاري [١٣٨٣]، ومسلم [٢٦٦٠]، وأبو داود [٤٧١١]، والنسائي (٤/٤٨)، وأحمد (١/٢١٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه البخاري [١٣٨٤]، ومسلم [٢٩٥٩]، والنسائي (٤/٤٧)، وأحمد (٢/٢٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عمر ﷺ : اتهموا الرأى فى الدين، فلو رأيتنى يوم أبى جندل، فلقد رأيتنى وإنى لأرد أمر رسول الله ﷺ برأيى، فأجتهد ولا آلو وذلك يوم أبى جندل، والكتاب يكتب، وقال : «اكتب ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾»، قال : اكتب : باسمك اللهم، فرضى رسول الله ﷺ وكتب وأبيت، فقال : يا عمر : «**ترانى قد رضيت وتأبى**»(١)؟!!.

وقال أيضاً ﷺ : السنة : ما سنه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة (٢).

وقال أبو بكر الصديق ﷺ : أى أرض تقلنى، وأى سماء تظلنى، إن قلت فى آية من كتاب الله برأيى، أو بما لا أعلم (٣).

وذكر الحسن بن على الحلوانى (٤)، حدثنا عارم، حدثنا حماد بن

---

(١) **صحيح**. رواه البزار [البحر الزخار - ١٤٨]، والطبراني في «الكبير» [٨٢]، والقطيعي في زياداته علي «فضائل الصحابة» [٥٥٨]، من طريق مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر ﷺ به.
ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير مبارك بن فضالة، فإنه صدوق يدلس ويسوي كما في «التقريب».
وهذا الحديث في «الصحيحين» بغير هذا السياق. رواه البخاري [٣١٨١، ٣١٨٢، ٤٨٤٤]، ومسلم [١٧٨٥]، من حديث أبي وائل، قال : كنا بصفين فقام سهل بن حنيف فقال : أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نري قتالاً لقاتلنا فجاء عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله : ألسنا علي الحق، وهم على الباطل، فقال : «**بلى**» - فذكره.

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص : ٤٢٠)، من طريق ابن وهب، قال : أخبرني ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ به.
وإسناده منقطع، عبيد الله بن أبي جعفر ثقة من الخامسة، لم يدرك عمر ﷺ فقد ولد سنة ستين من الهجرة كما في «تهذيب الكمال» (١٩ / ٢١).

(٣) سبق تخريجه (١ / ١٧٨).

(٤) هو الإمام الحافظ الصدوق، أبو محمد الحسن بن عليّ بن محمد الهذلى الريحاني =

زيد، عن سعيد بن أبى صدقة، عن ابن سيرين، قال: لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبى بكر، ولم يكن بعد أبى بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ﷺ، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد فى كتاب الله منها أصلا، ولا فى السنة أثراً، فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيى، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ، فمنى، وأستغفر الله [1].

قوله: «**ونرى المسح على الخفين، فى السفر والحضر، كما جاء فى الأثر**».

ش: تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، فيقال لهم: الذين نقلوا عن النبى ﷺ الوضوء قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه، وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرهم، ونقلوه إلى من بعدهم، أكثر

= الخلال، المجاور بمكة، روي عنه الجماعة كلهم إلا النسائي، توفي سنة (٢٤٢ هـ) (السير - ١١/٣٩٨)، (الوافي - ١٢/١٦٦).

(١) **إسناده ضعيف**. ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص: ٣٠٦)، تعليقاً عن الحسن بن علي الحلواني به.
إسناده منقطع، ابن سيرين لم يدرك أبا بكر ﷺ فقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ﷺ كما في «تهذيب الكمال» (٢٥/٣٤٩)، وقال الحافظ في «التلخيص» (٤/١٩٥): أخرجه قاسم بن محمد في كتاب «الحجة، والرد علي المقلدين»، وهو منقطع. اهـ.
وأما قول أبي بكر ﷺ: هذا رأيي فإن يكن صواباً فمن الله - الأثر. فقد رواه الدارمي [٢٩٧٦]، والبيهقي (٦/٢٢٣) من طريق يزيد بن هارون، عن عاصم الأحول، عن الشعبي قال: سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: إني سأقول فيها برأيي، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان - الحديث. وإسناده منقطع، الشعبي عامر ابن شراحيل، لم يسمع عمر ﷺ فقد ولد لست سنين خلت من خلافته كما في «تهذيب الكمال». قال الحافظ في «التلخيص» (٣/٨٩): رجاله ثقات، إلا أنه منقطع. اهـ.

عـدداً من الذين نقلوا لفظ هذه الآية، فإن جـميع المسلمين كـانوا يتوضؤون على عهده، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه، فإن هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم فى الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضأ ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، ونقلوا عنه ذكر غسل الرجلين فى ما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه من غير وجه، فى كتب الصحيح، وغيرها، أنه قال: «**ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار**»[1].

مع أن الفرض إذا كان مسح ظاهر القدم، كان غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطباع، كما تدعو الطباع إلى طلب الرياسة والمال، فلو جاز الطعن فى تواتر صفة الوضوء، لكان فى نقل لفظ آية الوضوء أقرب إلى الجواز.

وإذا قالوا: لفظ الآية ثبت بالتواتر الذى لا يمكن فيه الكذب ولا الخطأ، فثبوت التواتر فى نقل الوضوء عنه أولى وأكمل، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح كما يطلق، ويراد به الإصابة، كذلك يطلق ويراد به الإسالة، كما تقول العرب: وتمسحت للصلاة، وفى الآية ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذى هو قسيم الغسل، بل المسح الذى الغسل قسم منه، فإنه قال: ﴿**إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ [المائدة: ٦]، ولم يقل: إلى الكعاب، كما قال: ﴿**إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾، فدل على

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/١٩١)، وابن خزيمة [١٦٣]، والدارقطني (١/٩٥)، والحاكم (١/١٦٢)، والبيهقي (١/٧٠)، من طريق حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه الحاكم، والذهبي في «المهذب» (١/٨٨).
ورواه البخاري [٦٠]، ومسلم [٢٤١]، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بلفظ: «**ويل للأعقاب من النار**».

أنه ليس فى كل رجل كعب واحد، كما فى كل يد مرفق واحد، بل فى كل رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلي العظمين الناتئين، وهذا هو الغسل، فإن من يمسح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين، وجعل الكعبين فى الآية غاية يرد قولهم، فدعواهم أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشراك، مردود بالكتاب والسنة.

وفى الآية قراءتان مشهورتان: النصب والخفض، وتوجيه إعرابهما مبسوط فى مواضعه، وقراءة النصب نص في وجوب الغسل، لأن العطف على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً كقوله:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وليس معنى: مسحت برأسي ورجلي، هو معنى: مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح، وهو إلصاق شئ من الماء بالرأس، فتعين العطف على قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾، فالسنة المتواترة تقتضى على ما يفهمه بعض الناس من ظاهر القرآن، فإن الرسول بين للناس لفظ القرآن ومعناه، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا معناها [1].

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٤١٠)، عن محمد بن فضيل، ورواه الطبري في التفسير» من طريق جرير كلاهما عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ إنهم كانوا يقرئون من رسول الله ﷺ عشر آيات ـ الحديث.

وفى ذكر المسح فى الرجلين تنبيه على قلة الصب فى الرجلين، فإن السرف يعتاد فيهما كثيرا، والمسألة معروفة، والكلام عليها فى كتب الفروع.

قوله: «**والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شىء ولا ينقضهما**».

ش: يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد ﷺ، وينادى مناد من السماء: اتبعوه!! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل، وهم شرطوا فى الإمام أن يكون معصوما اشتراطاً بغير دليل! بل فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولى عليه وال، فرآه يأتى شيئاً من معصية الله، فليكره من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعته**»[1].

= ورجاله ثقات، غير عطاء بن السائب، فإنه صدوق اختلط بأخرة، وسماع محمد بن فضيل، وجرير منه بعد الاختلاط، لكن رواه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٤٠٢)، من طريق حفص بن عمر الحوضي، عن حماد بن زيد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن بنحوه. وإسناده صحيح، وحماد بن زيد ثقة ثبت، وهو ممن روي عن عطاء قبل الاختلاط. ويشهد له ما رواه الطبري في «التفسير» (١/٣٥)، من طريق الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتي يعرف معانيهن والعمل بهن. وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(١) سبق تخريجه (٢/١٧٦).

وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث فى الإمامة، ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، والرافضة أخسر الناس صفقة فى هذه المسألة، لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذى لم ينفعهم فى دين ولا دنيا!! فإنهم يدعون أن الإمام المنتظر، محمد بن الحسن العسكرى، الذى دخل السرداب فى زعمهم سنة ستين ومائتين، أو قريباً من ذلك بسامرا! وقد يقيمون هناك دابة، إما بغلة وإما فرساً، ليركبها إذا خرج! ويقيمون هناك فى أوقات عينوها لمن ينادى عليه بالخروج: يا مولانا! اخرج! يا مولانا، اخرج! ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التى يضحك عليهم فيها العقلاء.

وقوله: «**مع أولى الأمر برهم وفاجرهم**» لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلابد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

وقوله: «**ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين**».

ش: قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ **هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ**

تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١].

وفى «الصحيح» عن النبى ﷺ أنه قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون»** (١).

وفى الحديث الآخر: **«إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم، وأكرموهم»** (٢).

جاء فى التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال: صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان.

وقال عكرمة: عن ابن عباس: ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله، خلوا عنه (٣).

---

(١) سبق تخريجه (٢/٣٧).

(٢) **ضعيف**. رواه الترمذي [٢٨٠٠]، من طريق ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: «**إياكم والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم**» - الحديث.
وإسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم، وهو صدوق، اختلط جداً، ولم يتميز حديثه، فترك كما في «التقريب». قال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ. وضعفه ابن القطان في «بيان الوهم» (٣/٥٠٧).

(٣) **صحيح**. رواه الطبري في «التفسير» (١٣/١١٥)، عن ابن وكيع، عن أبيه، عن =

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياى، ولكن أعاننى الله عليه، فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير**»[1]. الرواية بفتح الميم من: «فأسلمَ»، ومن رواه: «فأسلمُ» برفع الميم، فقد حرف لفظه، ومعنى: «فأسلم» أى: فاستسلم وانقاد لى، فى أصح القولين، ولهذا قال: «فلا يأمرنى إلا بخير»، ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً، فقد حرف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمناً.

ومعنى: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾. قيل: حفظهم له من أمر الله، أى: الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ: يحفظونه بأمر الله.

ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية، لأنها فعل القلب، فدخلت فى عموم: ﴿**يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الانفطار: ١٢]. ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**قال الله عز وجل: إذا هم**

= إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
ورجاله ثقات، سوي سماك بن حرب، فإنه صدوق وروايته عن عكرمة مضطربة، وابن وكيع، هو سفيان كان صدوقاً لكن أدخل عليه ورّاقه ما ليس من حديثه فسقط كما في «التقريب»، لكنه توبع فقد رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» [١٢١٩٦]، عن أبيه، عن عبد الله بن صالح بن مسلم، وعبد الله بن رجاء، عن سماك به. وعبد الله بن صالح ثقة روي له البخاري كما في «التقريب».
وروي ابن جرير في «التفسير» (١٣ / ١١٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» [١٢١٩٨]، من طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فالمعقبات هن من أمر الله، وهي الملائكة. وإسناده صحيح.
والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(١) رواه مسلم [٢٨١٤]، وأحمد (١ / ٣٨٥)، وابن خزيمة [٦٥٨]، وابن حبان [٦٤١٧]، والدارمي [٢٧٣٧]، والطبراني في «الكبير» [١٠٥٢٢]، وأبو يعلي [٥١٤٣]، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عبدي بسيئة، فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به ـ فقال: ارقبوه، فإن عملها، فاكتبوها بمثلها، وإن تركها، فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي»[2] خرجاهما في «الصحيحين» واللفظ لمسلم.

قوله: «**ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين**».

ش: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. ولا تعارض هذه الآية قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه، فصحت إضافة التوفي إلى كُلٍّ بحسبه.

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟ وهل هي جزء من أجزاء

---

(١) رواه البخاري [٧٥٠١]، ومسلم [١٢٨]، والترمذي [٣٠٧٣]، والنسائي في «الكبرى» [١١١٨١]، وأحمد (٢/٢٤٢)، وابن حبان [٣٨٠]، وأبو يعلى [٦٢٨٢]، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه مسلم [١٢٩]، وأحمد (٢/٣١٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو أحد ألفاظ الحديث السابق.

البدن، أو عرض من أعراضه؟ أو جسم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر مجرد؟ وهل هى الروح أو غيرها؟ وهل الأمارة، واللوامة، والمطمئنة نفس واحدة، أم هى ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح، أو الموت للبدن وحده؟ وهذه المسألة تحتمل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً، إن شاء الله تعالى:

فقيل: الروح قديمة، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه فى الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة، واحتج بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق! وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبقوله: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ [الحجر: ٢٩]، كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة على أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزى، وابن قتيبة وغيرهما.

ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة، قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: ٦٢]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل فى ذلك صفات الله تعالى، فإنها داخلة فى مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته، داخل فى مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هى الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هى من مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾ [الإنسان: ١]، وقوله تعالى

لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]. والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لزكريا، لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض، والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم مشهور.

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف عن غيره.

واختلف في الروح: هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

واختلف في الروح: ما هي؟ فقيل: هي الجسم، وقيل: عرض، وقيل: لا ندري ما الروح، أجوهر أم عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الإعمال له

والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

وللناس في مسمى الإنسان: هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو مجموعهما، أو كل منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه: هل هو اللفظ فقط، أو المعنى فقط، أو هما، أو كل منهما؟ فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق: أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينة، وكذلك الكلام.

والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه، بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ففيها الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ** ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ففيها الإخبار بتوفى النفس بالليل، وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفى الملائكة لها عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضا.

وقال ﷺ: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**»[(١)] ففيه وصفه بالقبض، وأن البصر يراه، وقال ﷺ فى حديث بلال رضي الله عنه: «**قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجرة الجنة**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم [٩٢٠]، وابن ماجه [١٤٥٤]، وأحمد (٦/ ٢٩٧)، وابن حبان [٧٠٤١]، وأبو يعلي [٧٠٣٠]، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣١٤، ٣١٥)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
ورواه أبو داود [٣١١٨]، والنسائي في «الكبري» [٨٢٨٥]، بدون وجه الشاهد.

(٢) رواه البخاري [٥٩٥]، وأبو داود [٤٣٩]، والنسائي (٢/ ٨٢)، وأحمد (٥/ ٣٠٧)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.
ورواه مسلم [٦٨١]، بدون وجه الشاهد.

(٣) **صحيح**. رواه النسائي (٤/ ٨٨)، وابن ماجه [٤٢٧١]، وأحمد (٣/ ٤٥٥)، ومالك في«الموطأ» (ص: ١٦٤)، وابن حبان [٤٦٥٧]، من طريق ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات علي شرط البخاري، ورواه أحمد (٣/ ٤٥٥)، عن محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن كعب، عن =

وسيأتى فى الكلام على عذاب القبر أدلة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من فىِّ السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح إلى غير ذلك من الصفات، وعلى ذلك أجمع السلف، ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة، والشبه الفاسدة، التى لايعارض بها ما دل عليه نصوص الوحى والأدلة العقلية.

وأما اختلاف الناس فى مسمى النفس والروح: هل هما متغايران، أو مسماهما واحد؟ فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمورٍ، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة.

فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة، فتمسية الروح أغلب عليها.

وتطلق على الدم، ففى الحديث: **«ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه»** [(1)].

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس، أى: العين.

والنفس: الذات، كقوله تعالى: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ**﴾ [النور: ٦١]،

= أبيه به. وإسناده صحيح عزيز عظيم كما قال ابن كثير في«التفسير» (٢ / ٤٢٨).

(١) **ضعيف**. لم أجده بهذا اللفظ، وإنما رواه الدارقطني (١ / ٣٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣ / ١٢٤١)، والبيهقي (١ / ٢٥٣)، من طريق بقية عن سعيد بن أبي سعيد الزبيدي، عن بشر بن منصور، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سلمان ﷺ مرفوعاً بلفظ: **«يا سلمان كل طعام وشراب وقعت فيه دابة ليس لها دم، فماتت فيه، فهو حلال أكله وشربه ووضوئه»**. وإسناده ضعيف، فيه سعيد بن أبي سعيد، وعلي بن زيد بن جدعان، كلاهما ضعيف كما في «التقريب»، وضعفه الدارقطني، وابن عدي.

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩]، ونحو ذلك.

وأما الروح، فلا تطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن، وعلى جبريل، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وتطلق الروح على الهواء المتردد فى بدن الإنسان أيضاً.

وأما ما يؤيد الله به أولياءه، فهى روح أخرى، كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكذلك القوى التى فى البدن، فإنها تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام.

وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو: قوة المعرفة بالله، والإنابة إليه ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح، كنسبة الروح إلى البدن، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللمحبة روح، وللتوكل روح. وللصدق روح.

والناس متفاوتون فى هذه الأرواح: فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها أو أكثرها، فيصير أرضياً بهيمياً.

وقد وقع فى كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧]، ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢]، ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهى أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان، صارت لوامة، تفعل الذنب، ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوى الإيمان، صارت مطمئنة، ولهذا قال النبى ﷺ: **«من سرته حسنته، وسائته سيئته فهو مؤمن»** [(١)]. مع قوله: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»** [(٢)] ... الحديث.

واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟.

فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾** [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص: ٨٨]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله فى أجسادها.

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٢١٦٥]، والنسائي في «الكبري» [٩٢٢٥]، وأحمد (١/١٨)، والحاكم (١/١١٣)، من طريق محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية ـ الحديث، وفيه قوله ﷺ: **«من سرته حسنته، وسائته سيئته فذلك المؤمن»**.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ. وصححه الحاكم علي شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقد روي النسائي في «الكبري» [٩٢١٩]، وابن ماجه [٢٣٦٣]، بعضه دون وجه الشاهد من طريق جرير، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خطب عمر رضي الله عنه الناس بالجابية ـ الحديث، وصححه الحافظ العراقي علي شرط الشيخين كما في «فيض القدير» (٦/١٥٣).
وفي الباب من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أخرجه الحاكم (١/١٤٤، ١٤٧)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) سبق تخريجه (٢/٨٧).

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهى ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، فهى لا تموت بهذا الاعتبار، بل هى باقية بعد خلقها فى نعيم أو فى عذاب، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ**﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هى مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٨]. فالمراد: أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف فى أصلاب آبائهم وفى أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس فى ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات.

وصعق الأرواح عند النفخ فى الصور لا يلزم منه موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت. وسيأتى ذكر ذلك، إن شاء الله تعالى. وكذلك صعق موسى ﷺ لم يكن موتا، والذى يدل عليه أن نفخة الصعق ـ والله أعلم ـ موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت، أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان، وغيرهم، فلا تدل الآية على أنه يموت مواتةً ثانية، والله أعلم.

* * *

قوله: «**وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران**».

ش: قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧]، وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

وعن البراء بن عازب ﷺ، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**»، ثلاث مرات، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»، قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك**

الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض»، قال: «فيصعدون بها، فلا يمرون بها - يعنى على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فتشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، واعيدوه إلى الأرض، فإنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى».

قال: «فتعاد روحه فى جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة»، قال: «فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره»، قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذى يجئ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى».

قال: «وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجى إلى سخط من الله وغضب»، قال: «فتتفرق فى جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين، حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على

وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]**، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين، فى الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** [الحج: ٣١]**، فتعاد روحه فى جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدرى، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدرى، فيناد مناد من السماء أن كذب، فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»** [(١)].

رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وروي النسائى، وابن ماجه أوله، ورواه الحاكم، وأبو عوانة الإسفرايينى فى «صحيحيهما»، وابن حبان.

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٧٥٣]، وأحمد (٤/٢٨٧)، والحاكم (١/٣٧).
ورواه النسائي (٤/٦٤)، وابن ماجه [١٥٤٩]، مختصراً. كلهم من طريق المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، المنهال بن عمرو صدوق ربما وهم، روي له البخاري، وزاذان صدوق، روي له مسلم كما في «التقريب». والحديث صححه البيهقي في «الشعب» (٢/٣١٩)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/١٧٨).

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخارى رحمه الله، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً**» (١).

قال قتادة: وروى لنا أنه يفسح له فى قبره، وذكر الحديث.

وفى «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبى ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما، فكان لايستتر من البول، وأما الآخر، فكان يمشى بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» (٢).

وفى «صحيح أبى حاتم» عن أبى هريرة، قال: قال النبى ﷺ: «**إذا قبر الميت أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير**» (٣) وذكر الحديث.... إلخ.

---

(١) رواه البخاري [١٣٣٨]، ومسلم [٢٨٧٠]، والنسائي (٤/ ٧٩)، وأحمد (٣/ ١٢٦). ورواه أبو داود [٤٧٥١، ٤٧٥٢] بنحوه.

(٢) رواه البخاري [٢١٨]، ومسلم [٢٩٢]، وأبو داود [٢٠]، والترمذي [٧٠]، والنسائي (١/ ٢٩)، وابن ماجه [٣٤٧]، وأحمد (١/ ٢٢٥).

(٣) **حسن**. رواه الترمذي [١٠٧١]، وابن حبان [٣١١٧]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٨٦٤]، من طريق عبد الرحمن بن إسحق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير عبد الرحمن بن إسحق، فإنه صدوق روي له مسلم كما في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم فى كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به فى هذه الدار، والشرع لا يأتى بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود فى الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا.

فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به فى بطن الأم جنيناً.

الثانى: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به فى البرزخ، فإنها وإن فارقته، وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبته، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم [1]، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون

= والحديث سبق تخريجه (١ /٢٠٣)، من حديث أنس بن مالك ﷺ أخرجه البخاري [١٣٧٤]، ومسلم [٢٨٧٠]، بدون التصريح باسم الملكين.

(١) **صحيح**. رواه ابن عبد البر في «الاستذكار» [١٨٥٨]، من طريق الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعي، عن بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا عرفه ورد عليه**». وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه عبد الحق في «الأحكام الوسطي« (٢ /١٥٢).

وروي أبو داود [٢٠٤١]، وأحمد (٢ /٥٢٧)، والبيهقي (٥ /٢٤٥)، من طريق =

عنه [1]، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا، يزيح عنك إشكالاتٍ كثيرة.

وليس السؤال فى القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح!! والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس، وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً، ونسف فى الهواء، أو صلب، أو غرق فى البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.

وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه

= عبد الله بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ، عن حيوة بن شريح، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتي أرد عليه السلام**» وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير حميد بن زياد، فإنه صدوق روي له مسلم كما في «التقريب»، والحديث صححه النووي في «الأذكار» (ص: ٩٧)، والحافظ في «التلخيص» (٢/ ٢٦٧).

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٠٣).

ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال، والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت فى الإسلام، وهو أصل كل خطأ فى الفروع والأصول، ولاسيما إن أضيف إليه سوء القصد . والله المستعان .

فالحاصل أن الدور ثلاثة : دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار . وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً . فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

ويجب أن يعلم أن النار التى فى القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمى عليه التراب والحجارة التى فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا فى حفرة من حفر النار، وهذا فى روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شئ من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شئ من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً، وقد أرانا الله فى هذه الدار من

عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه، وغيَّبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما فى «الصحيح»، عنه ﷺ: **«لولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»** [1]، ولما كانت هذه الحكمة منتفية فى حق البهائم سمعت ذلك وأدركته.

وللناس فى سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا؟ ثلاثة أقوال: الثالث: التوقف، وهو قول جماعة، منهم أبو عمر بن عبد البر، فقال: وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ، أنه قال: **«إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها»** [2] منهم من يرويه: **«تسأل»**، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع عليه، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

وكذلك اختلف فى سؤال الأطفال أيضاً.

وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ جوابه أنه نوعان:

منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦]، وكذا فى

---

(١) رواه مسلم [٢٨٦٧]، وأحمد (٥/ ١٩٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» [٢٥٤]، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [٢٠٥٧]، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.
ورواه مسلم [٢٨٦٨]، والنسائي (٤/ ٨٣)، وأحمد (٣/ ١٠٣)، وابن حبان [٣١٢٦]، وأبو يعلي [٢٩٩٦]، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) هو جزء من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه السابق.

حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**»[1]. رواه الإمام أحمد فى بعض طرقه.

والنوع الثانى: أنه مدة، ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كما تقدم ذكره فى المحصات العشر.

وقد اختلف فى مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة:

فقيل: أرواح المؤمنين فى الجنة، وأرواح الكافرين فى النار.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

وقيل: على أفنية قبورهم.

وقال مالك: بلغنى أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت!!.

وقال كعب: أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة، وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت خد إبليس!!.

وقيل: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكافرين ببئر برهوت.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٢٠٢).

وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

وقال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء فى الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

وعن ابن شهاب أنه قال: بلغنى أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتى ربها كل يوم تسلم عليه.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التى اكتسبتها فى حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكرى المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم، ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها.

ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح فى البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

فمنها: أرواح فى أعلى عليين، فى الملأ الأعلى، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون فى منازلهم.

ومنها أرواح فى حواصل طير خضر، تسرح فى الجنة حيث شاءت، وهى أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما فى «المسند» عن محمد بن عبد الله

ابن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: ما لى إن قتلت فى سبيل الله؟ قال: «**الجنة**» فلما ولى، قال: «**إلا الدين، سارنى به جبريل آنفاً**»[(١)].

ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة، كما فى الحديث الذى قال فيه رسول الله ﷺ: «**رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة**»[(٢)].

ومنهم من يكون محبوساً فى قبره، ومنهم من يكون محبوساً فى الأرض، ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى، وأرواح فى نهر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/١٣٩، ٣٥٠)، من طريق محمد بن عمرو، عن أبي كثير مولي الهلاليين، عن محمد بن عبد الله بن جحش، عن أبيه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، غير محمد بن عمرو بن علقمة، فإنه صدوق له أوهام،روي له الجماعة كما في «التقريب».
ورواه النسائي (٧/٢٧٦)، وأحمد (٥/٢٨٩)، والحاكم (٢/٢٥)، من طريق العلاء، عن أبي كثير مولي محمد بن جحش، عن محمد بن حجش رضي الله عنه بنحوه.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، غير العلاء بن عبد الرحمن، فإنه صدوق ربما وهم روي له مسلم كما في «التقريب»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وفي الباب من حديث أبي قتادة رضي الله عنه رواه مسلم [١٨٨٥]، والترمذي [١٧١٢]، والنسائي (٦/٢٩)، وأحمد (٥/٣٠٣)، وفيه: أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**».

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٥/١١)، والحاكم (٢/٢٥)، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، ورواه الطيالسي [٨٩١]، والحاكم (٢/٢٥)، والطبراني في «الكبير» [٦٧٥٠]، من طريق فراس، كلاهما عن الشعبي، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين. اهـ. وقد صرح الشعبي بسماعه من سمرة رضي الله عنه في رواية الطيالسي.

وأما الحياة النى اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره، فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٤]. فهى: أن الله تعالى جعل أرواحهم فى أجواف طير خضر، كما فى حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم - يعنى يوم أحد - جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب مذللة فى ظل العرش**»[1] الحديث، رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وبمعناه فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه[2]، رواه مسلم.

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها فى البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعيم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نسمة المؤمن فى صورة طير، أو كطير، ونسمة

---

(١) **حسن**. رواه أبو داود [٢٥٢٠]، وأحمد (١/٢٦٦)، والحاكم (٢/٨٨)، والبيهقي (٩/١٦٣)، من طريق محمد بن إسحق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير أبي الزبير محمد بن مسلم فإنه صدوق من رجال مسلم، ومحمد بن إسحق، صدوق يدلس لكنه صرح بالتحديث في رواية أحمد.
والحديث صححه الحاكم، علي شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
(٢) رواه مسلم [١٨٨٧]، والترمذي [٣٠١١]، وابن ماجه [٢٨٠١]، بلفظ: «**أرواحهم في جوف طير خضر**» الحديث.

الشهيد فى جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين، ففى «الموطأ» أن كعب ابن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»[1].

فقوله: «نسمة المؤمن» تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «هى فى جوف طير خضر»، ومعلوم أنها إذا كانت فى جوف طير، صدق عليها أنها طير، فتدخل فى عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم فى البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روى فى «السنن»[2]، وأما الشهداء، فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك، فى تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم. وكأنه ـ والله أعلم ـ كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.

---

(١) سبق تخريجه (٢/١٩٥).

(٢) **صحيح**. رواه أبو داود [١٠٤٧]، والنسائي (٣/٧٥)، وابن ماجه [١٠٨٥]، وأحمد (٤/٨)، وابن خزيمة [١٧٣٣]، وابن حبان [٩١٠]، والحاكم (١/٢٧٨)، من طريق حسين بن علي الجعفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة**» ـ الحديث، وفيه: «**إن الله عز وجل حرم علي الأرض أجساد الأنبياء**».
وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي الأشعث شراحيل بن آدة، وهو ثقة من رجال مسلم كما في «التقريب».
والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه النووي في «الأذكار» (ص: ٩٧)، والحافظ في «الفتح» (١١/١٦٩).

قوله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان».

ش: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه فى كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه فى غالب سور القرآن.

وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة؟ فإن الإقرار بالرب عام فى بنى آدم، وهو فطرى، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين [1]، وكان هو الحاشر، المقفى [2]، بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد فى شئ من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذا حجة لهم فى أنه من باب التخييل والخطاب الجمهورى.

والقرآن بيَّن معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى فى غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل!! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هى معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم

---

(١) روي البخاري [٦٥٠٤]، ومسلم [٢٩٥١]، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**».

(٢) روي مسلم [٢٣٥٥]، وأحمد (٤ / ٤٠٤)، من حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**».

عليهم السلام.

وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٥]، ولما قال إبليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٧٩ - ٨١].

وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، إلى آخر القصة، وقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠].

وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى لما نجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٥، ١٦].

بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال: تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣]، إلى قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقال موسى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ

﴿الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ الآية [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ﴾ [المعارج: ١، ٢]، إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦، ٧].

وذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [النحل: ٣٨]. ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٩]. ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [غافر: ٥٩]. ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩]. ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال سؤال على التفصيل: فإنهم قالوا أولاً: ﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾؟، فقيل لهم فى جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد وما هو أكبر فى صدوركم من ذلك؟ فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التى لا تقبل البقاء، فما الذى يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟!.

وللحجة تقدير آخر، وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف فى هذه الأجسام، مع شدتها

وصلابتها، بالإفناء والإحالة فما الذى يعجزه فيما دونها؟ ثم أخبر أنهم يسألون سؤالاً آخراً بقولهم: ﴿مَن يُعِيدُنَا﴾ إذا استحالت جسومنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾؟ فأجيبوا بقوله: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

ومن هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟ إلى آخر السورة. فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان، أن يأتى بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ فى الإيجاز ووضع الأدلة وصحة البرهان لما قدر. فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان فى قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ما وفى بالجواب. وأقام الحجة وأزال الشبهة ولما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى. إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]. فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكذلك الثانى. فإذا كان تام العلم، كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم؟.

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال

ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً: فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]. فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلىء بالرطوبة والبرودة، فالذى يخرج الشىء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصى عليه، هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهى رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشىء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]؟ فأخبر أن الذى أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيى عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى. كما قال فى موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]. وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذى يفعل بالآلات والكلفة والتعب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفى فى خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته، وقوله للمكون:

«كن» فإذا هو كائن كما شاءه وأراده.

ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]. فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، إلى آخر السورة، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التى هى أشده، وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التى هى أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ أم كيف تقتضى حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز، الذى لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل، الذى لا يتوهم أوضح منه ومأخذه القريب، الذى لا تقع الظنون على أقرب منه.

وكم فى القرآن من مثل هذا الاحتجاج، كما فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، إلى أن قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وقوله

تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]. وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية، وهى ثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم فى المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين: منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد. ومنهم من يقول: تفرق الأجزاء ثم تجتمع. فأورد عليهم: الإنسان الذى يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا؟ وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذى يعاد؟ أهو الذى كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض، فادعى بعضهم أن فى الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شىء من ذلك الحيوان الذى أكله الثانى. والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شىء باق، فصار ما ذكروه فى المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة فى إنكار معاد الأبدان.

والقول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال فى النشأة الأولى: فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً. كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت فى

« الصحيح » عن النبى ﷺ، أنه قال : « **كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، وفيه يركب** »(١).

وفى حديث آخر : « **إن السماء تمطر مطراً كمنى الرجال وينبتون فى القبور كما ينبت النبات** »(٢).

فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمُعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذى يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التى استحال إليها ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخاً علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائماً فى تحلل واستحالة. وكذلك سائر الحيوان والنبات، فمن رأى

---

(١) رواه البخاري [٤٨١٤، ٤٨٣٥]، ومسلم [٢٩٥٥]، وأبو داود [٤٧٤٣]، والنسائي (٤ / ٩١)، وابن ماجه [٤٢٦٦]، وأحمد (٢ / ٣٢٢)، ومالك في « الموطأ » (ص : ١٦٤)، وابن حبان [٣١٣٨]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **ضعيف**. رواه الطبراني في « الكبير » [٩٧٦١]، والحاكم (٤ / ٥٩٨ - ٦٠٠)، والعقيلي في « الضعفاء » (٢ / ٣١٤)، من طريق سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً في حديث طويل له حكم الرفع.
وفي إسناده أبو الزعراء، وهو عبد الله بن هانئ، قال عنه البخاري في « التاريخ » (٥ / ٢٢١) : سمع ابن مسعود رضي الله عنه، سمع منه سلمة بن كهيل، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في الشفاعة : ثم يقوم نبيكم رابعهم، والمعروف عن النبي ﷺ : « **أنا أول شافع** »، ولا يتابع في حديثه. اهـ. وقال العقيلي : فيه كلام ليس في حديث الناس. اهـ. وقال الحافظ في « الفتح » (١١ / ٤٢٧) : هذا الحديث لم يصرح برفعه، وقد ضعفه البخاري. اهـ.
وقد ورد موضع الشاهد، وهو : أن السماء تمطر مطراً ينبت منه الناس، في أحاديث منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وفيه : « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل » - الحديث، وهو الحديث السابق تخريجه، ومنها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه : « ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل، أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس » - الحديث رواه مسلم [٢٩٤٠].

شجرة وهى صغيرة ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال إن الصفات هى المغيرة لاسيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعاً [(١)]، كما ثبت فى «الصحيحين» وغيرهما، وروى: أن عرضه سبعة أذرع [(٢)]، وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فاسدة معرضة للآفات.

وقوله: «وجزاء الأعمال». قال تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٢٥]. والدين: الجزاء، ويقال: كما تدين تدان، أى كما تجازى تجازى، وقال تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧]. ﴿**جَزَاءً وِفَاقًا**﴾ [النبأ: ٢٦]. ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النمل: ٨٩ - ٩٠]. ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [القصص: ٨٤]. وأمثال

---

(١) رواه البخاري [٣٣٢٦]، ومسلم [٢٨٤١]، وأحمد (٢/٣١٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» [٤٤]، وابن حبان [٦١٦٢]، من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم على صورته**» الحديث، وفيه: «**فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً**».

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه أحمد (٢/٥٣٥)، من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً**».
وإسناده ضعيف، فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، كما في «التقريب».
والحديث سبق تخريجه قبل هذا بحديث بدون زيادة «في سبعة أذرع عرضاً».

ذلك .

وقـــال ﷺ ، فـيـمـا يروى عـن ربه عـز وجل ، من حـديث أبى ذر الغفارى رضي الله عنه : «**يا عبادى ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» (١) .

وسيأتى لذلك زيادة بيان عن قريب ، إن شاء الله تعالى .

وقوله : «**والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب**» .

قال تعالى : ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة : ١٥-١٨] . إلى آخر السورة .

﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا** ﴾ [الإنشقاق : ٦-١٥] . ﴿ **وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [الكهف : ٤٨] .

﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٤٩] .

﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾

---

(١) سبق تخريجه (١/٧٦) .

[إبراهيم: ٤٨]. إلى آخر السورة.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾، الآية إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٥-١٧].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وروى البخارى رحمه الله فى «صحيحه»، عن عائشة، أن النبى ﷺ قال: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٧-٨]، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**»[1] يعنى أنه لو ناقش فى حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح، وسيأتى لذلك زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

وفى «الصحيح» عن النبى ﷺ، أنه قال: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا أدرى أفاق قبلى، أم جوزى بصعقة يوم الطور؟**»[2].

وهذا صعق فى موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ يصعق الخلائق كلهم.

فإن قيل: كيف تصنعون بقوله فى الحديث: «**إن الناس يصعقون يوم**

---

(١) رواه البخاري [١٠٣]، ومسلم [٢٨٧٦]، وأبو داود [٣٠٩٣]، والترمذي [٢٤٢٦، ٣٣٣٧]، والنسائي في «الكبرى» [١١٥٦٩]، وأحمد (٦/٤٧، ١٢٧، ٢٠٦).

(٢) سبق تخريجه (١/١٢٧).

القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش» [1].

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال. ولكنه دخل فيه على الراوى حديث فى حديث، فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا: أحدهما: **«إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق»**، كما تقدم، والثانى: **«أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة»** فدخل على الراوى هذا الحديث فى الآخر، وممن نبه على هذا أبو الحجاج المزى، وبعده الشيخ شمس الدين ابن القيم، وشيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير، رحمهم الله.

وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال: **«فلا أدرى أفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله عز وجل»**؟ والمحفوظ الذى تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول، وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلى الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فموسى ﷺ إن كان لم يصعق معهم، فيكون قد جوزى بصعقه يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكاً فجعلت صعقة هذا التجلى عوضاً عن صعقة الخلائق لتجلى الرب يوم القيامة. فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله.

وروى الإمام أحمد، والترمذى، وأبو بكر ابن أبى الدنيا عن الحسن قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير**

---

(١) رواه البخاري [٢٤١١، ٣٤٠٨، ٦٥١٧، ٧٤٧٢]، ومسلم [٢٣٧٣]، وأبو داود [٤٦٧١]، والنسائي في «الكبري» [٧٧٥٨، ١١٤٧٥].
وهو إحدي طرق حديث أبي هريرة ﷺ، الذي سبق تخريجه (١/ ١٢٧).

الصحف، فمن أوتى كتابه بيمينه، وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتى كتابه بشماله، دخل النار» [1].

وقد روى ابن أبى الدنيا عن ابن المبارك: أنه أنشد فى ذلك شعراً:.

وطارت الصحف فى الأيدى منشرة	فيها السرائر والأخبار تطلعُ
فكيف سهوك والأنباء واقعة	عما قليل، ولا تدرى بما تقع
أفى الجنان وفوز لا انقطاع له	أم الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بساكنها طوراً وترفعهم	إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم	فيها ولا رقة تغنى ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه	قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

قوله: و«الصراط»، أى: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التى دون الصراط كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: «**هم فى الظلمة دون الجسر**» [2] وفى هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون

---

(١) **ضعيف**. رواه الترمذي [٢٤٢٥]، من طريق علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف لانقطاعه الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه. اهـ.
ورواه ابن ماجه [٤٢٧٧]، وأحمد (٤/٤١٤)، من طريق علي بن علي، عن الحسن، عن أبي موسي رضي الله عنه به. وإسناده ضعيف، لانقطاعه الحسن البصري، لم ير أبا موسي رضي الله عنه، كما قال أبو حاتم، وأبو زرعة (المراسيل-٣٧)، وقال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسي رضي الله عنه. اهـ.
(٢) رواه مسلم [٣١٥]، والنسائي في «الكبري» [٩٠٧٣]، وابن خزيمة [٢٣٢]، =

عنهم، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم .

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبد الله، قال : «**يجمع الله الناس يوم القيامة**»، إلى أن قال : «**فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال : فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضئ مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام، قال : فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض، مزلة، فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرحل، ويرمل رملا، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذى نوره على إبهام قدمه، تجر يد، وتعلق يد، وتجر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا : الحمد الله الذى نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يُعطَ أحدٌ**» (٢) الحديث .

= وابن حبان [٧٤٢٢]، والحاكم (٣ / ٤٨١)، من حديث ثوبان ﷺ في حديث طويل اقتصر منه المصنف علي هذا اللفظ .

وأما حديث عائشة ﵂ فقد رواه مسلم [٢٧٩٠]، بلفظ : «**علي الصراط**» .

(٢) **صحيح**. رواه الطبراني في «الكبير» [٩٧٦٣]، من طريق أبي خالد الدالاني، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً به .

ورجاله ثقات، غير أبي خالد الدالاني، وهو يزيد بن عبد الرحمن، فإنه صدوق يخطئ كثيراً، وكان يدلس كما في «التقريب» . وقد تابعه زيد بن أنيسة ـ وهو ثقة ـ عن المنهال بن عمرو به . أخرجه الطبراني، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٢٠٣]، وقد صرح أبو خالد الدالاني بالتحديث في الطريق الذي أخرجه الحاكم (٢ / ٣٧٦)، وصححه علي شرط الشيخين، ووافقه الذهبي .

ورواه إسحق بن راهوية [المطالب العالية ـ ٥١٠٠]، عن جرير، عن الأعمش، عن منهال =

واختلف المفسرون فى المراد بالورود المذكور فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ [مريم: ٧١] ماهو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ [مريم: ٧٢]، وفى «الصحيح» أنه ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**» قالت حفصة: فقلت: يارسول الله، أليس الله يقول: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** ﴾، فقال: «**ألم تسمعيه قال**: ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾» [1] أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا** ﴾ [هود: ٥٨]. ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا** ﴾ [هود: ٦٦]. ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا** ﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الواردين فى النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجى الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فهيا جثياً، فقد بين ﷺ فى

= ابن عمرو، عن قيس بن السكن، وأبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الحديث قال: إذا حشر الناس ـ فذكره بنحوه. وإسناده صحيح، رجاله ثقات كما قال الحافظ في «المطالب»، وقال البوصيري في «مختصر اتحاف المهرة» (١٠ / ٥٧٤): رواه إسحق بن راهويه بسند صحيح. اهـ. والحديث رواه البيهقي في «الشعب» [٤٣٤]، مختصراً من طريق الحاكم.

(١) رواه مسلم [٢٤٩٦]، من حديث جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**» ـ الحديث.

ورواه النسائي في «الكبري» [١١٣٢١]، وأحمد (٦ / ٤٢٠)، وابن حبان [٤٨٠٠] بنحوه.

حديث جابر المذكور: أن الورود هو المرور على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلى، عن أبى هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: **«علم الناس سنتى وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدثن فى دين الله حدثا برأيك»** (١) أورده القرطبى.

وروى أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، عن يعلى بن منية، عن رسول الله ﷺ قال: **«تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبى»** (٢).

وقوله: «والميزان»، أى: ونؤمن بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ

---

(١) **موضوع**. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/٣٨٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٦٤)، من طريق أبي همام القرشي، عن سليمان بن المغيرة، عن قيس بن مسلم، عن طاوس، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه»** ـ الحديث.

وهو حديث موضوع، فيه أبو همام، محمد بن مجيب القرشي، وهو متروك كما في «التقريب». وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، وقد غطي بعض الرواة عواره بأن قال: حدثنا أبو همام القرشي وهذا عندي من أعظم الخطأ أن يهرج بكذاب، واسمه محمد بن مجيب. قال يحيي بن معين: كذاب عدو الله. وقال أبو حاتم الرازي: ذاهب الحديث. اهـ. ورواه أبو نعيم في «تاريخ إصبهان» (٢/٢٢٦) بإسناد ضعيف.

(٢) **ضعيف**. رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/٣٥٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٣٩٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/٢٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٩٢٩)، من طريق سليم بن منصور بن عمار، عن أبيه، عن بشير بن طلحة الجذامي، عن خالد بن دريك، عن يعلي بن منبه ﷺ به.

وإسناده ضعيف، منقطع فيه منصور بن عمار، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: منكر الحديث. وقال الدارقطني: روي عن الضعفاء أحاديث لا يتابع عليها. اهـ (لسان الميزان ـ ٦/٩٨)، وخالد بن دريك ثقة وروايته عن يعلي مرسلة كما في «تهذيب الكمال» (٨/٥٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٣٦٠): رواه الطبراني، وفيه سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف. اهـ.

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

قال القرطبى: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغى أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. قال: وقوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء: ٤٧]. يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

والذى دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، وروى الإمام أحمد، من حديث أبى عبد الرحمن الحبلى، قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتى الحافظون؟ قال: لايا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يارب: فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأ ن محمداً رسول الله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شىء بسم الله الرحمن**

الرحـــيم»[١] وهكذا رواه الترمذى، وابن ماجه وابن أبى الدنيا من حديث الليث، زاد الترمذى: «**ولا يثقل مع اسم الله شيء**» وفى سياق آخر: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة....**»[٢] الحديث.

وفى هذا السياق فائدة جليلة، وهى أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، قال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥]»[٣].

وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود رضي الله عنه: إنه كان يجتنى سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون**»؟ قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه، فقال: «**والذى نفسى بيده، لهما أثقل فى الميزان من أحد**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه (١/٧٧).

(٢) هو إحدي طرق الحديث السابق، وهذا اللفظ رواه أحمد (٢/٢٢١، ٢٢٢).

(٣) رواه البخاري [٤٧٢٩]، ومسلم [٢٧٨٥]، والطبراني في «الأوسط» [١٩٢].

(٤) **حسن**. رواه أحمد (١/٤٢٠)، والطيالسي [٣٥٥]، و الطبراني في «الكبير» [٨٤٥٢]،، وابن حبان [٧٠٦٩]، من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه به.

وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير عاصم بن بهدلة، فهو صدوق له أوهام كما في «التقريب».

ويشهد له ما رواه ابن أبي شيبة (١٢/١١٤)، وأبو يعلي [٥٣٩]، والطبراني في «الكبير» [٨٥١٦]، من طريق مغيرة، عن أم موسي، قالت: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشئ ـ الحديث. ورجاله ثقات غير أم موسي سُرية عليّ فإنها مقبولة كما في «التقريب».

وله شاهد آخر رواه البزار [كشف الأستار ـ ٢٦٧٧]، وابن الجعد [١٠٩٢]، من طريق =

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها كما فى «صحيح مسلم»، عن أبى مالك الأشعرى ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»** (١).

وفى «الصحيحين» وهو خاتمة كتاب البخارى، قوله ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»** (٢).

وروى الحافظ أبو بكر البيهقى، عن أنس بن مالك ﵁، عن النبى ﷺ قال: **«يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتى الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»** (٣).

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن،

= أبي عتاب سهل بن حماد، عن شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، أن ابن مسعود ﵁ رقي شجرة ـ الحديث. ورجاله ثقات، غير سهل بن حماد، فإنه صدوق كما في «التقريب».

(١) رواه مسلم [٢٢٣]، والترمذي [٣٥١٢]، والنسائي (٥ / ٥)، وابن ماجه [٢٨٠]، وأحمد (٥ / ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤)، والدارمي [٦٥٩]، والبيهقي (١ / ٤٢)، وابن حبان [٨٤٤].

(٢) رواه البخاري [٦٤٠٦]، ومسلم [٢٦٩٤]، والترمذي [٣٤٦٧]، وابن ماجه [٣٨٠٦]، وأحمد (٢ / ٢٣٢)، وابن حبان [٨٣١، ٨٤١]، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) **ضعيف**. رواه الحارث في مسنده [المطالب العالية ـ ٥١٣٨]، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٦ / ١٧٤)، عن داود بن المحبر، عن صالح المري، عن جعفر بن زيد، عن ثابت، عن أنس ﵁ مرفوعاً به.
وإسناده ضعيف، فيه داود بن المحبر، وهو متروك كما في «التقريب»، وذكره ابن كثير في «النهاية» (٢ / ٣١)، وقال: إسناده ضعيف. اهـ.

وإنما يقبل الوزن الأجسام. فإن الله يقلب الأعراض أجساماً، كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد، عن أبى هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بالموت كبشاً أغبر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال خلود لا موت**» ورواه البخارى بمعناه [1]. فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفى وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح فى النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً. ولو لم يكن من الحكمة فى وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة، لما قال. الله لهم: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) رواه البخاري [٦٥٤٥]، وأحمد (٢/٣٤٤، ٣٧٨]، وابن حبان [٧٤٤٩] مختصراً. وأما لفظ المصنف فقد رواه أحمد (٢/٤٣٢)، والدارمي [٢٨١٤].
ورواه ابن ماجه [٤٣٢٧]، وأحمد (٢/٢٦١، ٣٧٧)، وابن حبان [٧٤٥٠] بنحوه.
وقد سبق تخريجه (١/٧٦)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله أن الحوض قبل الميزان والصراط بعد الميزان. ففي «الصحيحين»: «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة**»[١] وجعل القرطبي في «التذكرة»[٢] هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم.

قوله: «**والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد**».

ش: أما قوله: «إن الجنة والنار مخلوقتان» اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة. وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث. لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى،

(١) سبق تخريجه (٢/ ١٠٠).
(٢) «التذكرة» (ص: ٣٣٩).

وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ﴿ **أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [الحديد: ٢١]. وعن النار: ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣١]. ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا** ﴾ [النبأ: ٢١-٢٢]. وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [النجم: ١٣-١٥]. وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى. ورأى عندها جنة المأوى، كما في «الصحيحين»، من حديث أنس رضي الله عنه، في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبريل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[(١)].

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[(٢)].

وتقدم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه: «**ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها**»[(٣)].

وتقدم حديث أنس رضي الله عنه بمعنى حديث البراء رضي الله عنه.

---

(١) سبق تخريجه (١/٢٢٤).

(٢) رواه البخاري [١٣٧٩]، ومسلم [٢٨٦٦]، والترمذي [١٠٧٢]، والنسائي (٤/٨٧، ٨٨)، وابن ماجه [٤٢٧]، ومالك في «الموطأ» (ص: ١٦٤).

(٣) سبق تخريجه (٢/٢٠٢).

وفى «صحيح مسلم» عن عائشة ﵂ قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله ﷺ: **«رأيت فى مقامى هذا كل شىء وعدتم به حتى لقد رأيتنى آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتمونى تقدمت ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت»** (١).

وفى «الصحيحين» واللفظ للبخارى، عن عبد الله بن عباس ﵄، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر الحديث وفيه: فقالوا: يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: **«إنى رأيت الجنة، فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء»**، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **«يكفرن»**، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: **«يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط»** (٢).

وفى «صحيح مسلم» من حديث أنس ﵁: **«وايم الذى نفسى بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً»**. قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: **«رأيت الجنة والنار»** (٣).

---

(١) رواه البخاري [١٢١٢]، ومسلم [٩٠١]، والنسائي (٣/١٠٧)، والبيهقي (٢/٢٦٥).
ورواه أبو داود [١١٨٠]، والترمذي [٥٦١]، وابن ماجه [١٢٦٣]، وأحمد (٦/٣٢)، بغير محل الشاهد.

(٢) رواه البخاري [١٠٥٢]، ومسلم [٩٠٧]، والنسائي (٣/١١٨-١١٩)، ومالك في «الموطأ» (ص: ١٣٢)، وأحمد (١/٢٩٨)، وابن خزيمة [١٣٧٧]، وابن حبان [٢٨٣٢].

(٣) رواه مسلم [٤٢٦]، والنسائي (٣/٦٩)، وأحمد (٣/١٠٢).

وفى «الموطأ» و«السنن» من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة**»[1]. وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

وفى «صحيح مسلم» و«السنن» و«المسند» من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هى يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها**»[2] ونظائر ذلك فى السنة كثيرة.

وأما على قول من قال: إن الجنة الموعود بها هى الجنة التى كان فيها آدم، ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهر، والخلاف فى ذلك

---

(١) سبق تخريجه (٢/١٩٥).

(٢) رواه البخاري [٦٤٧٨]، مختصراً بلفظ: «**حجبت النار بالشهوات**» ـ الحديث.
ورواه مسلم [٢٨٢٣] مختصرا بلفظ: «**حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره**». أما لفظ المصنف ـ رحمه الله ـ فقد رواه أبو داود [٤٧٤٤]، والترمذي [٢٥٦٠]، والنسائي (٧/٣)، وأحمد (٢/٣٧٣)، وابن حبان [٧٣٩٤]، والحاكم (١/٢٦)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

معروف.

وأما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد، وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]، و﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد روى الترمذى فى «جامعه»، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمد، أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١) قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضا من حديث أبى الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ، أنه قال: «**من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة فى الجنة**»(٢)، قال: هذا

---

(١) **حسن**. رواه الترمذي [٣٤٦٢]، والطبراني في «الكبير» [١٠٣٦٣]، وفي «الصغير» (١/١٩٦)، من طريق سيار، عن عبد الواحد بن زياد، عن عبد الرحمن بن إسحق، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. ورجاله ثقات، غير سيار، وهو ابن حاتم فإنه صدوق له أوهام، وعبد الرحمن بن إسحق ضعيف كما في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. اهـ. ويشهد له ما رواه أحمد (٥/٤١٨)، وابن حبان [٨٢١]، من طريق حيوة، عن أبي صخر، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر، عن سالم بن عبد الله، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «ليلة أسري به مر على إبراهيم فقال: **من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا محمد مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة**» - الحديث، وإسناده حسن، رجاله ثقات غير أبي صخر بن زياد، فإنه صدوق، وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٤٤٥)، والحافظ في «النتائج» (١/١٠٠).

(٢) **صحيح**. رواه الترمذي [٣٤٦٤]، وابن حبان [٨٢٦، ٨٢٧]، وأبو يعلي [٢٢٣٣]، =

حديث حسن صحيح، قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى.

قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿**رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**﴾ [التحريم: ١١].

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة، بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]، فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم

= والحاكم (١/٥٠١)، من طريق حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً به.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. اهـ. وقال الحاكم: صحيح علي شرط مسلم. اهـ. وحسنه الحافظ في «النتائج» (١/١٠٢).
ويشهد له ما رواه أحمد (٣/٤٤٠)، عن حسن، عن ابن لهيعة، عن زياد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة**» ـ الحديث. وإسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة، وهو صدوق اختلط بعد احتراق كتبه، كما في «التقريب».
ويشهد له أيضاً ما رواه ابن أبي شيبة (١٠/٢٩٦)، عن عمر بن سعد، عن يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً بنحوه. وإسناده منقطع، عمرو بن شعيب لم يسمع من عبد الله بن عمرو كما في «جامع التحصيل» (ص: ٢٤٤).
والحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم توفَّقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام. فمن كلامهم: أن المراد «كل شئ» مما كتب الله عليه الفناء والهلاك «هالك»، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف الجنة. وقيل: المراد إلا ملكه. وقيل: إلا ما أريد به وجهه. وقيل: إن الله تعالى أنزل: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن: ٢٦]. فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا فى البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]. لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يذكر عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تبيدان» هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة منهم السلف والخلف، والقولان مذكوران فى كثير من كتب التفسير وغيرها.

وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذى اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث. وهو عمدة أهل الكلام المذموم، التى استدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدوث

ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم، فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى، يمنعه فى المستقبل، فدوام الفعل عنده على الرب فى المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عنده عليه فى الماضى، وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضى فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا فى سكون دائم، لا يقدر أحد منهم على حركة، وقد تقدمت الإشارة إلى اختلاف الناس فى تسلسل الحوادث فى الماضى والمستقبل، وهى مسألة دوام فاعلية الرب تعالى، وهو لم يزل ربا قادراً فعالاً لما يريد، فإنه لم يزل حياً عليما قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجدد شئ وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوره كاف فى الجزم بفساده.

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨]، أى غير مقطوع، ولا ينافى ذلك قوله: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾.

واختلف السلف فى هذا الاستثناء: فقيل: معناه إلا مدة مكثهم فى النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم.

وقيل: إلا مدة مقامهم فى الموقف. وقيل: إلا مدة مقامهم فى القبور والموقف.

وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه.

وقيل: «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة وهو ضعيف، وسيبويه يجعل إلا بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨]. قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي سوى ما شئت أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿**فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ**﴾ [يونس: ١٦]. ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قيل: إن «ما» بمعنى «من» أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء، وقيل غير ذلك. وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨]، محكم وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ**﴾ [ص: ٥٤]. وقوله: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥]. وقوله: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر: ٤٨].

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن،

وأخبر أنهم: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨]. تبين لك المراد من الآيتين استثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة: كقوله ﷺ: **«من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت»** (١) وقوله: **«ينادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا»** (٢).

وتقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار ويقال: **«يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النارخلود فلا موت»** (٣).

وأما أبدية النار ودوامها، فللناس فى ذلك ثمانية أقوال:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثانى: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعةً نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم وهذا قول إمام الاتحادية ابن

---

(١) رواه مسلم [٢٨٣٦]، والنسائي في «الكبري» [١١١٨٤]، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، والدارمي [٢٨٢٢]، وأبو يعلي [٦٤٢٨]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم [٢٨٣٧]، والترمذي [٣٢٤٦]، وأحمد (٢/ ٣١٩)، والدارمي [٢٨٢٧]، من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما.
(٣) سبق تخريجه (٢/ ٢٣٣).

عربى الطائى.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبى ﷺ، وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى، فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١].

الرابع: يخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تفنى بنفسها، لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه. وهذا قول الجهم وشيعته ولا فرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار، كما تقدم.

السادس: تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً، لا يحسون بألم وهذا قول أبى الهذيل العلاف كما تقدم.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد فى السنة، ثم يبقيها ما يشاء، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من يشاء، كما ورد فى السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله.

وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر فى دليلهما.

فمن أدلة القول الأول منهما: قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ

﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. وقوله تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾** [هود: ١٠٦-١٠٧]، ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: **﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هود: ١٠٨]. وقوله تعالى: **﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾** [النبأ: ٢٣].

وهذا القول، أعنى القول بفناء النار دون الجنة منقول عن عمر، وابن مسعود، وأبى هريرة، وأبى سعيد، وغيرهم.

وقد روى عبد بن حميد فى تفسيره المشهور، بسنده إلى عمر ﷺ، أنه قال: «لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه»[١]. ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى: **﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾** [النبأ: ٢٣]. قالوا: والنار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته. وقد قال ﷺ: «**لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى سبقت غضبى**» وفى رواية: «**تغلب غضبى**»[٢] رواه البخارى فى «صحيحه» من حديث أبى هريرة ﷺ.

قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه: **﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**

---

(١) **ضعيف**. رواه عبد بن حميد في «التفسير»، وساق إسناده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص: ٢٨٨)، من طريق سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال: قال عمر ﷺ به.
وإسناده ضعيف، لانقطاعه، فإن الحسن البصري لم يدرك عمر ﷺ. قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٢٢): منقطع، ولو ثبت حمل علي الموحدين، وقد مال بعض المتأخرين إلي هذا القول السابق ونصره، وهو مذهب ردئ مردود علي قائله. اهـ.
(٢) سبق تخريجه (١/ ١٤٢).

[الأنعام: ١٥]. و﴿ **أَلِيمٍ** ﴾ [هود: ٢٦]. و﴿ **عَقِيمٍ** ﴾ [الحج: ٥٥]. ولم يخبر ولا فى موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم، وقد قال تعالى: ﴿ **قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا** ﴾ [غافر: ٧]. فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا فى العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد ثبت فى «الصحيح» تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة [١]، والمعذبون فيها متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم، وليس فى حكمة أحكم الحاكمين، ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له. وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيما سرمداً فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام كله حق مسلم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضى الخلود فى دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها فى حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها: قوله: ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٧]. ﴿ **لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴾ [الزخرف: ٧٥]. ﴿ **فَلَن**

---

(١) رواه مسلم [٩٨٧]، وأبو داود [١٦٥٨]، والنسائي (٦/٩)، وأحمد (٢/٣٧٣)، وابن خزيمة [٢٢٥٢]، وابن حبان [٣٢٥٣]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها**» ـ الحديث، وفيه: «**في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتي يقضي بين العباد**» ـ الحديث.

﴿ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠]. ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [النساء: ١٦٩]. ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]. ﴿ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]. ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦]. ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥]. أي: مقيماً لازماً.

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما.

وقوله: «وخلق لهما أهلاً» قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، الآية، وعن عائشة ﵂، قالت: دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبى من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً ولم يدركه، فقال: **«أوغير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم»** [١] رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢-٣]. والمراد

---

(١) رواه مسلم [٢٦٦٢]، وأبو داود [٤٧١٣]، والنسائي (٤/ ٤٦-٤٧)، وابن ماجه [٨٢]، وأحمد (٦/ ٤١)، وابن حبان [٦١٧٣].

الهداية العامة، وأعم منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

فالموجودات نوعان: أحدهما: مسخر بطبعه، والثاني: متحرك بإرادته. فهدى الأول لما سخره له طبيعة وهدى الثاني هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره.

ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

نوع لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالملائكة.

ونوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالشياطين.

ونوع يتأتى منه إرادة القسمين، كالإنسان. ثم جعله ثلاثة أصناف: صنف يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته، فيلتحق بالملائكة، وصنف عكسه، فيلتحق بالشياطين، وصنف تغلب شهوته البهيمية عقله، فيلتحق بالبهائم.

والمقصود: أنه سبحانه أعطى الوجودين: العيني والعلمي، فكما أنه لا موجود إلا بإيجاده، فلا هداية إلا بتعليمه، وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته، سبحانه وتعالى.

وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه....» إلخ، مما يجب أن يعلم: أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه وهو العمل الصالح، فإنه: ﴿مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهو سبحانه المعطى المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع. لكن إذا من على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً، بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وحيث منعه ذلك فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنه يهدى من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك كله حكمة منه وعدل، فمنعه للأسباب التى هى الأعمال الصالحة من حكمته وعدله. وأما المسببات بعد وجود أسبابها، فلا يمنعها بحال إذا لم تكن أسباباً صالحة، إما لفساد فى العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضى أو لوجود المانع. وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعط ذلك ابتلاء وابتداء حكمة منه وعدلاً. فله الحمد فى الحالين، وهو المحمود على كل حال، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل، فإنه تعالى حكيم يضع الأشياء فى مواضعها التى تصلح لها، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وكما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ٥٣]. ونحو ذلك. وسيأتى لذلك زيادة، إن شاء الله تعالى.

* * *

قـوله : «**والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل. وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]».

ش : الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع: ألفاظ متقاربة، وتقسيم الاستطاعة إلى قسمين، كما ذكره الشيخ رحمه الله، وهو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط، وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وقابلهم طائفة من أهل السنة فقالوا: لا تكون إلا مع الفعل.

والذى قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هى مناط الأمر والنهى، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التى يكون بها الفعل لابد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

وأما القدرة التى من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة فى قوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾** [آل عمران: ٩٧]. فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج، ولم يعاقب أحداً على ترك الحج، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** [التغابن: ١٦]. فأوجب

التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق، وهذا معلوم الفساد.

وكذا قوله تعالى: ﴿**فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**﴾ [المجادلة: ٤]. والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿**لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ**﴾ [التوبة: ٤٢]. وكذبهم في ذلك القول ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿**لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ**﴾ [التوبة: ٩١]، إلى أن قال: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ**﴾ [التوبة: ٩٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [النساء: ٢٥٨]. والمراد: استطاعة الآلات والأسباب، ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[1] وإنما نفى استطاعة الفعل معها.

وأما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة، فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾ [هود: ٢٠]، والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابتة، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: «ولا يطيقون إلا ما

---

(١) رواه البخاري [١١١٧]، وأبو داود [٩٥٢]، والترمذي [٣٧٢]، وابن ماجه [١٢٢٣]، وأحمد (٤/٤٢٦).

كلفهم» إن شاء الله تعالى. وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]. وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]. والمراد منه حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك؟ ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضييع قدرة الفعل، لاشتغاله بغير ما أمر به، أو لعدم شغله إياها بضدٍ ما أمر به. ومن قال: إن القدرة لا تكون إلا حين الفعل يقولون: إن القدرة لا تصلح للضدين. فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل، وهى مستلزمة له، لا توجد بدونه.

وما قالته القدرية بناء على أصلهم الفاسد، وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية، كالوالد الذى أعطى كل واحد من بنيه سيفاً، فهذا جاهد به فى سبيل الله، وهذا قطع به الطريق.

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، فالقدرية يقولون: هذا التحبيب والتزيين عام فى كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق. والآية تقتضى أن هذا خاص بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وأمثال هذه الآية فى القرآن كثيره، يبين أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا. قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وسيأتى لهذه المسألة زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

وأيضا فقول القائل: يرجح بلا مرجح إن كان لقوله: يرجح، معنى زائد على الفعل، فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد كان حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل فى إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح، وهذا مكابرة للعقل. فلما كان أصل قول القدرية إن فاعل الطاعات وتاركها كليهما فى الإعانة والإقدار سواء امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة التى تخص الفعل لا تكون للتارك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى. وهم لما رأوا أن القدرة لابد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع الفعل، لأن القدرة هى التى يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلهذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل. وهذا باطل قطعاً، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لابد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل. فنقيض قولهم حق، وهو: أن الفعل لابد أن يكون معه قدرة.

لكن صار أهل الإثبات هنا حزبين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلا معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من

بعضهم أن القدرة عرض، فلا تبقى زمانين، فيمتنع وجودها قبل الفعل.

والصواب: أن القدرة نوعان كما تقدم: نوع مصحح للفعل، يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول: ببقاء الأعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول: إن الأعراض لا تبقي زمانين، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة وضد هذه العجز كما تقدم.

وأيضاً فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه، فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع، لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان قد يسمى مستطيعاً. فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله، أويصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك، فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة، فكيف يكلف مع العجز؟!

ولكن هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل لا تكفي في وجود الفعل ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، بل لابد من

إحداث إعانة أخرى تقارن، مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، والاستطاعة المقارنة يدخل فيها الإرادة الجازمة، بخلاف المشروطة فى التكليف، فإنه لا يشترط فيها الإرادة. فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده، لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه. وهكذا أمر الناس بعضهم لبعض، فالإنسان يأمر عبده بما لا يريده العبد، لكن لا يأمر بما يعجز عنه العبد وإذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقوة التامة، لزم وجود الفعل، وعلى هذا ينبنى تكليف مالا يطاق، فإن من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل يقول: كل كافر وفاسق قد كلف مالا يطيق. ومالا يطاق يفسر بشيئين: بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً، ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذى وقع فيه التكليف، كما فى أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة.

قوله: «**وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد**».

ش: اختلف الناس فى أفعال العباد الاختيارية.

فزعمت الجبرية رئيسهم الجهم بن صفوان الترمذى: أن التدبير فى أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهى كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز، وهى على حسب ما يضاف الشئ إلى محله دون ما يضاف إلى محصله!!.

قابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع

الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى: واختلفوا فيما بينهم: أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟!.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة وهى مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه. فالجبرية غلوا فى إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً، كما غلت المشبهة فى إثبات الصفات، فشبهوا، والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى. ولهذا كانوا «مجوس هذه الأمة»، بل أردأ من المجوس، من حيث أن المجوس أثبتوا خالقَيْن، وهم أثبتوا خالقِين!!.

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبرى، فإنما يدل على أن الله خالق كل شىء، وأنه على كل شئ قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدرى فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولايدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما

يدل ذلك على مادل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع مافي الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضاً. ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر، ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كل من الفريقين، ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل.

فمما استدلت به الجبرية، قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ [الأنفال: ١٧]، فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد. قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[(١)].

ومما استدل به القدرية، قوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: ١٤]. قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض، كما قال تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الواقعة: ٢٤]. ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٧٢]. ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ [الأنفال: ١٧]. فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله

---

(١) رواه البخاري [٥٦٧٣]، ومسلم [٢٨١٦]، وابن ماجه [٤٢٠١]، بنحوه، وأحمد (٢/٢٥٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

ﷺ رمياً: بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فعلم أن المثبت غير المنفى، وذلك أن الرمى له ابتداء وانتهاء: فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما صمت إذ صمت، وما زنيت إذ زنيت، وما سرقت إذ سرقت، وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التى فى النفى غير الباء التى فى الإثبات، فالنفى فى قوله ﷺ: **«لن يدخل الجنة أحد بعمله»** باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التى فى قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]. و نحوها، باء السبب، أى بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. فمعنى الآية: أحسن المصورين المقدرين. و«الخلق» يذكر ويراد به التقدير وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، أى الله خالق كل شئ مخلوق، فدخلت أفعال العباد فى عموم: «كل». وما أفسد قولهم فى إدخال كلام الله تعالى فى عموم: «كل»، الذى هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً وأخرجوا أفعالهم التى هى مخلوقة من عموم: «كل»!! وهل

يدخل في عموم: «كل» إلا ما هو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها. وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. ولا نقول إن: «ما» مصدرية، أى خلقكم وعملكم إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، ولو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير. وذكر أبو الحسين البصرى إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضرورى، وذكر الرازى أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده ويمتنع عنده عدمه ضرورى، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضرورى، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضرورى يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة غير مسلم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضرورى وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق. فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله، وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨]. فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]. إثبات للقدر بقوله: فألهمها، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هى الفاجرة والمتقية. وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]. إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التى فرقتهم، بل مزقتهم كل ممزق وهى: أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروقاً فى العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم فى جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم والتعليل، وسدت باب السؤال. وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل. جعلت الثواب والعقاب عليه. وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين، ومفعول بين فاعلين. وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه، وهذا السؤال هو الذى أوجب هذا التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن كانت خلقاً لله تعالى، فهى عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها. فالذنوب كالأمراض، التى يورث بعضها بعضاً.

يبقى أن يقال: فالكلام فى الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟ يقال: هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: ٣٠]. فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه، من محبة الله وعبوديته، والإنابة إليه عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصى، فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً

للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذى يمنع ضده لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال إبليس: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣]. وقال الله عز وجل: ﴿**هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤١ - ٤٢]، والإخلاص: خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان. وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً فى هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص وهى محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم من خلقه فيه؟ قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه، لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ فى حديث الاستفتاح: «**لبيك وسعديك، والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك**»(١).

وكذا فى حديث الشفاعة يوم القيامة حين يقول الله له: «**يا محمد فيقول: لبيك وسعديك، والخير فى يديك والشر ليس إليك**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٣٠).

(٢) **صحيح**. رواه الطبراني في «الأوسط» [١٠٥٨]، والحاكم (٤/ ٥٧٣)، من طريق ليث ابن أبي سليم، عن أبي إسحق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، يدعوني ربي عز وجل، فأقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك**» - الحديث، وهذا لفظ الطبراني، وليس عندهما: «**والشر ليس إليك**».
وإسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك كما في «التقريب». لكن رواه النسائي في «الكبري» [١١٢٩٤]، والطيالسي =

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص. فإلهامه البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟.

قيل: ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عما تريده وتحبه، فهذا قد يقال: إنه أمر وجودى، وإنما هنا عدم وخلو من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمى هى بفعل السيئات، لا بالعقوبات التى تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسل، فالله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها ومضرتها، لموافقتها شهوته وإرادته وهى فى الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات. وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين فى قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ**

= [٤١٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٧٨)، والبزار [البحر الزخار - ٢٩٢٦]، من طريق شعبة، عن أبي إسحق، عن صلة، عن حذيفة قال: يجمع الناس في صعيد واحد ولا تكلم نفس فأول مدعو محمد ﷺ فيقول: «**لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك**» الحديث. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (٨/٣٩٩)، ورواه الحاكم (٢/٣٦٣)، من غير طريق شعبة، وصححه علي شرطهما، ووافقه الذهبي.

﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]. فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده من غير أن يخلق ذلك فى قلوبهم ويجعلهم مخلصين له منيبين إليه محبين له؟ أم ذلك محض جعله فى قلوبهم وإلقائه فيها؟ قيل: لا، بل هو محض منته وفضله، وهو من أعظم الخير الذى هو بيده، والخير كله فى يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه، ولا يتقى من الشر إلا ما وقاه.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك فى قلوبهم ولم يوفقوا له، ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم، عاد السؤال؟ وكان منعهم منه ظلماً، ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك فى ملكه بما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهو يسألون.

قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذى حرمه الرب على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومنته عليه لم يكن ظالماً بمنعه. فمنع الحق ظلم، ومنع الفضل والإحسان عدل. وهو سبحانه العدل فى منعه، كما هو المحسن المنان بعطائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق إحساناً ورحمة، فهلا كان العمل له والغلبة، كما أن رحمته تغلب غضبه؟.

قيل: المقصود فى هذا المقام بيان أن هذه العقوبة المترتبة على هذا

المنع، والمنع المستلزم للعقوبة ليس بظلم، بل هو محض العدل.

وهذا سؤال عن الحكمة التى أوجبت تقديم العدل على الفضل فى بعض المحال؟ وهلا سوى بين العباد فى الفضل؟ وهذا السؤال حاصله: لمَ تفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر؟ وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد: ٢١]. وقوله: ﴿ **لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد: ٢٩]. ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم هُمْ أجراً أجراً قال: «**هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلى أوتيه من أشاء**»[1] و ليس فى الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته فى عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد حتى أبصر طرفاً يسيراً من حكمته فى خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه وتأمل أحوال محال ذلك، استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿ **أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا** ﴾ [الأنعام: ٥٣]؟ قال تعالى مجيباً لهم: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ٥٣]. فتأمل هذا الجواب، تر فى ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذى يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر، من المحل الذى لا يصلح لغرسها، فلو غرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾

---

(١) رواه البخاري [٥٥٧]، والترمذي [٢٨٧١]، وأحمد (٢/٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[الأنعام: ١٢٤].

فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذا لا فعل للعبد أصلاً؟.

قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة. قال تعالى: ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿**فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [هود: ٣٦]، وأمثال ذلك.

وإذا ثبت كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً للعبد. كالحركات الاختيارية. والله تعالى هو الذى جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذى يقدر على ذلك وحده لا شريك له ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أى: ليس له أن يزوجها مكرهة.

والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد، قادر أن يجعله مختاراً بخلاف غيره. ولهذا جاء فى ألفاظ الشارع: «الجَبْل» دون «الجبر»، كما قال ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**» فقال: أخلقين تخلقت بهما؟ أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: «**بل خلقين جبلت عليهما**» فقال:

الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله [1]. والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختيارى والفرق بين العقاب على الفعل الاختيارى وغير الاختيارى مستقر فى الفطر والعقول.

وإذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم؟ كان بمنزلة أن يقال: خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم. فكما أن هذا سبب للموت، فهذا سبب للعقوبة، ولا ظلم فيهما.

فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة. ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى، وليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد» أثبت للعباد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق لله تعالى. والكسب: هو الفعل الذى يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قوله: «**ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم. وهو تفسير «لا حول ولا قوة إلا بالله»، نقول: لا حيلة لأحد، ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شىء يجرى بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدرته. غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها. يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً. ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٣]».

---

(١) رواه مسلم [١٨] مختصراً، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه أبو داود [٥٢٢٥]، بلفظ المصنف من حديث زارع بن عامر رضي الله عنه، ورواه مسلم [١٧]، والترمذي [٢٠١١]، وابن حبان [٧٢٠٤]، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.

ش: فقوله: لم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وعن أبى الحسن الأشعرى أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلا، ثم تردد أصحابه أنه هل ورد به الشرع أم لا؟ واحتج من قال بوروده بأمر أبى لهب بالإيمان، فإنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن. وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وهو محال.

والجواب عن هذا بالمنع: فلا نسلم بأنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، والاستطاعة التى بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة، فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كلف إلا ما يطيقه كما تقدم فى تفسير الاستطاعة. ولا يلزم قوله تعالى للملائكة: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ [البقرة: ٣١]. مع عدم علمهم بذلك، ولا للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم»[1]، وأمثال ذلك لأنه ليس بتكليف طلب فعل يثاب عليه فاعله ويعاقب تاركه، بل هو خطاب تعجيز.

وكذا لا يلزم دعاء المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لأن تحميل ما لا يطاق ليس تكليفاً، بل يجوز أن يحمله جبلاً لا يطيقه فيموت. وقال ابن الأنبارى: أى لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه، قال: فخاطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل

(١) رواه البخاري [٥٩٥١]، ومسلم [٢١٠٨]، والنسائي (٨/١٩١)، وأحمد (٢/٤)، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

يبغضه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ولا يجوز في الحكمة أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب، كما أخبر سبحانه عن نفسه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

ومنهم من يقول: يجوز تكليف الممتنع عادة، دون الممتنع لذاته، لأن ذلك لا يتصور وجوده، فلا يعقل الأمر به، بخلاف هذا.

ومنهم من يقول: ما لا يطاق للعجز عنه لا يجوز تكليفه، بخلاف ما لا يطاق للاشتغال بضده، فإنه يجوز تكليفه. وهؤلاء موافقون للسلف والأئمة في المعنى لكن كونهم جعلوا ما يتركه العبد لا يطاق لكونه تاركاً له مشتغلاً بضده بدعة في الشرع واللغة. فإن مضمونه أن فعل ما لا يفعله العبد لا يطيقه!.

وهم التزموا هذا، لقولهم: إن الطاقة التي هي الاستطاعة وهي القدرة لا تكون إلا مع الفعل. فقالوا: كل من لم يفعل فعلاً فإنه لا يطيقه، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخلاف ما عليه عامة العقلاء، كما تقدمت الإشارة إليه عند ذكر الاستطاعة.

وأما ما لا يكون إلا مقارناً للفعل، فذاك ليس شرطاً في التكليف، مع أنه في الحقيقة إنما هناك إرادة الفعل. وقد يحتجون بقوله تعالى: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ**﴾ [هود: ٢٠]. ﴿**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٧]. وليس في ذلك إرادة ما سموه استطاعة، وهو ما لا يكون إلا مع الفعل، فإن الله ذم هؤلاء على كونهم لا يستطيعون السمع، ولو أراد بذلك المقارن لكان جميع الخلق لا يستطيعون السمع قبل السمع. فلم يكن لتخصيص هؤلاء بذلك معنى، ولكن هؤلاء لبغضهم الحق

وثقله عليهم، إما حسداً لصاحبه، وإما اتباعاً للهوى لا يستطيعون السمع. وموسى ﷺ لا يستطيع الصبر، لمخالفة ما يراه لظاهر الشرع، وليس عنده منه علم. وهذه لغة العرب وسائر الأمم، فمن يبغض غيره يقال: إنه لا يستطيع الإحسان إليه، ومن يحبه يقال: إنه لا يستطيع عقوبته، لشدة محبته له، لا لعجزه عن عقوبته، فيقال ذلك للمبالغة، كما تقول: لأضربنه حتى يموت، والمراد الضرب الشديد، وليس هذا عذراً، فلو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به»، إلى آخر كلامه أى: ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه. وهذه الطاقة هى التى من نحو التوفيق، لا التى من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، و«لا حول ولا قوة إلا بالله» دليل على إثبات القدر. وقد فسرها الشيخ بعدها. ولكن فى كلام الشيخ إشكال: فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهى، وهو قد قال: «لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم»، وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨]. فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا فى الدين من حرج، ففى العبارة قلق،

فتأمله.

قوله: «وكل شيء يجرى بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره يريد بقضائه القضاء الكونى لا الشرعى، فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات، ونحو ذلك».

أما القضاء الكونى، ففى قوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [فصلت: ١٢].

والقضاء الدينى الشرعى، فى قوله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأما الإرادة الكونية والدينية، فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ: ولا يكون إلا ما يريد.

وأما الأمر الكونى، ففى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢]. وكذا قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾ [الإسراء: ١٦]، فى أحد الأقوال وهو أقواها.

والأمر الشرعى، فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠] الآية. وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨].

وأما الإذن الكونى، ففى قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٠٢]. والإذن الشرعى، فى قوله تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [الحشر: ٥].

وأما الكتاب الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والكتاب الشرعي الديني، في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأما الحكم الكوني، ففي قوله تعالى عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحكم الشرعي، في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وأما التحريم الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]. ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والتحريم الشرعي، في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. الآية.

وأما الكلمات الكونية، ففي قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وفي قوله ﷺ: «أعوذ

بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر»[1].

والكلمات الشرعية الدينية، فى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقوله: «يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً» الذى دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضى قولاً وسطاً بين قولى القدرية والجبرية، فليس ما كان من بنى آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه. وقياس له عليهم. وهو الرب الغنى القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون. وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذى لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون فى الممكن المقدور ظلم. بل كل ما كان ممكناً فهو منه لو فعله عدل، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهى، والله ليس كذلك. فإن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]. وذلك يدل على نقيض هذا القول.

ومنه قوله الذى رواه عنه رسوله: «يا عبادى، إنى حرمت الظلم على

---

(١) سبق تخريجه (١/١٥٢).

نفسى، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»(1). فهذا دل على شيئين:

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثانى: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهى، والله ليس كذلك، فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

وأيضاً: فإن قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] قد فسره السلف، بأن الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم: أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

وأيضاً: فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذى لا يدخل تحت القدرة حتى يؤمن من ذلك، وإنما يؤمن مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ [طه: ١١٢] علم أنه ممكن مقدور عليه. وكذا قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨]، إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] لم يعن بها نفى ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه، وإنما نفى ما هو مقدور عليه ممكن، وهو أن يجزوا بغير أعمالهم. فعلى قول هؤلاء ليس الله منزها عن شىء من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يفعله، بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله، بل فعله حسن، ولا حقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له!!.

والقرآن يدل على نقيض هذا القول، فى مواضع، نزه الله نفسه فيها

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٧٦).

عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له، فعلم أنه منزه مقدس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم. وذلك كقوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً، وأنكر على من حسب ذلك، وهذا فعل. وقوله تعالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ﴾ [القلم: ٣٥]. وقوله تعالى: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ [ص: ٢٨]. إنكار منه على من جوز أن يسوى الله بين هذا وهذا، وكذا قوله: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [الجاثية: ٢١]. إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيء قبيح، وهو مما ينزه الرب عنه.

وروى أبو داود، والحاكم فى «المستدرك» من حديث ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت، عن النبى ﷺ: «**أن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم**»[1].

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٦٩٩]، وابن ماجه [٧٧]، وأحمد (٥/١٨٢)، وابن حبان [٧٢٧]، من طريق أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي، قال: أتيت أبيّ بن كعب فقلت له: ـ فذكره، وفي آخره: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ فقال مثل ذلك.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات غير أبي سنان سعيد بن سنان فإنه صدوق له أوهام كما في «التقريب»، وصححه ابن القيم في «شفاء العليل» (ص: ٢٣٦).

وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية، وأما القدرية فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة، ولهذا قابلوه إما بالتكذيب أو بالتأويل!!.

وأسعد الناس به أهل السنة، الذين قابلوه بالتصديق، وعلموا من عظمة الله، وجلاله، وقدر نعم الله على خلقه، وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم، إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعة، وإما تقصيراً فى المقدور من الشكر، ولو من بعض الوجوه، فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر وتكون قوة الحب والإنابة، والتوكل والخشية، والمراقبة والخوف والرجاء: جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتأليهه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته.

ولا ريب أن هذا مقدور فى الجملة، ولكن النفوس تشح به، وهى فى الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالى. وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه، وإن أتى به من وجه آخر. فأين الذى لا تقع منه إرادة تزاحم مراد الله وما يحبه منه؟ ومن الذى لم يصدر منه خلاف ما خلق له ولو فى وقت من الأوقات؟ فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه، لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً لهم.

وغاية ما يقدر، توبة العبد من ذلك واعترافه، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظالماً. ولو قدر أنه تاب منها. لكن أوجب على نفسه بمقتضى فضله ورحمته أنه لا يعذب من تاب، وقد كتب على نفسه الرحمة، فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو

يدخل به الجنة، كما قال أطوع الناس لربه، وأفضلهم عملاً، وأشدهم تعظيماً لربه وإجلالاً: «**لن ينجى أحداً منكم عمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**» [(١)].

وسأله الصديق دعاء يدعو به فى صلاته، فقال: «**قل: اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم**» [(٢)].

فإذا كان هذا حال الصديق الذى هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فما الظن بسواه؟ بل إنما صار صديقاً بتوفيته هذا المقام حقه، الذى يتضمن معرفة ربه، وحقه وعظمته، وما ينبغى له، وما يستحقه على عبده، ومعرفة تقصيره. فسحقاً وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغنى عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها! وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية!! فإن لم يتسع فهمك لهذا، فانزل إلى وطاة النعم، وما عليها من الحقوق، ووازن بين شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

قوله: «**فى دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات**».

ش: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعى الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت فى حياته.

والثانى: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، على

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري [٨٣٤]، ومسلم [٢٧٠٥]، والترمذي [٣٥٣١]، والنسائي (٣/ ٤٥)، وابن ماجه [٣٨٣٥]، وأحمد (١/ ٣-٤)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

نزاع فيما يصل من ثواب الحج: فعن محمد بن الحسن أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة، والحج للحاج. وعند عامة العلماء: ثواب الحج للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

واختلف في العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر: فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره. وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ [النجم: ٣٩]. وقوله: ﴿ **وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [يس: ٥٤]. وقوله: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده**» [١] فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه.

واستدل المقتصرون على وصول العبادات التي تدخلها النيابة كالصدقة والحج بأن النوع الذي لا تدخله النيابة بحال كالإسلام والصلاة والصوم وقراءة القرآن، يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه، كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره وقد

---

(١) رواه مسلم [١٦٣١]، وأبو داود [٢٨٨٠]، والترمذي [١٣٧٦]، والنسائي (٦/ ٢١٠)، وأحمد (٢/ ٣٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

روى النسائى بسنده، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**لا يصلى أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مداً من حنطة**»[1].

والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه، الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

أما الكتاب، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر: ١٠]. فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء. وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له فى صلاة الجنازة، والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنازة مستفيضة. وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففى «سنن أبى داود»، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**»[2].

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما فى «صحيح مسلم»

---

(١) **صحيح موقوفاً**. رواه النسائي في «الكبري» [٢٩١٨]، والطحاوي في «شرح المشكل» (٦/١٧٦)، من طريق يزيد بن زريع، عن حجاج بن حجاج الأحول، عن أيوب بن موسي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً به.
وإسناده صحيح رجاله ثقات، وصححه ابن التركماني في «تعليقه علي سنن البيهقي» (٤/٢٥٧)، والحافظ في «الدراية» (١/٢٨٣).

(٢) **حسن**. رواه أبو داود [٣٢٢١]، والحاكم (١/٣٧٠)، والبيهقي (٤/٥٦)، من طريق هشام بن يوسف، عن عبد الله بن بحير، عن هانئ مولي عثمان بن عفان، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات غير هانئ مولي عثمان، وهو أبو سعيد البربري فإنه صدوق كما في «التقريب». وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه النووي في «الأذكار» (ص: ١٣٧)، والحافظ في «تخريج الأذكار» (الفتوحات ـ ٤/١٩٣).

من حديث بريدة ابن الحصيب، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[١].

وفى «صحيحه» أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: سألت النبى ﷺ: كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟ قال: «**قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**»[٢].

وأما وصول ثواب الصدقة، ففى «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً أتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمى افتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[٣].

وفى «صحيح البخارى»، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمى توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»، قال: فإنى أشهدك أن حائطى المخراف صدقة عنها[٤]. وأمثال ذلك كثرية فى السنة.

---

(١) رواه مسلم [٩٧٥] والنسائي (٤/٧٧) وابن ماجه [١٥٤٧]، وأحمد (٥/٣٥٣).

(٢) رواه مسلم [٩٧٤]، والنسائي (٤/٧٦)، وابن ماجه [١٥٤٦] وأحمد (٦/٧١).

(٣) رواه البخاري [١٣٨٨]، ومسلم [١٠٠٤]، والنسائي (٦/٢٠٩)، وابن حبان [٢٧١٧]، وأحمد (٦/٥١).

(٤) رواه البخاري [٢٧٥٦]، وأبو داود [٢٨٨٢]، والترمذي [٦٦٩]، والنسائي (٦/٢١١)، وأحمد (١/٣٣٣)، ولم يذكر اسم سعدبن عبادة إلا البخاري، وأحمد، وقال الباقون: أن رجلاً.

وأما وصول ثواب الصوم، ففى «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[١]. وله نظائر فى «الصحيح».

ولكن أبو حنيفة رحمه الله قال بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه، لحديث ابن عباس المتقدم. والكلام على ذلك معروف فى كتب الفروع.

وأما وصول ثواب الحج، ففى «صحيح البخارى»، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ، فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**»[٢]. ونظائره أيضاً كثيرة.

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبى، ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبى قتادة، حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال النبى ﷺ: «**الآن بردَّت عليه جلدته**»[٣].

---

(١) رواه البخاري [١٩٥٢]، ومسلم [١١٤٧]، وأبو داود [٢٤٠٠]، والنسائي في «الكبري» [٢٩١٩]، وأحمد (٦/٦٩).

(٢) رواه البخاري [١٨٥٢]، بهذا اللفظ، ورواه البخاري [٦٦٩٩]، والنسائي (٥/٨٧)، وأحمد (١/٢٣٩ ـ ٢٤٠)، بلفظ: أتي رجل النبي ﷺ فقال: إن أختي نذرت أن تحج ـ الحديث.

(٣) **حسن**. رواه أحمد (٣/٣٣٠)، والطيالسي [١٦٧٣]، والدارقطني (٣/٧٩)، والحاكم (٢/٥٨)، والبيهقي (٦/٧٤)، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر رضي الله عنه به.

وإسناده حسن، عبد الله بن محمد بن عقيل صدوق في حديثه لين كما في =

وكل ذلك جار على قواعد الشرع. وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله له فى حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة، ونحوها من العبادات البدنية. يوضحه: أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التى هى عمل ونية؟!.

والجواب عما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ [النجم: ٣٩]. قد أجاب العلماء بأجوبة: أصحها جوابان:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين فى عقد الإسلام من أعظم الأسباب فى وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، فى حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

يوضحه: أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى فى السبب الذى يوصل إليه ذلك.

الثانى: ـ وهو أقوى منه ـ أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق لا يخفى، فأخبر

= «التقريب»، وحسن إسناده الهيثمي في «المجمع» (٣/٣٩).

تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه.

وقوله سبحانه: ﴿**أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم: ٣٨-٣٩]. آيتان محكمتان، تقتضيان عدل الرب تعالى:

فالأولى تقتضي أنه لا يعاقب أحداً بجرم غيره، ولا يؤاخذه بجريرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا.

والثانية: تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله، لينقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿**وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [يس: ٥٤]. على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالى قال: ﴿**فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [يس: ٥٤].

وأما استدلاهم بقوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله**» [1] فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطاع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله. وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين.

وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية فقد شرع النبي

---

(١) سبق تخريجه (٢/٢٧٧).

ﷺ الصوم عن الميت، كما تقدم، مع أن الصوم لا تجرى فيه النيابة، وكذلك حديث جابر رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى فلما انصرف أتى بكبش فذبحه، فقال: : «**بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى**»[1]. رواه أحمد وأبو داود، والترمذى وحديث الكبشين اللذين قال فى أحدهما: «**اللهم هذا عن أمتى جميعاً**» وفى الآخر: «**اللهم هذا عن محمد وآل محمد**»[2]. رواه أحمد، والقربة فى الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

وكذلك عبادة الحج بدنية، وليس المال ركناً فيه، وإنما هو وسيلة،

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [٢٨١٠]، والترمذي [١٥٢١]، وأحمد (٣/٣٥٦، ٣٦٢)، والحاكم (٤/٢٢٩)، والبيهقي (٩/٢٦٤)، من طريق المطلب بن عبد الله، عن جابر رضي الله عنه به.

وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود [٢٧٩٥]، وابن ماجه [٣١٢١]، من طريق محمد بن إسحق عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي عياش، عن جابر رضي الله عنه بنحوه. ورجاله ثقات غير أبي عياش بن النعمان المعافري فإنه مقبول، ومحمد بن إسحق يدلس، وقد عنعن إلا أنه قد صرح بالتحديث فيما رواه أحمد (٣/٣٧٥)، وابن خزيمة [٢٨٩٩]، من طريق إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحق حدثنا يزيد بن أبي حبيب المصري، عن خالد بن أبي عمران، عن أبي عياش، عن جابر رضي الله عنه به. قال الحافظ في «تخريج الأذكار» (الفتوحات - ٥/٢٢): ورواية إبراهيم ابن سعد هي المتصلة المعتمدة، وهو أحفظ الجميع. اهـ. ورواه الطحاوي في «شرح المعاني» (٤/١٧٧)، وأبو يعلي [١٧٩٢]، والبيهقي (٩/٢٦٨)، من طريق عبد الله ابن محمد بن عقيل، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه بنحوه. وإسناده حسن، رجاله ثقات غير ابن عقيل فإنه صدوق تكلموا في حفظه، وقد حسنه الحافظ في «تخريج الأذكار»، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٢).

والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) **حسن**. رواه أحمد (٦/٣٩١)، والبيهقي (٩/٢٥٩)، والبزار [كشف الأستار - ١٢٨]، من طريق عبد الله بن محمد، عن علي بن حسين، عن أبي رافع رضي الله عنه به.

وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير عبد الله بن محمد بن عقيل فإنه صدوق في حديثه لين كما في «التقريب»، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٤/٢٢).

ألا ترى أن المكى يجب عليه الحج إذا قدر على المشى إلى عرفات، ومن غير شرط المال، وهذا هو الأظهر، أعنى أن الحج غير مركب من مال وبدن بل بدنى محض، كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبى حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات: كيف قام فيها البعض عن الباقين.

ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة، كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يعطى أجرته لمن شاء.

وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت. فهذا لم يفعله أحد من السلف ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف. وإنما اختلفوا فى جواز الاستئجار على التعليم ونحوه مما فيه منفعة تصل إلى الغير. والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من ثوابه ما يهدى إلى الموتى!! ولهذا لم يقل أحد أنه يكترى من يصوم ويصلى ويهدى ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك، كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفى الاختيار: لو أوصى بأن يعطى شئ من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فالوصية باطلة، لأنه فى معنى الأجرة، انتهى.

وذكر الزاهدى فى «القنية»: أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره، فالتعيين باطل.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه،

كما يصل ثواب الصوم والحج.

فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً فى السلف، ولا أرشدهم إليه النبى ﷺ؟.

فالجواب: إن كان مورد هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء، قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة فى عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفى العام؟.

فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟ قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له فيه، وهذا سأله عن الصوم عنه، فأذن له فيه، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأى فرق بين وصول ثواب الصوم الذى هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟.

فإن قيل: ما تقولون فى الإهداء إلى رسول ﷺ؟.

قيل: من المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه، ولأن النبى ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شئ، لأنه هو الذى دل أمته على كل خير، وأرشدهم إليه.

ومن قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين. ولا شك فى سماعه ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح، فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة،

فإنه عمل اختيارى، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرر ويتألم، لكونه لم يمتثل أوامر الله ونواهيه، أو لكونه لم يزدد من الخير.

واختلف العلماء فى قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟.

فمن قال بكراهتها، كأبى حنيفة ومالك وأحمد فى رواية قالوا: لأنه محدث، لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهى عنها، فكذلك القراءة.

ومن قال: لا بأس بها، كمحمد بن الحسن وأحمد فى رواية استدلوا بما نقل عن ابن عمر ﷺ: أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها [١]، ونقل أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة [٢].

ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط وهو رواية عن أحمد أخذ

---

(١) **إسناده ضعيف**. رواه يحيي بن معين في «التاريخ» [٥٢٣٨]، والطبراني في «الكبير» (١٩ / ٢٢٠، ٢٢١)، من طريق مبشر بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه قال: قال لي أبي: يا بني إذا أنا مت فضعني في اللحد، وقل: بسم الله، وعلي سنة رسول الله، وسن عليّ التراب سناً، واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة، وخاتمتها، فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك.
وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن العلاء، سكت عنه البخاري في «التاريخ»، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

(٢) **ضعيف**. ذكره ابن القيم في كتاب «الروح» بنحوه بغير إسناد، وروي ابن أبي شيبة (٣ / ٢٣٦)، من طريق حفص بن غياث، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كانت الأنصار يقرءون عند الميت بسورة البقرة.
وإسناده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد، وهو ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره، كما في «التقريب».

بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القبر عنده فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً. وهذا القول لعله أقوى من غيره، لما فيه من التوفيق بين الدليلين.

قوله: «**والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضى الحاجات**».

ش: قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦]. والذى عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب فى جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر فى البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً. وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤله: من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة فى حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضى ذلك. وفى «سنن ابن ماجه» من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[1]. وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

---

(١) **حسن**. رواه الترمذي [٣٣٧٣]، وابن ماجه [٣٨٢٧]، وأحمد (٢/٤٤٢)، وأبو يعلي [٦٦٥٥]، والحاكم (١/٤٩١)، من طريق أبي المليح المدني، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير أبي صالح الخوزي، فإنه لا بأس به كما قال أبو زرعة (الجرح والتعديل - ٩/٣٩٣)، وقال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث. اهـ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، فإن أبا صالح الخوزي، وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح، إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث. اهـ.

الرب يغضب إن تركت سؤاله　　　وبنى آدم حين يسأل يغضب

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفى ذلك معان:

أحدها: الوجود، فإن الذى ليس بموجود لا يدعى.

الثانى: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسى لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها: كفى! ولا النجم يقال له: أصلح مزاجى!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء، ليبين كذب أهل الطبائع.

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه فلا فائدة فى الدعاء!! وقد يخص بعضهم بذلك خواص العارفين. ويجعل الدعاء علة فى مقام الخواص!! وهذا من غلطات بعض الشيوخ. فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية. فإن منفعة الدعاء أمر اتفقت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات فى هياكل العبادات، بفنون اللغات، يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات!! هذا وهم مشركون.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضيه أو لا ثم قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشبع والرى عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمها، وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لافائدة فى الدعاء، كما لا يقال لا فائدة فى الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع فهو مخالف للحس والفطرة.

ومما ينبغى أن يعلم، ما قاله طائفة من العلماء، وهو: أن الالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص فى العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع، ومعنى التوكل والرجاء، يتألف من وجوب التوحيد والعقل والشرع.

وبيان ذلك: أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه، وليس فى المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس بمستقل، ولا بد له من شركاء وأضداد مع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر.

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء؟ قلنا: بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه؟ قلنا: بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبى ﷺ بل ما

يعجل للعبد، من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية، التى هى من أعظم المطالب.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يعقل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر فى المسؤول حتى أعطاه؟!.

قلنا: الرب سبحانه هو الذى حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتمامه عليه. كما قال عمر رضي الله عنه: «إنى لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء، فإن الإجابة معه». وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]. فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بتدبير الأمر، ثم يصعد إليه الأمر الذى دبره، فالله سبحانه هو الذى يقذف فى قلب العبد حركة الدعاء ويجعلها سببا للخير الذى يعطيه إياه، كما فى العمل والثواب، فهو الذى وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذى وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذى وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شئ من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سبباً لما يفعله، قال مطرف بن عبدالله بن الشخير، أحد أئمة التابعين: نظرت فى هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء.

وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئا، أو يعطى غير ما سأل؟ وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة

أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقاً، وإنما تضمنت

إجابة الداعى، والداعى أعم من السائل، وإجابة الداعى أعم من إعطاء السائل، ولهذا قال النبى ﷺ: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له»** (١).

ففرق بين الداعى والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص. وإذا علم العباد أنه قريب، يجيب دعوة الداعى، علموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة فى حال، ودعاء المسألة فى حال، وجمعوا بينهما فى حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]. بالدعاء، الذى هو العبادة، والدعاء الذى هو الطلب. وقوله بعد ذلك: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾ [غافر: ٦٠]. يؤيد المعنى الأول.

الجواب الثانى: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال كما فسره النبى ﷺ فيما رواه مسلم فى «صحيحه»، أن النبى ﷺ قال: **«ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها أو يصرف عنه من الشر مثلها»**، قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر، قال: **«الله أكثر»** (٢)، فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لابد فى الدعوة الخالية عن

---

(١) سبق تخريجه (١ / ٢٢٠).

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ١٨)، والبخاري في «الأدب» [٧١٠]، وأبو يعلي [١٠١٩]، والحاكم (١/ ٤٩٣)، من طريق علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل =

العدوان من إعطاء السؤال معجلاً، أو مثله من الخير مؤجلاً، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة فى يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة فى الظاهر من هذا الباب، وكثيراً ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر لحسنته، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن أن السر فى ذلك الدعاء، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التى قارنته من ذلك الداعى.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعاً فى الوقت الذى ينبغى، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف فى حصول المطلوب، فكان غالطاً.

= الناجي، عن أبي سعيد الخدري ﵁ مرفوعاً بلفظ: «**ما من مسلم**» ـ الحديث.
ورجاله ثقات، غير علي بن علي فإنه لا بأس به كما في «التقريب». وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. ورواه مسلم [٢٧٣٥] مختصراً من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعاً بلفظ: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**».

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك فى بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً، والمانع مفقوداً: حصلت به النكاية فى العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير.

فإذا كان الدعاء فى نفسه غير صالح، أو الداعى لم يجمع بين قلبه ولسانه فى الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة: لم يحصل الأثر.

قوله: «**و يملك كل شىء، ولا يملكه شىء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر وصار من أهل الحين**».

ش: كلام حق ظاهر لا خفاء فيه، والحين، بالفتح: الهلاك.

قوله: «**والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى**».

ش: قال تعالى: ﴿**رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ [المائدة: ١١٩]. ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: ٦٠]. ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**﴾ [النساء: ٩٣]. ﴿**وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٦١]. ونظائر ذلك كثيرة.

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى، والعداوة والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التى ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذى يصرفها عن حقائقها اللائقة

بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك فى السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين».

وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه فى صفة الاستواء كيف قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وروى أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها، مرفوعاً إلى النبى ﷺ (١).

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: «من لم يتوق النفى والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» ويأتى فى كلامه «أن الإسلام بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل».

فقول الشيخ رحمه الله: «لا كأحد من الورى»، نفى التشبيه. ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفى للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب عندهم ويرضى مالا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده.

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلابد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى. فيقال له: غليان دم القلب فى الآدمى أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه هو الغضب. ويقال له أيضاً: وكذلك

---

(١) سبق تخريجه (٢/٢٩-٣٠).

الإرادة والمشيئة فينا، هى ميل الحى إلى الشئ أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحى منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، يزداد بوجوده، وينقص بعدمه. فالمعنى الذى صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذى صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قال: الإرادة التى يوصف الله بها مخالفة للإرادة التى يوصف بها العبد وإن كان كل منهما حقيقة؟ قيل له: فقل: إن الغضب والرضى الذى يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة فإذا كان ما يقوله فى الإرادة يمكن أن يقال فى هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه، لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكل يقول إن عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر!.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، لامتناع مسمى ذلك فى المخلوق، فإنه لابد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى فى صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود البارى تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته مثل الحى والعليم والقدير، أو سمى به بعض صفاته، كالغضب والرضى، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معانى هذه الأسماء فى حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل

أيضاً معانى هذه الأسماء فى حق المخلوق ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد فى الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلى لا يوجد مشتركاً إلا فى الأذهان ولا يوجد فى الخارج إلا معيناً مختصاً. فيثبت فى كل منهما كما يليق به. بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة، لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة حتى تغلى دماء قلوبهم كما يغلى دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هى أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو فى نفسه متصفاً بشئ من ذلك!!.

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشئ يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى فى وقت دون وقت، ولا يغضب فى وقت دون وقت. كما قال فى حديث الشفاعة: «**إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**»[1].

وفى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد**

(١) سبق تخريجه (١/ ٧٩).

أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأى شئ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» [1].

فيستدل به على أنه يحل رضوانه فى وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط.

وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شئ من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلق بذلك لكان محلاً للحوادث!! فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم ليس محلاً للأعراض، وقد يقال: بل هى أفعال، ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك صفات، ولم تسم أعراضاً، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام فى الصفات فى المختصر فى مكان واحد، وكذلك الكلام فى القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب.

وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبى ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر**» [2] الحديث، فيبدأ بالكلام على

---

(١) رواه البخاري [٦٥٤٩]، ومسلم [٢٨٢٩]، والترمذي [٢٥٥٥]، والنسائي في «الكبرى» [٧٧٤٩]، وأحمد (٣/٨٨).

(٢) سبق تخريجه (٢/١٥).

التـوحـيـد والصـفـات ومـا يتـعلق بذلك ثم بالكلام على الملائكة ثم وثم . . . . . إلى آخره .

قـوله : «**ونحب أصـحاب رسـول الله ﷺ، ولا نفـرط فى حب أحـد منهم، ولا نتـبـرأ من أحـد منهم . ونبـغض من يبـغضـهم، وبغـيـر الخـيـر يذكرهم . ولا نذكرهم إلا بخـير . وحبهم دين وإيمان وإحسـان . وبغضهم كفر ونفاق وطغيان**» .

ش : يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب . وقد أثنى الله تعـالى على الصـحـابة هو ورسـوله، ورضى عنهم، ووعـدهم الحسنى .

كما قال تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقـال تعـالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾ [الفتح: ٢٩]، إلى آخر السورة .

وقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح: ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى آخر السورة .

وقال تعالى : ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**

خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل فى قلوبهم غلا لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفىء. فمن كان فى قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لا يستحق فى الفئ نصيباً، بنص القرآن.

وفى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شىء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أحداً من أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**[1]. انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن، دون البخارى.

---

(١) رواه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٥٤٠، ٢٥٤١]، وابو داود [٤٦٥٨]، والترمذي [٣٨٦١]، والنسائي في «الكبرى» [٨٣٠٨]، واحمد (١١/٣).

فـالنبى ﷺ يقـول لخالد ونحوه: «**لا تسبوا أصحابى**»، يعنى عبـد الرحـمن وأمثاله، لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فـهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبى ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد ابن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء منهم أبو سفيان، وابناه يزيد ومعاوية.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟ رضى الله عنهم أجمعين.

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وقيل: إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف. فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم ولم يدل على التفضيل به دليل شرعى كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التى كانت تحت الشجرة.

وأما ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**» [1] فهو حديث ضعيف، قال البزار: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة.

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر. فقالت: وما تعجبون من هذا. انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر [2].

---

(١) **موضوع**. رواه الدارقطني في «المؤتلف» (٤ / ١٧٧٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص: ٣٥٨)، من طريق سلامٍ بن سليم، عن الحارث بن غضين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه مرفوعا به.
وهو حديث موضوع آفته سلام بن سليم، وهو متروك كما في «التقريب»، والحارث بن غضين، وهو مجهول كما قال ابن عبد البر، وفي سماع أبي سفيان من جابر خلاف كما في «تهذيب التهذيب».
وفي الباب من حديث عمر، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهم.
وأسانيدها كلها ضعيفة كما ذهب إلي ذلك البزار، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن حزم في «الإحكام» (٥ / ٦٤٢)، (٦ / ٨١٠)، والحافظ في «التلخيص» (٤ / ١٩٠، ١٩١). قال البيهقي: هذا الحديث مشهور المتن، وأسانيده ضعيفة لم يثبت في هذا إسناد. اهـ. (المعتبر - ٨٣)، وقال ابن حزم في «الإحكام» (٦ / ٨١٠): سلام بن سليم يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شك. اهـ.

(٢) **ضعيف**. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١ / ٢٧٦)، من طريق عباد بن الوليد، عن محمد بن سليمان القرشي، عن عثمان بن طلحة القرشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف، فيه محمد بن سليمان القرشي، وهو منكر الحديث كما قال العقيلي في «الضعفاء» (٤ / ٧٢)، وقال ابن حبان في «الثقات» (٩ / ٧٥): ربما أخطأ وأغرب. اهـ. وضعفه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٧ / ١٨٠).
وهذا الحديث لم يروه مسلم في «صحيحه»، ولعل المصنف - رحمه الله - تابع في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث ذكر هذا الكلام بتمامه في «منهاج السنة» (٢ / ٢١، ٢٢).

وروى ابن بطة بإسناد صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة يعنى مع النبى ﷺ، خير من عمل أحدكم أربعين سنة. وفى رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره [1].

وفى «الصحيحين» من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدرى: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة [2]، الحديث.

وقد ثبت فى «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**» [3].

وقال تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ [التوبة: ١١٧]، الآيات.

ولقد صدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فى وصفهم، حيث قال: إن

---

(١) **صحيح**. رواه ابن ماجه [١٦٢]، وأحمد في «فضائل الصحابة» [١٥، ٢٠]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٠٠٦]، من طريق سفيان، عن نسير بن ذعلوق، عن ابن عمر رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، ونسيربن ذعلوق وثقه ابن معين، ويعقوب بن سفيان، وابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق، والحديث صححه البوصيري في «الزوائد» [٦١٦]. وأما أثر ابن عباس رضي الله عنهما فرواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٨، ١٧٤١]، عن أبي معاوية، عن رجل عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتلون.
وإسناده ضعيف لجهالة شيخ أبي معاوية.

(٢) رواه البخاري [٢٦٥١]، ومسلم [٢٥٣٥]، وأبو داود [٤٦٥٧]، والترمذي [٢٢٢١، ٢٢٢٢]، والنسائي (٧/١٧)، وأحمد (٤/٤٢٦).

(٣) رواه مسلم [٢٤٩٦]، وأحمد (٦/٤٢٠)، من حديث جابر، عن أم مبشر رضي الله عنها مرفوعاً، بلفظ: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**» - الحديث، ورواه أبو داود [٤٦٥٣]، والترمذي [٣٨٦٠] بلفظ المصنف.

الله نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سئ [1].

وفى رواية: وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر.

وتقدم قول ابن مسعود: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات.... إلخ عند قول الشيخ: «ونتبع السنة والجماعة».

فمن أضل ممن يكون فى قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

وقوله: «ولا نفرط فى حب أحد منهم»، أى: لا نتجاوز الحد فى

---

(١) **حسن**. رواه أحمد (١/٣٧٩)، والبزار [البحر الزخار - ١٨١٦]، والطبراني في «الكبير» [٨٥٨٢]، والحاكم (٣/٧٨)، من طريقٍ أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير عاصم بن بهدلة فإنه صدوق له أوهام، روي له الجماعة كما في «التقريب». قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٦٧): هو موقوف حسن. اهـ.

حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين. قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله: «ولا نتبرأ من أحد منهم كما فعلت الرافضة»، فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أى لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر ﵄!! وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التى يستحقونها، بالعدل، والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغى الذى هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿**فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [الجاثية: ١٧]. وهذا معنى قول من قال من السلف: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة [١]. يروى ذلك عن جماعة من السلف من الصحابة والتابعين منهم: أبو سعيد الخدرى، والحسن البصرى، وإبراهيم النخعى والضحاك، وغيرهم.

ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، بدون العلم بما ختم الله له به.

وقوله: «وحبهم دين وإيمان وإحسان»، لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص. وروى الترمذى عن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم**

---

(١) **ضعيف**. رواه ابن بطة في «الإبانة» [١٢٦٩]، من طريق يزيد بن إبراهيم، عن ليث، عن الحكم، عن سعد الطائي، عن أبي سعيد الخدري ﵁ أنه قال: الولاية بدعة. والإرجاء بدعة، والشهادة بدعة.
وإسناده ضعيف، فيه ليث وهو ابن أبي سليم، صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك كما في «التقريب».

فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» [1].

وتسمية حب الصحابة إيماناً مشكل على الشيخ رحمه الله، لأن الحب عمل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان. وقد تقدم في كلامه: أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان ولم يجعل العمل داخلاً في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازاً.

وقوله: «وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»، تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله: ﴿**ومن لم يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤] وقد تقدم الكلام في ذلك.

قوله: «**و نثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة**».

ش: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق ﷺ: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار:

---

(١) **ضعيف**. رواه الترمذي [٣٨٦٢]، وأحمد (٤/٨٧)، وابن حبان [٧٢٥٦]، من طريق عبيدة بن رائطة، عن عبدالرحمن بن زياد، عن عبد الله بن مغفل ﷺ به.
وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن زياد، وقيل عبد الله بن عبد الرحمن، وقيل عبد الرحمن بن عبد الله، وقيل عبد الملك، وهو لا يعرف كما قال يحيي بن معين، والذهبي في «الميزان»، وقال الترمذي: حديث غريب، لا أعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ.

من ذلك ما أسنده البخارى عن جبير بن مطعم ﷺ، قال: أتت امرأة النبى ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «**إن لم تجدينى فأتى أبا بكر**»[1]. وذكر له سياقاً آخر، وأحاديث أخر، وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر**»[2] رواه أهل السنن.

وفى «الصحيحين» عن عائشة ﷺ وعن أبيها، قال: دخل على رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدئ فيه، فقال: «**ادعى لى أباك وأخاك، حتى أكتب لأبى بكر كتاباً، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**».

وفى رواية: «**فلا يطمع فى هذا الأمر طامع**».

وفى رواية. قال: «**ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر، لأكتب لأبى بكر**

---

(١) رواه البخاري [٣٦٥٩]، ومسلم [٢٣٨٦]، والترمذي [٣٦٧٦]، وأحمد (٤/٨٢)، وابن حبان [٦٦٥٦].

(٢) **صحيح**. رواه الترمذي [٣٦٦٢]، وأحمد (٥/٣٨٢)، والحاكم (٣/٧٥)، من طريق عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة ﷺ به.
قال الترمذي: حديث حسن، وصححه الحاكم، وافقه الذهبي.
ورواه الترمذي [٣٦٦٣]، وابن ماجه [٩٧]، وأحمد (٥/٣٨٥)، والحاكم (٣/٧٥)، من طريق عبد الملك بن عمير، عن مولي لربعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة ﷺ به. وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير مولي ربعي، وهو هلال (كما صرحت بذلك رواية الترمذي والحاكم) فإنه مقبول كما في «التقريب»، وتابعه عمرو ابن هرم أخرجه الترمذي [٣٦٦٣]، وأحمد (٥/٣٩٩)، وابن حبان [٦٩٠٢]، والحاكم (٣/٧٥)، من طريق سالم المرادي عن عمرو بن هرم، عن ربعي، عن حذيفة ﷺ به. وإسناده حسن رجاله ثقات، غير سالم المرادي فإنه مقبول كما في «التقريب».
وفي الباب من حديث ابن مسعود ﷺ رواه الترمذي [٣٨٠٥]، وقال: حسن غريب.

كتاباً لا يختلف عليه، ثم قال: معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر» (١).

وأحاديث تقديمه فى الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» (٢).

وقد روجع فى ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبى ﷺ.

وفى «الصحيحين» عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتنى على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريه، حتى ضرب الناس بعطن**» (٣).

وفى «الصحيح» أنه ﷺ قال على منبره: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبى بكر**» (٤).

وفى «سنن أبى داود» وغيره من حديث الأشعث عن الحسن عن أبى بكرة، أن النبى ﷺ قال ذات يوم: «**من رأى منكم رؤيا**»؟ فقال رجل أنا: رأيت كأن ميزاناً أنزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبى بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر، فرجح أبو بكر ووزن عمر

---

(١) رواه البخاري [٥٦٦٦]، ومسلم [٢٣٨٧]، وأحمد (٦/ ٤٧).

(٢) رواه البخاري [٦٦٤]، ومسلم [٤١٨]، والترمذي [٣٦٧٢]، والنسائي (٢/ ٦٥)، وابن ماجه [١٢٣٢]، وأحمد (٦/ ٢١٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري [٣٦٦٤]، ومسلم [٢٣٩٢]، وأحمد (٢/ ٣٦٨).

(٤) سبق تخريجه (١/ ١٣٢).

وعثمان، فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأيت الكراهة فى وجه النبى ﷺ، فقال: «**خلافة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء**»[١].

فبين رسول الله ﷺ، أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك.

وليس فيه ذكر على ﷺ، لأنه لم يجتمع الناس فى زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك.

وروى أبو داود أيضا عن جابر ﷺ، أنه كان يحدث، أن رسول الله ﷺ قال: «**رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبى بكر، ونيط عثمان بعمر**»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه[٢].

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٦٣٤]، والترمذي [٢٢٨٧]، والنسائي في «الكبري» [٨١٣٦]، والحاكم (٣/ ٧١)، من طريق أشعث، عن أبي بكرة ﷺ به. بدون لفظ: «**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**».
وإسناده صحيح، رجاله ثقات. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم علي شرطهما، قال الذهبي: أشعث هذا ثقة لكن ما احتجا به. اهـ.
ورواه أبو داود [٤٦٣٥]، وأحمد (٥/ ٤٤، ٥٠)، من طريق علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه بنحوه، وزاد: «**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»، وإسناده ضعيف، فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، كما في «التقريب».
ويشهد له حديث سفينة ﷺ والذي يأتي تخريجه بعد هذا بثلاثة أحاديث.

(٢) **إسناده ضعيف**. رواه أبو داود [٤٦٣٦]، وأحمد (٣/ ٣٥٥)، وابن حبان [٦٩١٣]، والحاكم (٣/ ٧١)، من طريق الزبيدي، عن الزهري، عن عمرو بن أبان، عن جابر ﷺ به. قال أبو داود: رواه يونس، وشعيب لم يذكرا عمراً. اهـ. قال المنذري في «مختصر السنن» (٧/ ٢٤): فعلي ما ذكره أبو داود عنهما يكون الحديث منقطعاً، لأن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله. اهـ.

وروى أبو داود أيضاً عن سمرة بن جندب: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت كأن دلواً دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شئ (١).

وعن سعيد بن جمهان، عن سفينة. قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»** (٢). أو **«الملك»**.

واحتج من قال لم يستخلف، بالخبر المأثور، عن عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ (٣).

و بما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله مستخلفا لو استخلف (٤).

---

(١) **إسناده ضعيف**. رواه أبو داود [٤٦٣٧]، وأحمد (٥ / ٢١)، من طريق أشعث بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه به.
ورجاله ثقات، غير أشعث بن عبد الرحمن، فإنه صدوق، وأبوه عبد الرحمن الأزدي، فيه جهالة، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول. اهـ.

(٢) **حسن**. رواه أبو داود [٤٦٤٦]، والترمذي [٢٢٢٦]، والنسائي في «الكبري» [٨٠٥٥]، وأحمد (٥ / ٢٢٠)، وابن حبان [٦٦٥٧]، والحاكم (٣ / ٧١)، من طريق سعيد بن جهمان، عن سفينة رضي الله عنه به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات غير سعيد بن جهمان فإنه صدوق له أفراد كما في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري [٧٢١٨]، ومسلم [١٨٢٣]، وأبو داود [٢٩٣٩]، والترمذي [٢٢٢٥]، وأحمد (١ / ٤٣).

(٤) رواه مسلم [٢٣٨٥]، والنسائي في «الكبري» [٨٢٠٢]، وأحمد في =

والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبى بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: «**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**»[1].

فكان هذا أبلغ من مجرد العهد فإن النبى ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبى بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك فى مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض؟ أوهو قول يجب اتباعه؟ ترك الكتابة، اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبى بكر.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين، وفهموا ذلك حصل المقصود. ولهذا قال عمر رضي الله عنه، فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[2]، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبى بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد فى خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً فى أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبى ﷺ بطلانه.

= «فضائل الصحابة» [٢٠٤].

(١) سبق تخريجه (٢/٣٠٧).

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله (٢/٣١٣).

ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عبادة، لكونه هو الذى كان يطلب الولاية. ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر، لا على ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع!.

وروى ابن بطة بإسناده أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى إلى الحسن، فقال: هل كان النبى ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو فى شك صاحبك؟ نعم، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها.

وفى الجملة: فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبى بكر، لم يذكر حجة دينيه شرعية، ولا ذكر أن غير أبى بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبى بكر رضي الله عنه وحب رسول الله ﷺ له. ففى «الصحيحين» عن عمرو ابن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر، وعد رجالاً**» (١).

وفيهما أيضاً، عن أبى الدرداء، قال: كنت جالسا عند النبى ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبى ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**»، فسلم، وقال: يا رسول الله، إنه كان بينى وبين ابن الخطاب شئ فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى فأبى على، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر، ثلاثاً**»، ثم إن عمر

---

(١) سبق تخريجه (٢/٥١).

ندم، فأتى منزل أبى بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبى ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين فقال النبى ﷺ: «**إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى؟ مرتين، فما أوذى بعدها**»(١).

ومعنى: غامر: غاضب وخاصم. ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفى «الصحيحين» أيضاً، عن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح فذكرت الحديث إلى أن قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة، فى سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت فى نفسى كلاماً قد أعجبنى، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه،

---

(١) رواه البخاري [٣٦٦١]، وعبد الله بن أحمد في «زوائد فضائل الصحابة» [٢٩٧]، والبيهقي (١٠/ ٢٣٦)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٢٢٣]، مختصراً.

وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله [١].

والسنح: العالية، وهى حديقة بالمدينة معروفة بها.

قوله: «**ثم لعمر بن الخطاب ﷺ**».

ش: أى ونثبت الخلافة بعد أبى بكر ﷺ، لعمر ﷺ وذلك بتفويض أبى بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه. وفضائله ﷺ أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر، فقد روى عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبى: فقلت يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بنى، أو ما تعرف؟ فقلت: لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان. فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين [٢].

وتقدم قوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر**» [٣].

وفى «صحيح مسلم»، عن ابن عباس ﷺ، قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى، فالتفت إليه، فإذا هو على، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع

---

(١) رواه البخاري [٣٦٦٧، ٣٦٦٨]، والبيهقي (٨/١٤٢)، من حديث عائشة ﷺ.
وروي الترمذي [٣٦٥٦]، وابن حبان [٦٨٦٢]، والحاكم (٣/٦٦)، من حديث عائشة ﷺ أن عمر ﷺ قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلي رسول الله ﷺ.

(٢) رواه البخاري [٣٦٧١]، وأبو داود [٤٦٢٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٢٠٦].

(٣) سبق تخريجه (٢/٣٠٦).

صاحبيك، وذلك أنى كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: **«جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»** [١]، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما.

وتقدم حديث أبى هريرة رضي الله عنه، فى رؤيا رسول الله ﷺ ونزعه من القليب، ثم نزع أبى بكر، ثم استحالت الدلو غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن [٢].

وفى «الصحيحين»، من حديث سعد بن أبى وقاص: قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه. عالية أصواتهن... الحديث، وفيه فقال رسول الله ﷺ: **«إيه يا ابن الخطاب. والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجا غير فجك»** [٣].

وفى «الصحيحين» أيضا، عن النبى ﷺ، أنه كان يقول: **«قد كان فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتى منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»** [٤].

---

(١) رواه البخاري [٣٦٧٧، ٣٦٨٥]، ومسلم [٢٣٨٩]، والنسائي في «الكبري» [٨١١٥]، وابن ماجه [٩٨]، وأحمد (١/ ١١٢).

(٢) سبق تخريجه (٢/ ٣٠٧).

(٣) رواه البخاري [٣٢٩٤، ٣٦٨٣]، ومسلم [٢٣٩٦]، والنسائي في «الكبري» [٨١٣٠]، وأحمد (١/ ١٧١)، وابن حبان [٦٨٩٣].

(٤) رواه البخاري [٣٤٦٩، ٣٦٨٩]، والنسائي في «الكبري» [٨١٢٠]، وأحمد (٢/ ٣٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه مسلم [٢٣٩٨]، والترمذي [٣٦٩٣]، والنسائي في «الكبري» [٨١١٩]، وأحمد (٦/ ٥٥)، وابن حبان [٦٨٩٤]، من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال ابن وهب: تفسير «محدثون»: ملهمون.

قوله: «**ثم لعثمان ﷺ**».

ش: أى ونثبت الخلافة بعد عمر لعثمان ﷺ، وقد ساق البخارى رحمه الله قصة قتل عمر ﷺ، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان، فى «صحيحه»، فأحببت أن أسردها، كما رواها بسنده: عن عمرو بن ميمون قال: «رأيت عمر بن الخطاب ﷺ قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هى له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمنى الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبداً، قال: فما أتت عليه أربعة حتى أصيب.

قال: إنى لقائم ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك فى الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلنى، أو أكلنى الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ، نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف، فقدمه، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى، وأما نواحى المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر

وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلنى؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله. لقد أمرت به معروفاً. الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يد رجل يدعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت؟ أى: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت. بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتى بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت.

فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ وقدم فى الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كان كفافا، لا على ولا لى، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام، قال: يا ابن أخى: «ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك»، يا عبد الله بن عمر، انظر ما على من الدين؟ فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً ونحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن

الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرن به اليوم على نفسى، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله قد جاء، قال: ارفعونى، فأسنده رجل إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شئ أحب إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملونى، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسرب معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف؟ قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً، وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شىء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة الأموال، وغيظ العدو، أن لا يأخذ منهم إلا فضلهم، عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشى

أموالهم، وأن ترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب؟ قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، فقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلى؟ والله على أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم فى الإسلام ما قد علمت، فبالله عليك، لئن أمرتك لتعدلن؟ ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه» (١).

وعن حميد بن عبد الرحمن: أن المسور بن مخرمة أخبره: أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبد الرحمن: لست الذى أنافسكم عن هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم؟ فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم، فمال الناس على عبد الرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع

---

(١) رواه البخاري [٣٧٠٠].

أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس إلى عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت تلك الليلة التي أصبحنا فيها فبايعنا عثمان قال المسور بن مخرمة: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائمًا؟ فو الله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً، فدعوتهما له، فشاورهما ثم دعاني، فقال: ادع لي عليا، فدعوته، فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئًا، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، أرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافقوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله ﷺ والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون»[1].

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة، كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه.

وفي «صحيح مسلم»، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن

---

(١) رواه البخاري [٧٢٠٧].

له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: **«ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة»** (١).

وفي «الصحيح»: لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضي الله عنه قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يد عثمان فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان»** (٢).

قوله: **«ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه»**.

ش: أي: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنه لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة المقدم ذكره، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»** (٣).

وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر.

---

(١) رواه مسلم [٢٤٠١]، وأحمد (٦/٦٢)، وابن حبان [٦٩٠٧].
(٢) رواه البخاري [٣٦٩٨]، والترمذي [٣٧٠٦]، وأحمد (٢/١٠١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) سبق تخريجه (٢/٣٠٩).

وأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو خير ملوك المسلمين ولكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوض إليه الحسن بن على رضي الله عنهما الخلافة، فإن الحسن رضي الله عنه بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية وظهر صدق قول النبى ﷺ: **«إن ابنى هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**(١) والقصة معروفة فى موضعها.

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام.

والحق مع على رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قتل كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلى وطلحة والزبير، وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال، وقويت الشهوة فى نفوس ذوى الأهواء والأغراض، ممن بعدت داره من أهل الشام ومحبى عثمان تظن بالأكابر ظنون سوء وبلغ عنهم أخباراً منها ما هو كذب، ومنها ما هو محرف، ومنها مالم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء أقوام يحبون العلو فى الأرض وكان فى عسكر على رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله ورأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم، ويقمع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه. فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صفين لرأى، وهو أن

---

(١) رواه البخاري [٢٧٠٤]، وأبو داود [٤٦٦٢]، والترمذي [٣٧٧٣]، والنسائي (٣/٨٧، ٨٨)، وأحمد (٥/٣٧، ٣٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم وهم كافون، حتى يجتمع أمر الأمة وأنهم يخافون طغيان من فى العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلى رضي الله عنه هو الخليفة الراشد المهدى الذى تجب طاعته، يجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، اعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، بطلب إمام أن لو أصر عليهم بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفة قلوبهم على عهد النبى ﷺ والخليفتين من بعده مما يسوغ، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة، دون تأليفهم: على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص فى الأمر بالقعود فى الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التى تربو مفسدتها على مصلحتها. والقول فى الجميع بالحسنى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

والفتن التى كانت فى أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا، بمنه وكرمه.

ومن فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه: ما فى «الصحيحين»، عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: «**أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى**»[1].

وقال ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه**

(١) رواه البخاري [٣٧٠٦]، ومسلم [٢٤٠٤]، والترمذي [٣٧٣١]، والنسائي في «الكبرى» [٨٤٣٢]، وأحمد (١/ ١٧٠).

الله ورسوله» وقال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لى علياً فأتى به أرمد، فبصق فى عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه»(1).

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]. دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلى»(2).

قوله: «**وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون**».

ش: تقدم الحديث الثابت فى «السنن»، وصححه الترمذى، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(3).

وترتيب الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين فى الفضل، كترتيبهم فى الخلافة. ولأبى بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبى ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا فى الاقتداء فى الأفعال إلا بأبى بكر وعمر، فقال: «**اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر**»(4)،

---

(1) رواه البخاري [٣٠٩٩]، ومسلم [٢٤٠٦]، والنسائي في «الكبرى» [٨١٤٩]، وأحمد (٥/٣٣٣)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(2) رواه مسلم [٢٤٠٤]، والترمذي [٣٧٢٤]، وأحمد (١/١٨٥)، من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

(3) سبق تخريجه (٢/١٧٩).

(4) سبق تخريجه (٢/٣٠٦).

وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبى بكر وعمر فوق حال عثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين.

وقد روى عن أبى حنيفة تقديم علىّ على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علىّ. وعلى هذا عامة أهل السنة.

قد تقدم قول عبد الرحمن بن عوف لعلى ﷺ: إنى قد نظرت فى أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان.

وقال أيوب السختيانى من لم يقدم عثمان على علىّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

وفى «الصحيحين» عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حى: أفضل أمة النبى ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان [1].

قوله: «**وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ و بشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضى الله عنهم أجمعين**».

ش: تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة. ومن فضائل الستة الباقين من العشرة رضى الله عنهم أجمعين: ما رواه مسلم: عن عائشة ﷺ: أرق رسول الله ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبى ﷺ: «**من**

---

(١) رواه البخاري [٣٦٩٧] بنحوه، وأبو داود [٤٦٢٧، ٤٦٢٨]، والترمذي [٣٧٠٧]، وأحمد (١٤٢).

هذا»؟ فقال سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله، جئت أحرسك وفى لفظ آخر: وقع فى نفسى خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام [(١)].

وفى «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبى وقاص أبويه يوم أحد، فقال: **«ارم، فداك أبى وأمى»** [(٢)].

وفى «صحيح مسلم» عن قيس بن أبى حازم، قال: رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى ﷺ يوم أحد قد شلت [(٣)].

وفيه أيضاً عن أبى عثمان النهدى، قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيها النبى ﷺ غير طلحة وسعد [(٤)].

وفى «الصحيحين»، واللفظ لمسلم، عن جابر بن عبد الله قال: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبى ﷺ: **«لكل نبى حوارى، وحواريى الزبير»** [(٥)].

وفيهما أيضاً عن الزبير رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال: **«من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم»** ؟ فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري [٢٨٨٥، ٧٢٣١]، ومسلم [٢٤١٠]، والترمذي [٣٧٥٦]، والنسائي في «الكبري» [٨٢١٧]، وأحمد (٦/١٤٠، ١٤١).

(٢) رواه البخاري [٢٩٠٥، ٤٠٥٩]، ومسلم [٢٤١١]، والترمذي [٢٨٢٨، ٢٨٢٩]، والنسائي في «الكبري» [١٠٠١٨، ١٠٠١٩]، وابن ماجه [١٢٩]، وأحمد (١/٩٢)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري [٣٧٢٤]، وابن ماجه [١٢٨]، وأحمد (١/١٦١)، وابن حبان [إحسان - ٦٩٨١].

(٤) رواه البخاري [٣٧٢٢، ٣٧٢٣]، ومسلم [٢٤١٤]، وأبو يعلي [٦٤٩].

(٥) رواه البخاري [٢٨٤٦]، ومسلم [٢٤١٥]، والترمذي [٣٧٤٥]، والنسائي في «الكبري» [٨٢١١]، وابن ماجه [١٢٢]، وأحمد (٣/٣١٤).

أبويه، فقال: «**فداك أبي وأمي**» (١).

وفي «صحيح مسلم»، عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح**» (٢).

وفي «الصحيحين» عن حذيفة بن اليمان ﵁، قال: جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «**لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أباعبيدة بن الجراح**» (٣).

وعن سعيد بن زيد ﵁، قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيد، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يغبر منه وجهه، خير من عمل أحدكم، ولو عمِّر عمر نوح(٤). رواه

---

(١) رواه البخاري [٣٧٢٠]، والنسائي في «الكبري» [٨٢١٣]، وأحمد (١/١٦٤)، بهذا اللفظ.
ورواه مسلم [٢٤١٦] بنحوه، ورواه الترمذي [٣٧٤٣] مختصراً.

(٢) رواه البخاري [٣٧٤٤]، ومسلم [٢٤١٩]، والنسائي في «الكبري» [٨١٩٩، ٨١٢٠]، وأحمد (٣/١٣٣).
ورواه الترمذي [٣٧٩٥]، وابن ماجه [١٥٤]، وابن حبان [إحسان - ٧٧٣١] مطولاً.

(٣) رواه البخاري [٣٧٤٥]، ومسلم [٢٤٢٠]، والترمذي [٣٧٩٦]، والنسائي في «الكبري» [٨١٩٧]، وابن ماجه [١٣٥]، وأحمد (٥/٣٨٥).

(٤) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٦٥٠]، والنسائي في «الكبري» [٨١٩٣]، وابن ماجه [١٣٣]، وأحمد (١/١٨٧)، من طريق صدقة بن المثني عن رياح بن الحارث، عن =

أبو داود، وابن ماجه والترمذى وصححه. ورواه الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف.

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، أن النبى ﷺ قال: «**أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعلى فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير بن العوام فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة**» (١).

رواه الإمام أحمد فى «مسنده». ورواه أبو بكر بن أبى خيثمة، وقدم فيه عثمان على علىّ ﷺ.

وعن أبى هريرة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد**» (٢) رواه مسلم والترمذى وغيرهما. وروى من طرق.

= سعيد بن زيد ﷺ به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وأشار الدارقطني إلي تصحيحه في «العلل» (٤ / ٤٢٠)، ورواه الترمذي [٣٧٥٧]، والنسائي في «الكبري» [٨٢٠٥]، وابن ماجه [١٣٤]، وأحمد (١ / ١٨٨)، من طريق هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ.
وللحديث طرق أخري أشار إليها العقيلي (٢ / ٢٩٦)، وقال: وفي الباب عن عثمان، وأبي هريرة، وأنس، وسهل بن سعد، وابن عباس ﷺ. اهـ.

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [٣٧٤٧]، والنسائي في «الكبري» [٨١٩٤]، وأحمد (١ / ١٩٣)، وابن حبان [٧٠٠٢]، من طريق عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم [٢٤١٧]، والترمذي [٣٦٩٦]، والنسائي في «الكبري» [٨٢٠٧]، وأحمد (٢ / ٤١٩)، وابن حبان [٦٩٨٣].

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شئ يكون عشرة!!. لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستثنون منهم علياً رضي الله عنه فمن العجب: أنهم يوالون لفظ التسعة. وهم يبغضون التسعة من العشرة، ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين، الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقد رضى الله عنهم: كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨].

وثبت فى «صحيح مسلم»، عن جابر رضي الله عنه، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(١).

وفى «صحيح مسلم» وغيره أيضاً، عن جابر: أن غلام حاطب بن أبى بلتعة قال يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية**»(٢).

والرافضة يبرؤون من جمهور هؤلاء، بل يبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إلا من نفر قليل، نحو بضعة عشر نفراً.. ومعلوم أنه لو فرض فى العالم عشرة من أكفر الناس، لم يجب هجر هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه لما قال: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ [النمل: ٤٨]. لم يجب هجر اسم التسعة مطلقاً، بل

(١) سبق تخريجه (٣/٣٠٢).
(٢) رواه مسلم [٢٤٩٥]، والترمذي [٣٨٦٤]، والنسائي في «الكبرى» [٨٢٩٦]، وأحمد (٣/٣٢٥)، وابن حبان [٤٧٩٩].

اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع كثيرة من القرآن: ﴿ **تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ﴿ **وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ** ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. ﴿ **وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ** ﴾ [الفجر: ١-٢].

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان (١).

وقال في ليلة القدر: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**» (٢).

وقال: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر**» (٣) يعني عشر ذي الحجة.

والرافضة توالي بدل العشرة المبشرين بالجنة، الاثني عشر إماماً، وهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدعون أنه وصي النبي ﷺ، دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن رضي الله عنه، ثم الحسين رضي الله عنه، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضى، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن ابن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، ويتغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد!! ولم يأت ذكر الأئمة الاثني عشر، إلا على صفة ترد قولهم

---

(١) رواه البخاري [٢٠٢٦]، ومسلم [١١٧٢]، وأبو داود [٢٤٦٢]، والنسائي في «الكبرى» [٣٣٣٨]، وأحمد (٦/ ٩٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
ورواه الترمذي [٧٩٠]، من حديث أبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري [٢٠١٦]، ومسلم [١١٦٧]، وأبو داود [١٣٨٢]، والنسائي في «الكبري» [٣٣٨٧]، وابن ماجه [١٧٦٦]، وأحمد (٣/ ٦٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري [٩٦٩]، وأبو داود [٢٤٣٨]، والترمذي [٧٥٧]، وابن ماجه [١٧٢٧]، وأحمد (١/ ٢٢٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وتبطله، وهو ما خرجاه فى «الصحيحين»، عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبى على النبى ﷺ، فسمعته يقول: **«لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»**، ثم تكلم النبى ﷺ بكلمة خفيت عنى، فسألت أبى: ماذا قال النبى ﷺ؟ قال: **«كلهم من قريش»**، وفى لفظ: **«لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة»**.

وفى لفظ: **«لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة»** (١).

وكان الأمر كما قال النبى ﷺ. والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر فى الانحلال.

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل فى أيام هؤلاء فاسداً منغصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود، وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً فى ازدياد فى أيام هؤلاء الاثنى عشر.

قوله: «**ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق**».

ش: تقدم بعض ما ورد فى الكتاب والسنة من فضائل الصحابة ﷺ.

وفى «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله

---

(١) رواه البخاري [٧٢٢٢، ٧٢٢٣]، ومسلم [١٨٢١]، وأبو داود [٤٢٧٩]، والترمذي [٢٢٢٣]، وأحمد (٥/٨٦).

ﷺ خطيباً، بماء يدعى: خما، بين مكة والمدينة، فقال: «**أما بعد، أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتى رسول ربى، فأجيب، وإنى تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، ثلاثاً**»(١).

وخرج البخارى عن أبى بكر الصديق ﷺ، قال: ارقبوا محمداً فى أهل بيته (٢).

وإنما قال الشيخ رحمة الله: «فقد برئ من النفاق» - لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح فى الرسول ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء. فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى سعى فى فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو فى على والنصر له، ليتمكن بذلك من اعتراضه، وبلغ ذلك علياً، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا. وخبره معروف فى التاريخ. وتقدم أن من فضله على أبى بكر وعمر جلده جلد المفترى (٣)،

---

(١) رواه مسلم [٢٤٠٨]، والنسائي في «الكبري» [٨١٧٥]، وأحمد (٤/٣٦٦، ٣٦٧)، وابن خزيمة [٢٣٥٧].

(٢) رواه البخاري [٣٧١٣]، وأحمد في «فضائل الصحابة» [٩٧١].

(٣) **إسناده حسن**. رواه أحمد في «فضائل الصحابة» [٤٨٤]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٣٩٤]، من طريق شهاب بن خراش، عن حجاج بن دينار، عن أبي معشر، عن إبراهيم النخعي قال: ضرب علقمة بن قيس هذا المنبر فقال: خطبنا عليٌ على هذا المنبر فحمد الله وذكره ما شاء الله أن يذكره، ثم قال: ألا إنه بلغني أن أناساً يفضلوني =

وبقيت في نفوس المبطلين خمائر بدعة الخوارج من الحرورية والشيعة، ولهذا كان الرفض باب الزندقة، كما حكاه القاضي أبو بكر بن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام، قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين، والتبري من تيم وعدي وبني أمية وبني العباس، وأن علياً يعلم الغيب يفوض إليه خلق العالم!! وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم إلى أن قال، فإذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، ﷺ. انتهى.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ، إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء الفاعلين الصانعين.

قوله: «**وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل**»

ش: قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

= علي أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدم في ذلك لعاقبت، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئاً من ذلك فهو مفتري عليه ما علي المفتري - الحديث.
وإسناده حسن، رجاله ثقات، غير شهاب بن خراش فإنه صدوق يخطئ، وحجاج بن دينار لا بأس به كما في «التقريب». قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١ / ١١): قد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال علي منبر الكوفة، وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. اهـ.

فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ. ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه ـ: فلا بد له فى تركه من عذر.

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبى ﷺ قاله.

والثانى: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا فرضى الله عنهم وأرضاهم. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قوله: «**ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبى واحد أفضل من جميع الأولياء**».

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع. فقد أوجب

الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ [النساء: ٦٤]. إلى أن قال: ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال أبو عثمان النيسابورى: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلا، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر فى نفسه.

والأمر كما قال: فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذى جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعاً لهواه، بغير هدى من الله وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شعبة من قول الذين قالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده فى العبادة، وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم!.

ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!!.

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعى لنفسه أنه خاتم الأولياء.. ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون فى الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربى وأمثاله.. وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره -

قال: النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها. كما قال:

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربى أيضاً فى «فصوصه»: «ولما مثل النبى ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبى ﷺ ويرى نفسه فى الحائط فى موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين، فتكمل الحائط والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هى ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله فى السر ما هو فى الصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن، فإنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى إليه إلى الرسول ﷺ، قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع!!.

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول!! تلك أمانيهم: ﴿إِنْ فِي

صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر فلهذا يحتاج إلى ناقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه مالا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير وكفر ابن عربى وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ولكن ابن عربى وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية فى الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون فى حياة النبى ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم. فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد. ولكن فى قبول توبته خلاف، الصحيح عدم قبولها وهى رواية معلى عن أبى حنيفة رحمه الله. والله المستعان.

قوله: «**ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم**».

ش: المعجزة فى اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة فى عرف أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد، وغيره ويسمونها الآيات. ولكن كثيراً من المتأخرين يفرقون فى اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبى، والكرامة للولى. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذى أحاط بكل شئ علماً وهو على كل شئ قدير، وهو غنى عن العالمين. ولهذا أمر النبى ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي

خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وكذلك قال نوح ﷺ، فهذا أول أولى العزم، وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وهذا خاتم الرسل، وخاتم أولى العزم، وكلاهما تبرأ من ذلك، وهذا لأنهم يطالبونهم:

تارة بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

وتارة بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ الآيات [الإسراء: ٩٠].

وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ الآية [الفرقان: ٧].

فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويستغنى عما أغناه عنه، ويقدر على ما أقدره عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة أغلب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

ثم الخارق: إن حصل به فائدة مطلوبة فى الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التى تقتضى شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه، كان سبباً للعذاب أو البغض كالذى أوتى الآيات فانسلخ منها: بلعام بن باعورا،

لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة.

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود فى الدين، ومذموم، ومباح، فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التى لا منفعة فيها. قال أبو على الجوزجانى: كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

قال الشيخ السهروردى فى «عوارفه»: وهذا أصل كبير فى الباب، فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدين سمعوا سلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شئ من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهماً لنفسه فى صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، لو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وإمارة القدرة - يقيناً، فيتقوى عزمه على الزهد فى الدنيا والخروج عن دواعى الهوى. فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهى كل الكرامة.

ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحاً، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسداً. فالأحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تعالى تارة، ومكروهاً لله أخرى.

وقد تكلم الفقهاء فى وجوب القود على من يقتل غيره فى الباطن، وهؤلاء يشهدون بواطنهم وقلوبهم الأمر الكونى، ويعدون

مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه فى الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبداً بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس: ٦٢].

وأما ما يبتلى الله به عبده، من السراء بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء ـ فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذ أطاعوه، وشقى بها قوم إذ عصوه، كما قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ** ﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

ولهذا كان الناس فى هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة. وقسم يتعرضون بها لعذاب الله. وقسم يكون فى حقهم بمنزلة المباحات، كما تقدم.

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله. وكلمات الله نوعان: كونية، ودينية:

فكلماته الكونية هى التى استعاذ بها النبى ﷺ فى قوله: «**أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر**» (١) وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾ [الأنعام: ١١٥]. والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وسائر الخوارق.

---

(١) سبق تخريجه (١/١٥٢).

والنوع الثانى: الكلمات الدينية، وهى القرآن وشرع الله الذى بعث به رسوله وهى أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلم بها والعمل، والأمر بما أمر الله به، كما أن حظ العباد عموماً وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها، أى بموجبها. فالأولى تدبيرية كونية، والثانية شرعية دينية. فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية.

وقدرة الأولى التأثير فى الكونيات، إما فى نفسه كمشيه على الماء، وطيرانه فى الهواء، وجلوسه فى النار، وإما فى غيره، بإصحاح وإهلاك، وإغناء وإفقار.

وقدرة الثانية التأثير فى الشرعيات، إما فى نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً، وإما فى غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع فى ذلك طاعة شرعية.

فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم فى دينه، فمن لم ينكشف له شئ من المغيبات، ولم يسخر له شيئاً من الكونيات: لا ينقص ذلك فى مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه فى الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أو فساده، أو نقصه.

فالخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له، كما أن الرياسة النافعة هى التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال النافع بيد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر، فمن جعلها هى المقصودة، وجعل

الدين تابعاً لها ووسيلة إليها، لا لأجل الدين فى الأصل: فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب، أو رجاء الجنة، فإن ذلك مأمور به، وهو على سبيل نجاة، وشريعة صحيحة.

والعجب أن كثيراً ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفاً من النار أو طلباً للجنة يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا!! ثم إن الدين إذا صح علماً وعملاً فلا بد أن يوجب خرق العادة، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه. قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وقال تعالى: ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾ [الأنفال: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء: ٦٦-٦٨]. وقال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**» ثم قرأ قوله: «﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر: ٧٥]» [١] رواه الترمذى

---

(١) **ضعيف**. رواه الترمذي [٣١٢٧]، والبخاري في «التاريخ» (٧/٣٥٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/١٢٩)، والطبري في «التفسير» (١٤/٤٦)، والخطيب في «التاريخ» (٣/١٦١)، من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف فيه عطية العوفي، وهو صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلساً كما في «التقريب»، قال الترمذي: حديث غريب.
وفي الباب من حديث أبي أمامة، وابن عمرو، وأبي هريرة رضي الله عنهم من طرق كلها ضعيفة =

من رواية أبى سعيد الخدرى ﷺ.

وقال تعالى، فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ: **«من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولابد له منه»** [1]. فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس، وبالله التوفيق

وقول المعتزلة فى إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات. وقولهم: لو صحت لأشتبهت بالمعجزة، فيؤدى إلى التباس النبى بالولى، وذلك لا يجوز، وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولى يأتى بالخارق ويدعى النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدم الكلام فى الفرق بين النبى والمتنبىء، عند قول الشيخ: وأن محمداً عبده المجتبى ونبيه المصطفى.

ومما ينبغى التنبيه عليه ههنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع:

إيمانية: وسببها نور يقذفه الله فى قلب عبده، وحقيقتها أنها

= وقد بالغ ابن الجوزي فذكره في «الموضوعات» (٣/١٤٥)، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. اهـ. ورد علي دعوي الوضع السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٩)، فقال بعد ذكر طرقه: وكلها ضعيفة، وفي بعضها ما هو متماسك لا يليق مع وجود الحكم علي الحديث بالوضع. اهـ. وأيضاً رد عليه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/٣٠٣).

(١) سبق تخريجه (٢/١٤٦).

خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة. قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهى من مقامات الإيمان. انتهى.

وفراسة رياضية، وهى التى تحصل بالجوع والسهر والتخلى فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء، ونحوهم.

وفراسة خَلقية، وهى التى صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخَلق على الخُلق لما بينهما من الارتباط الذى اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه ونحو ذلك.

قوله: «**ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها**».

ش: عن عوف بن مالك الأشجعى، قال: أتيت النبى ﷺ فى غزوة

تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال: : **«اعدد ستاً بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»** (١) وروى «راية» بالراء والغين، وهما بمعنى. رواه البخارى وأبو داود وابن ماجه والطبرانى.

وعن حذيفة بن أسيد ﷺ، قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال: **«ما تذكرون»**؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: **«إنها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات»**، فذكر: **«الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»** (٢) رواه مسلم.

وفى «الصحيحين»، واللفظ للبخارى، عن ابن عمر ﷺ قال: ذكر الدجال عند النبى ﷺ، فقال: **«إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»** (٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبى إلا**

---

(١) رواه البخاري [٣١٧٦]، وابن ماجه [٤٠٤٢]، وأحمد (٦/٢٢)، وابن حبان [٦٦٧٥]، والطبراني في «الكبير» (١٨/٤٠، ٤١).
(٢) رواه مسلم [٢٩٠١]، وأبو داود [٤٣١١]، والترمذي [٢١٨٣]، والنسائي في «الكبري» [١١٣٨٠]، وابن ماجه [٤٠٥٥]، وأحمد (٤/٦).
(٣) رواه البخاري [٣٤٣٩]، ومسلم [١٦٩]، والترمذي [٢٢٣٥، ٢٢٤١]، وأحمد (٢/٣٧)، ورواه أبو داود [٤٧٥٧] مختصراً بنحوه.

أنذر قومه الأعور الدجال، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر»، فسره فى رواية: «**أى كافر**»[1]

وروى البخارى وغيره، عن أبى هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾[2] [النساء: ١٥٩].

وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم ﵇، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج فى أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين فى ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم، يضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٨].

---

(١) رواه البخاري [٧١٣١]، ومسلم [٢٩٣٣]، وأبو داود [٤٣١٦]، والترمذي [٢٢٤٥]، وأحمد (٣/١٧٣).

(٢) رواه البخاري [٢٢٢٢، ٣٤٤٨]، ومسلم [١٥٥]، والترمذي [٢٢٣٣]، وابن ماجه [٤٠٧٨]، وأحمد (٢/٢٤٠).

وروى البخارى عند تفسير الآية، عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»** (١).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»** (٢).

أى أول الآيات التى ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجارى العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة - أول الآيات السماوية.

وقد أفرد الناس فى أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة، يضيق عن بسطها هذا المختصر.

* * *

---

(١) رواه البخاري [٤٦٣٥]، ومسلم [١٥٧]، وأبو داود [٤٣١٢]، والنسائي في «الكبري» [١١١٧٧]، وابن ماجه [٤٠٦٨]، وأحمد (٢ / ٢٣١).

(٢) رواه مسلم [٢٩٤١]، وأبو داود [٤٣١٠]، وابن ماجه [٤٠٦٩]، وأحمد (٢ / ٢٠١).

قوله: «**ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعى شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة**».

ش: روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبى عبيد، عن بعض أزواج النبى ﷺ، عن النبى ﷺ، قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[1].

وروى الإمام أحمد فى «مسنده»، عن أبى هريرة، أن النبى قال: «**من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[2].

والمنجم يدخل فى اسم «العراف» عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو فى معناه. فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟.

وفى «الصحيحين» و«مسند الإمام أحمد»، عن عائشة، قالت: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان؟ فقال: «**ليسوا بشيء**»، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشئ يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**»[3].

وفى «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**ثمن الكلب خبيث، ومهر البغى خبيث، وحلوان الكاهن خبيث**»[4].

---

(١) رواه مسلم [٢٢٣٠]، وأحمد (٤/٦٨).

(٢) سبق تخريجه (٢/٨٨).

(٣) رواه البخاري [٣٢١٠، ٥٧٦٢]، ومسلم [٢٢٢٨]، وأحمد (٦/٨٧).

(٤) رواه مسلم [١٥٦٨]، وأبو داود [٣٤٢١]، والترمذي [١٢٧٥]، وأحمد (٣/٤٦٥)، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه بدون لفظ: «**وحلوان الكاهن خبيث**». =

وحلوانه: الذى تسميه العامة حلاوته.

ويدخل فى هذا المعنى ما يعاطاه المنجم وصاحب الأزلام التى يستقسم بها، مثل الخشبة المكتوب عليها «اب ج د» والضارب بالحصى، والذى يخط فى الرمل، وما يعاطاه هؤلاء حرام. وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء، كالبغوى والقاضى عياض وغيرهما.

وفى «الصحيحين» عن زيد بن خالد، قال: خطبنا رسول ﷺ بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فقال: «**أتدرون ماذا قال ربكم الليلة**»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى، فمن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بى، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بى، مؤمن بالكوكب**»[1].

وفى «صحيح مسلم» و«مسند الإمام أحمد»، عن أبى مالك الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «**أربع فى أمتى من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»[2].

= وروي البخاري [٢٢٣٧]، ومسلم [١٥٦٧]، وأبو داود [٣٤٢٨]، والترمذي [١٢٧٦]، والنسائي (٧/١٦٧)، وابن ماجه [٢١٥٩]، وأحمد (٤/١١٨)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهي عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن.

(١) رواه البخاري [٨٤٦]، ومسلم [٧١]، وأبو داود [٣٩٠٦]، والنسائي (٣/١٣٣)، وأحمد (٤/١١٧).

(٢) رواه مسلم [٩٣٤]، وأحمد (٥/٣٤٢)، وابن حبان [٣١٤٣].

و النصوص عن النبى ﷺ وأصحابه وسائر الأئمة، بالنهى عن ذلك أكثر من أن يتسع هذا الموضع لذكرها. وصناعة التنجيم، التى مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمزيج بين القوى الفلكية الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسنة، بل هى محرمة على لسان جميع المرسلين، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ [طه: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت السحر [١].

وفى «صحيح البخارى»، عن عائشة رضي الله عنها قال: كان لأبى بكر غلام يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشىء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدرى م هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى بذلك، فهذا الذى أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شئ فى بطنه [٢].

والواجب على ولى الأمر وكل قادر أن يسعى فى إزالة هؤلاء

---

(١) **إسناده قوى.** رواه البخاري تعليقاً في كتاب التفسير باب وإن كنتم مرضي أو علي سفر، ووصله الطبري في «التفسير» (٣/١٨)، وسعيد بن منصور في «السنن» [٢٥٣٤]، وفي «التفسير» [٦٤٩]، من طريق شعبة، وسفيان، وأبي الأحوص، عن أبي إسحق السبيعي، عن حسان بن فائد، عن عمر رضي الله عنه به.
ورجاله ثقات، وأبو إسحق السبيعي ثقة يدلس، وحسان بن فائد شيخ كما قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/٢٣٣)، وذكره ابن حبان في «الثقات». قال الحافظ في «الفتح» (٨/٢٥٢): وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحق له من حسان، وسماع حسان من عمر في رواية رستة. اهـ. ورواية رستة ساق إسنادها الحافظ في «التغليق» (٤/١٩٦).
(٢) رواه البخاري [٣٨٤٢]، والبيهقي (٦/٩٧).

المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والفالات ومنعهم من الجلوس فى الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس فى منازلهم لذلك، ويكفى من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى فى إزالته، مع قدرته على ذلك قوله تعالى: ﴿**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٩]. وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت، بإجماع المسلمين، وثبت فى «السنن» عن النبى ﷺ برواية الصديق رضي الله عنه أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**» [1].

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع:

نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعى الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكذابين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التى تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون فى هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعى النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شئ من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوع يتكلم فى هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة، بأنواع

---

(١) **صحيح**. رواه أبو داود [٤٣٣٨]، والترمذي [٢١٦٨]، والنسائي في «الكبرى» [١١١٥٧]، وابن ماجه [٤٠٠٥]، وأحمد (١/ ٢)، وابن حبان [٣٠٤]، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر رضي الله عنه به.
وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، وصححه الترمذي، والنووي في «الأذكار» (ص: ٢٨٣).

السحر. وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبى حنيفة ومالك وأحمد فى المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه وعثمان وغيرهم ﷺ. ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه فى الأرض بالفساد؟ وقال طائفة: إن قتل بالسحر قتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن فى قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعى، وهو قول فى مذهب أحمد رحمهما الله.

وقد تنازع العلماء فى حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر فى موت المسحور ومرضه من غير وصول شئ ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل.

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سده وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩]. وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا**﴾ [الأنعام: ٧٦]. الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢].

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم، فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذى لا يعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف. ولهذا قال

النبي ﷺ: «لابأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[1].

ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. قالوا: كان الإنسى إذا نزل بالوادى يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادى من سفهائه، فيبيت فى أمن وجوار حتى يصبح، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، يعنى الإنس للجن، باستعاذتهم بهم رهقاً، أى إثماً وطغياناً وجراءة وشراً، وذلك أنهم قالوا: قد سدنا الجن، والإنس. فالجن تعاظم فى أنفسها وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة. وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]. فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم -: ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. فاستمتاع الإنسى بالجنى: فى قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشئ من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته وخضوعه له.

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبته

---

(١) رواه مسلم [٢٢٠٠]، وأبو داود [٣٨٨٦]، وابن حبان [٦٠٩٤]، من حديث عوف بن مالك ﷺ.

رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضى أنهم أولياء الله، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين، ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء فى الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب:

حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عمن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم.

وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم فى الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء!.

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممد للطائفتين، فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق: أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ [الجن: ٦]. وإلا فالإنس يؤنسون، أى يشهدون ويرون، وإنما يحتجب الإنسى أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظن أنهم من «الإنس» فمن غلطه وجهله. وسبب الضلال فيهم، وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم، وهذا كلام باطل،

بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل، وما خالفها رد، كما قال النبى ﷺ : **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

وفى رواية : **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[1].

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً.

ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر، ملتزماً لطاعته فيما أمر، فى الأمور الباطنة التى فى القلوب، والأعمال الظاهرة التى على الأبدان: لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، ولو طار فى الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الجيب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل!! فإنه لا يكون، مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه. لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رفع عنهم القلم، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطناً وظاهراً ما يكونون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين. لكن يدخلون فى الإسلام تبعاً لآبائهم، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ [الطور: ٢١].

---

(١) رواه مسلم [١٧١٨]، وأحمد (٦/١٤٦)، والدارقطني (٤/٢٢٧)، واللفظ الآخر رواه البخاري [٢٦٩٧]، ومسلم [١٧١٨]، وأبو داود [٤٦٠٦]، وابن ماجه [١٤]، وأحمد (٦/٢٤٠)، كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

فمن اعتقد فى بعض البله أو المولعين، مع تركه لمتابعة الرسول فى أقواله وأفعاله، وأحواله أنه من أولياء الله ويفضله على متبعى طريقة الرسول ﷺ، فهو ضال مبتدع، مخطئ فى اعتقاده. فإن ذاك الأبله، إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو زُوكاريًا متحيلاً، أو مجنوناً معذوراً. فكيف يفضل على من هو من أولياء الله المتبعين لرسوله؟ أو يساوى به؟ ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً فى الباطن وإن كان تاركاً للاتباع فى الظاهر؟ فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً. قال يونس بن عبد الأعلى الصدفى: قلت للشافعى: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة؟ فقال الشافعى: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء، ويطير فى الهواء، فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

وأما ما يقول بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله**» (١) فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ،

---

(١) **ضعيف**. رواه البزار [كشف الأستار - ١٩٨٣]، والطحاوي في «شرح المشكل» [٢٩٨٢]، وابن عدي في «الكامل» (٣ / ١١٦٠)، من طريق سلامة بن روح، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**إن أكثر أهل الجنة البله**».
وإسناده ضعيف، فيه سلامة بن روح ابن أخي عقيل بن خالد، وهو صدوق له أوهام، وقيل لم يسمع من عمه وإنما يحدث من كتبه كما في «التقريب»، وقال ابن عدي: هذا الحديث بهذا الإسناد منكر، لم يروه عن عقيل غير سلامة هذا. اهـ. وضعفه العراقي في «تخريج الإحياء (إتحاف السادة المتقين - ٨ / ٤٤٧)، والحديث رواه ابن عدي في «الكامل» (١ / ١٩٤)، من حديث جابر ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**دخلت الجنة فإذا أكثر أهلها البله**» وقال: هذا حديث باطل بهذا الإسناد. اهـ.

ولا ينبغى نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولى الألباب، الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم فى كتابه، فلم يذكر فى أوصافهم البله، الذى هو ضعف العقل، وإنما قال النبى ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»[1]، ولم يقل البله!.

والطائفة الملامية، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون نحن متبعون فى الباطن ويقصدون إخفاء المرائين، ردوا باطلهم بباطل آخر. والصراط المستقيم بين ذلك.

وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون. وليس للإنسان أن يستدعى ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن فى الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢]. وكما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء، أنه إذا حصل فى

---

(١) رواه البخاري [٣٢٤١]، والترمذي [٢٦٠٣]، والنسائي في «الكبري» [٩٢٥٩]، وأحمد (٤/ ٤٢٩)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.
ورواه مسلم [٢٧٣٧]، والترمذي [٢٦٠٢]، والنسائي في «الكبري» [٩٢٦١]، وأحمد (١/ ٢٣٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

جنونهم نوع من الصحو، تكلموا بما كان فى قلوبهم من الإيمان، ويهذون بذلك فى حال زوال عقلهم، بخلاف غيرهم ممن يتكلم إذا حصل لهم نوع إفاقة بالكفر والشرك، ويهذون بذلك فى حال زوال عقلهم. ومن كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كفره أو فسقه. وكذلك من جن من المؤمنين المتقين، يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره، سواء سمى صاحبه مولعاً أو متولهاً لا يوجب مزيد حال صاحبه من الإيمان والتقوى بل يبقى على ما كان عليه من خير وشر، لا أنه يزيده أو ينقصه ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة، من الهذيان، والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه، فذلك شيطان يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية، وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقرباً إلى ولاية الله، كما يظنه كثير من أهل الضلال؟ حتى قال قائلهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا الـ ـسياج فلا فرض لديهم ولا نفل

مـجـانين إلا أن سـر جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل

وهذا كلام ضال، بل كافر، يظن أن للجنون سراً يسجد العقل على بابه!! لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة، أو تصرف عجيب خارق للعادة ويكون ذلك سبب ما اقترن به من الشياطين، كما يكون للسحرة والكهان، فيظن هذا الضال أن كل من خبل أو خرق عادة كان

ولياً لله ومن اعتقد هذا فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. فكل من تنزل عليه الشياطين لابد أن يكون عنده كذب وفجور.

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات فهم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، قد طبع الله على قلوبهم. كما قد ثبت فى «الصحيح» عن النبى ﷺ أنه قال: «**من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر، طبع الله على قلبه**»[1]. وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول، إن كان عالماً بها فهو مغضوب عليه، وإلا فهو ضال، ولهذا شرع الله لنا أن نسأله فى كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، فى تجويز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدنى، الذى يدعيه بعض من عدم التوفيق: فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: أنت موسى بنى

---

(١) **حسن**. رواه أبو داود [١٠٥٢]، والترمذي [٥٠٠]، والنسائي (٣/٧٣)، وابن ماجه [١١٢٥]، وأحمد (٣/٤٢٤)، وابن خزيمة [١٨٥٧]، وابن حبان [٢٧٨٦]، والحاكم (١/٢٨٠)، من طريق محمد بن عمرو، عن عبيدة بن سفيان، عن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه به.
وإسناده حسن، رجاله ثقات غير محمد بن عمرو بن علقمة فإنه صدوق له أوهام كما في «التقريب». وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الحاكم علي شرط مسلم، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/٢٣٩): هذا الحديث يستند من وجوه عن النبي ﷺ، أحسنها إسناداً حديث أبي الجعد الضمري. اهـ.

إسرائيل؟ قال: نعم. ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى ﷺ إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد، فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة: فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان. وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة، فحرك تر.

وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصر عنها، وهو يود منها نظرة؟! وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] إلى آخر السورة.

قوله: «**ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً**».

ش: قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]. فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وقد تقدم قوله ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعنى الأهواء، كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة**».

وفى رواية: قالوا: من هى يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابى**»[1] فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة.

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل، أن النبى ﷺ قال: «**إن الشيطان ذئب الانسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاردة القاصية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد**»[2].

وفى «الصحيحين» عن النبى ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾، قال: «**أعوذ بوجهك**»

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٧٥).

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٦٤)، من طريق العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به.
وإسناده ضعيف لانقطاعه العلاء بن زياد ثقة، وروايته عن معاذ مرسلة كما في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٤٩٧)، ورواه أحمد (٥/ ٢٤٣)، من طريق العلاء بن زياد، عن رجل حدثه يثق به، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به. وإسناده ضعيف أيضاً لجهالة الرجل الذي لم يسم، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (إتحاف - ٧/ ٣٣١): ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً. اهـ. ورواه عبد بن حميد في «المنتخب» [١١٤]، من طريق أبان عن شهر بن حوشب، عن معاذ رضي الله عنه بنحوه. وإسناده ضعيف فيه أبان وهو ابن أبي عياش متروك، وشهر بن حوشب صدوق كثير الإرسال والأوهام كما في «التقريب» وشهر لم يسمع من معاذ بن جبل كما قال البزار (البحر الزخار - ٧/ ١٠٤).

﴿**أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾، قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «**هاتان أهون**» [١].

فدل على أنه لابد أن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، مع براءة الرسول من هذه الحال وهم فيها فى جاهلية؛ ولهذا قال الزهرى: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن: فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية.

وقد روى مالك، بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية، يعنى قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [٢] [الحجرات: ٩]. فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية.

وهكذا مسائل النزاع التى تتنازع فيها الأمة، فى الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول، لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً،

---

(١) رواه البخاري [٤٦٢٨]، والترمذي [٣٠٦٥]، والنسائي في «الكبري» [٧٧٣٠]، وأحمد (٣/٣٠٩)، وابن حبان [٧٢٢٠]، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**. رواه الحاكم (٢/١٥٦)، والبيهقي (٨/١٧٢)، من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه، عن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة من هذه الآية ـ الحديث.

ورجاله ثقات غير إسماعيل بن أبي أويس فإنه صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه روي له الشيخان، وأبوه عبد الله بن عبد الله بن أبي أويس صدوق يهم روي له مسلم كما في «التقريب». قال الحاكم: صحيح علي شرط مسلم. اهـ.

ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة فى خلافة عمر وعثمان يتنازعون فى بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدى ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول، مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل، مثل حبسه وضربه وقتله. والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفى عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إما عادلون وإما ظالمون، فالعادل فيهم: الذى يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره والظالم: الذى يعتدى على غيره، وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٩]. وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل، أقر بعضهم بعضاً، كالمقلدين لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله فى تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول، وقالوا: هذه غاية ما قدرنا عليها، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدى عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعى أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة يبديها ويذم من يخالفه، مع أنه معذور.

ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف فى الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التنوع على وجوه، منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما فى القراءات التى اختلف فيها الصحابة

ﷺ، حتى زجرهم النبى ﷺ وقال: «**كلاكما محسن**»(١).

ومثله اختلاف الأنواع فى صفة الأذان والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة فى ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك، وهذا عين المحرم وكذا تجد كثيرا منهم فى قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهى عنه: ما دخل به فيما نهى عنه النبى ﷺ.

ومنه ما يكون كل من القولين هو فى المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس فى ألفاظ الحدود، وصوغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك. ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها!! ونحو ذلك.

وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، إما فى الأصول، وإما فى الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد، والخطب فى هذا أشد لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذى مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضى حقاً ما، فيرد الحق مع الباطل، حتى يبقى هذا مبطلاً فى البعض، كما كان الأول مبطلا فى الأصل، وهذا يجرى كثيراً لأهل السنة.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٧٧).

وأما أهل البدعة، فالأمر فيهم ظاهر. ومن جعل الله له هداية ونوراً رأى من هذا ما تبين له منفعة ما جاء فى الكتاب والسنة من النهى عن هذا وأشباهه وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا، لكن نور على نور.

والاختلاف الأول، الذى هو اختلاف التنوع: الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه. وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين فى مثل ذلك، إذا لم يحصل بغى، كما فى قوله تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [الحشر: ٥]. وقد كانوا اختلفوا فى قطع الأشجار، فقطع قوم، وترك آخرون.

وكما فى قوله تعالى: ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]. فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم.

وكما فى إقرار النبى ﷺ يوم بنى قريظة [١] لمن صلى العصر فى وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بنى قريظة.

وكما فى قوله: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» [٢]. ونظائر ذلك.

---

(١) رواه البخاري [٩٤٦]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**» ـ الحديث.
ورواه مسلم [١٧٧٠]، وابن حبان [١٤٦٢]، بلفظ: «**لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة**» ـ الحديث.

(٢) رواه البخاري [٧٣٥٢]، ومسلم [١٧١٦]، وأبو داود [٣٥٧٤]، والنسائي =

والاختلاف الثانى: هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وذمت الأخرى، كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ** ﴾ [الحج: ١٩] الآيات.

وأكثر الاختلاف الذى يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول وكذلك الى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغى فى قوله: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** ﴾ [البقرة: ٢١٣]. لأن البغى مجاوزة الحد، وذكر هذا فى غير موضع من القرآن؛ ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه فى «الصحيحين»، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1].

= في «الكبري» [٥٩١٨]، وابن ماجه [٢٣١٤]، وأحمد (٤/١٩٨)، من حديث عمرو بن العاص ﷺ. وفي الباب من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) رواه البخاري [٧٢٨٨]، ومسلم [١٣٣٧] في كتاب الحج: باب فرض الحج مرة في العمر، وفي كتاب الفضائل باب توقيره ﷺ.
ورواه الترمذي [٢٦٧٩]، والنسائي (٥/٨٣)، وابن ماجه [٢]، وأحمد (٢/٢٥٨).

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

ثم الاختلاف فى الكتاب، من الذين يقرون على نوعين:

أحدهما: اختلاف فى تنزيله.

والثانى: اختلاف فى تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

فالأول: كاختلافهم فى تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيئته؛ لكنه مخلوق فى غيره لم يقم به، وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته. وكل من الطائفتين جمعت فى كلامها بين حق وباطل، فآمنت ببعض الحق، وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الاختلاف فى تأويله، الذى يتضمن الإيمان ببعضه دون بعض، فكثير، كما فى حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون فى القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية فكأنما فقئ فى وجهه حب الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا**».

وفى رواية: «**يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل؛ لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه**

فآمنوا به».

وفى رواية: «**فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المراء فى القرآن كفر**»[1]. وهو حديث مشهور، مخرج فى «المسانيد والسنن».

وقد روى أصل الحديث مسلم فى «صحيحه»، من حديث عبد الله بن رباح الأنصارى، أن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى النبى ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف فى وجهه الغضب، فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب**»[2].

وجميع أهل البدع مختلفون فى تأويله ومؤمنون ببعضه دون بعض، يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه: إما أن يتأوله تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدوا ما أنزله الله من معانيه، وهو فى معنى الكفر بذلك؛ لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥]. وقال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ**﴾ [البقرة: ٧٨] أى: إلا تلاوة من غير فهم معناه. وليس هذا كالمؤمن الذى فهم ما فهم من القرآن فعمل به واشتبه عليه بعضه فوكل علمه إلى الله كما أمره النبى ﷺ بقوله: «**فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**»[3]، فامتثل ما أمر به ﷺ.

---

(١) سبق تخريجه (١/١٨٧).
(٢) سبق تخريجه (١/١٨٧).
(٣) رواه أحمد (٢/١٢١)، وهو إحدى طرق الحديث السابق.

قـوله : «ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام قال الله تعـالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس».

ش: ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنـه قـال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[1] وقـوله تعـالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. عـام في كل زمـان، ولكن الشرائع تتنوع، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصول هذا الدين وفروعه موروثة عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد: أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله تعالى، أو رد لما أنزل أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه.

فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولى في وقته. واختلاف تعليم النبي ﷺ في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن، كضمام بن ثعلبة النجدي، ووفد عبد القيس، علمهم مالم يسعهم جهله، مع

(١) رواه البخاري [٣٤٤٣]، ومسلم [٢٦٦٥]، وأحمد (٢/ ٤٠٦).

علمه أن دينه سينشر في الآفاق، ويرسل إليهم من يفقههم في سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت، بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لابد منه أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدل قرينة حال السائل. كقوله: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(١).

وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين؛ إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق.

وقوله: بين الغلو والتقصير قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ [النساء: ١٧١]. ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨].

وفي «الصحيحين» عن عائشة ﵂: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم، وأفطر، وأنام، وأقوم، وآكل اللحم،**

---

(١) رواه مسلم [٣٨]، والترمذي [٢٤١٠]، والنسائي في «الكبرى» [١١٤٨٩]، وابن ماجه [٣٩٧٢]، وأحمد (٤١٣/٣)، وابن حبان [٩٤٢]، من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ﵁.

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (١).

وفي غير «الصحيحين»: **«سألوا عن عبادته في السر، فكأنهم تقالوها»** (٢).

وذكر في سبب نزول الآية الكريمة: عن ابن جريج، عن عكرمة أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالماً مولى أبي حذيفة، ﷺ في أصحابه تبتلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة: ٨٧].

يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الاختصاء، فنزلت فيهم، بعث النبي ﷺ إليهم، فقال: **«إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا»** فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت (٣).

---

(١) رواه البخاري [٥٠٦٣]، ومسلم [١٤٠١]، والنسائي (٦/ ٤٩، ٥٠)، وأحمد (٣/ ٢٤١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري [٥٠٦٣]، وابن حبان [٣١٧].

(٣) **إسناده ضعيف**. رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ١٠)، من طريق القاسم، عن الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة مرسلاً به.
وإسناده ضعيف لإرساله، وفيه الحسين بن داود وهو سُنيد ضعيف لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه كما في «التقريب».

وقوله: وبين التشبيه والتعطيل تقدم أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا، ولا بصر كبصرنا، ونحوه، ومن غير تعطيل، فلا ينفى عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به أعرف الناس به رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى.

ونظير هذا القول قوله: ومن لم يتوق النفى والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]. فقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ رد على المشبهة، وقوله: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ رد على المعطلة.

وقوله: وبين الجبر والقدر تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله، وأنها ليست بمنزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعباد، بل هى فعل العبد وكسبه وخلق الله تعالى.

وقوله: «وبين الأمن والإياس» تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه، راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد، فى سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

قوله: «**فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية، والقدرية**

وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق».

ش: الإشارة بقوله: «فهذا» إلى كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا والمشبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق فى صفاته، وقولهم عكس قول النصارى، فإن النصارى شبهوا المخلوق وهو عيسى عليه السلام بالخالق تعالى وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربى وأشباهه.

والمعتزلة: هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصرى رحمه الله، فى أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذى وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصرى، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التى سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولبسوا فيها الحق بالباطل؛ إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل.

وهم مشبهة الأفعال؛ لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه وما يقبح من العباد يقبح منه. وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد. فإن السيد من بنى آدم لو رأى

عبيده تزنى بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسناً للقبيح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده؟ والكلام على هذا المعنى مبسوط فى موضعه.

فأما العدل: فستروا تحته نفى القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضى به؛ إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً!! والله تعالى عادل لا يجور، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون فى ملكه ما لا يريده، فيريد الشئ ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز، تعالى الله عن ذلك.

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء!! ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض!.

وأما الوعيد: فقالوا: إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد عندهم!!.

وأما المنزلة بين المنزلتين، فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل فى الكفر!!.

وأما الأمر بالمعروف، فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا!! وقد تقدم جواب هذه الشبه الخمس فى مواضعها.

وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التى لا يعلم

صحة السمع إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية، فإنما يذكرونها للاعتضاد بها، لا للاعتماد عليها، فهم يقولون: لا تثبت هذه بالسمع، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل، فمنهم من لا يذكرها فى الأصول؛ إذ لا فائدة فيها عندهم، ومنهم من يذكرها؛ ليبين موافقة السمع للعقل، ولإيناس الناس بها، لا للاعتماد عليها، والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب! والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم! وبمنزلة من يتبع هواه واتفق أن الشرع ما يهواه!! كما قال عمر بن عبد العزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه؛ لأنك إنما اتبعت هواك فى الموضعين، وكما أن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فالاعتقاد القوى يتبع أيضا علم ذلك وتصديقه، فإذا كان تابعاً للإيمان كان من الإيمان، كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحاً، وإلا فلا، فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان، كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح. وفى المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان الترمذى، وهو الذى أظهر نفى الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم، الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط، فإنه خطب الناس فى يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإنى مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم

يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيرا! ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك وتبعه عليها ناس، بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكا فى ربه! وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين، يقال لهم السمنية، من فلاسفة الهند، الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، قالوا له: هذا ربك الذى تعبده، هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم!!. فبقى أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يألهه، نقش الشيطان اعتقاداً نحته فكره، فقال: إنه الوجود المطلق!! نفى جميع الصفات، واتصل بالجعد.

وقد قيل: إن جعداً كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران، وأنه أيضاً أخذ شيئاً عن بعض اليهود المحرفين لدينهم، والمتصلين بلبيد بن الأعصم، الساحر الذى سحر النبى ﷺ [1]. فقتل جهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز ولكن كانت قد فشت مقالته فى الناس، وتقلدها بعده المعتزلة. ولكن كان جهم أدخل فى التعطيل منهم؛ لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم لا ينكرون الأسماء بل الصفات.

وقد تنازع العلماء فى الجهمية: هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم

---

(١) قصة سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ رواها البخاري [٣٢٦٨]، ومسلم [٢١٨٩]، والنسائي في «الكبرى» [٧٦١٥]، وابن ماجه [٣٥٤٥]، وأحمد (٦/٥٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

لا؟ ولهم فى ذلك قولان: وممن قال إنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط.

وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قووا وكثروا، فإنه قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين، وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام، فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أنه لا حجة لهم فى شئ من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم: جهل وظلم وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه، لئلا تنكسر حرمة الخلافة مرة بعد مرة! فلما ضربوه قامت الشناعة فى العامة، وخافوا، فأطلقوه، وقصته مذكورة فى كتب التاريخ.

ومما انفرد به جهم: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد فى الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس! ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة … إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله، سئل عن الكلام فى الأعراض والأجسام؟ فقال: لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام فى هذا.

والجبرية: أصل قولهم من الجهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل

العبد بمنزلة طوله، ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة؛ لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية «قدرية» لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشئ من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين. وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!.

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في «السنن»: منها ما روى أبو داود في «سننه»، من حديث عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر عن النبي ﷺ، قال: **«القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**[1] وروى في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في «الصحيح» وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها، ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين، والقدرية اعتقدوا خالقين!!.

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في «صحيحه» عن سعيد بن المسيب، قال: وقعت الفتنة

(١) سبق تخريجه (٢/١٥).

الأولى يعنى: مقتل عثمان، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع للناس طباخ، أى: عقل وقوة.

فالخوارج والشيعة حدثوا فى الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة فى الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة. فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا فى على، وأولئك كفروه!، وأولئك غلوا فى الوعيد، حتى خلدوا بعض المؤمنين، وأولئك غلوا فى الوعد حتى نفوا بعض الوعيد، أعنى: المرجئة، وأولئك غلوا فى التنزيه حتى نفوا الصفات، وهؤلاء غلوا فى الإثبات، حتى وقعوا فى التشبيه، وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشئ من كتب الأوائل: اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرءوا كتبهم، فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه فى مسائلهم ودلائلهم، وغيروه فى اللفظ تارة، وفى المعنى أخرى! فلبسوا الحق بالباطل، وكتموا حقا جاء به نبيهم، فتفرقوا واختلفوا وتكلموا حينئذ فى الجسم والعرض والتجسيم، نفياً وإثباتاً.

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم، عدولهم عن الصراط المستقيم، الذى أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨].

فوحد لفظ «صراطه» «وسبيله»، و«جمع» «السبل» المخالفة له.

وقال ابن مسعود ﷺ: خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: «**هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**» (١) [الأنعام: ١٥٣].

ومن هاهنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى فى الصلاة قراءة أم القرآن فى كل ركعة، إما فرضاً أو إيجاباً، على حسب اختلاف العلماء فى ذلك؛ لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب، وأجلها. فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٦-٧]. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون**» (٢).

---

(١) **صحيح**. رواه النسائي في «الكبرى» [١١١٧٤]، وأحمد (١/٤٣٥)، وابن حبان [٦، ٧]، والحاكم (٢/٣١٨)، من طريق عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود ﷺ به.
ورجاله ثقات، غير عاصم بن بهدلة فإنه صدوق له أوهام كما في «التقريب»، وقد تابعه الأعمش، عن أبي وائل به، أخرجه البزار (البحر الزخار - ١٦٩٤]، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. ورواه البزار [١٨٦٥]، من طريق سفيان عن أبيه، عن منذر الثوري، عن الربيع، عن عبد الله بن مسعود ﷺ به. وإسناده صحيح رجاله ثقات علي شرط البخاري.

(٢) **صحيح**. رواه الترمذي [٢٩٥٤]، وأحمد (٤/٣٧٨)، وابن حبان [٧٢٠٦]، والطبراني في «الكبير» (١٧/٩٨)، من طريق سماك بن حرب، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم ﷺ مرفوعاً به.

وثبت فى «الصحيح» عن النبى ﷺ أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟!**»[1].

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى؛ فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم فيه شبه من اليهود، حتى إن علماء اليهود يقرءون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى. وأكثر المنحرفين من العباد، من المتصوفة ونحوهم فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك. وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون فى ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التى أحدثها هؤلاء.

ولفرق الضلال فى الوحى طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة

= وإسناده حسن، رجاله ثقات سوي عباد بن حبيش فإنه مقبول، وسماك بن حرب صدوق تغير بأخرة فكان ربما تلقن كما في «التقريب»، لكن رواه عنه شعبة كما في رواية الترمذي، وسماعه منه قديم، وحديثه عنه صحيح مستقيم كما قال المزي في «تهذيب الكمال»، والحديث صححه عبد الحق في «الأحكام الوسطي» (٤/٣٣٩)، ويشهد له ما رواه أحمد (٥/٣٢)، وأبو يعلي [٧١٧٩]، من طريق بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من بلقين قال: أتيت رسول الله ﷺ - الحديث، وفيه قلت يا رسول الله من هؤلاء: فقال: «**المغضوب عليهم**»- يعني اليهود، فقلت: من هؤلاء، قال: «**الضالين**» يعني النصاري. وإسناده صحيح، كما قال الهيثمي في «المجمع» (١/٤٩).

(١) رواه البخاري [٣٤٥٦]، ومسلم [٢٦٦٩]، وأحمد (٣/٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

التجهيل. أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

فأهل الوهم والتخييل: هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر فى نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شئ عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً، وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور فى ذلك، وإن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق فى نفس الأمر، وإن الحق فى نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون فى تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات؛ ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يراد كذا. وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء؛ ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبريل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]. ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: ٧٥]. وهو لا يعرف معانى هذه الآيات، بل معناها الذى دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى!!

ويظنون أن هذه طريقة السلف!!.

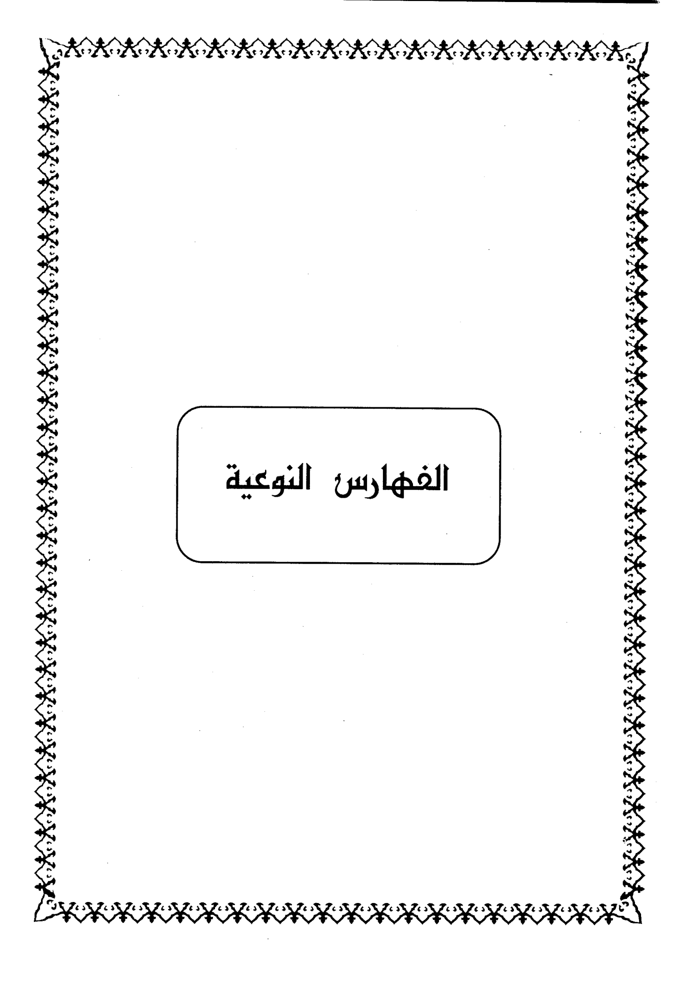
ثم منهم من يقول: إن المراد بها خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد، كما لا يعلم وقت الساعة!، ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها وتحمل على ظاهرها ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا مع هذا أنها تحمل على ظاهرها وهؤلاء يشتركون. فى القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التى يجعلونها مشكلة أو متشابهة ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً!.

ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضاً!، ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال فى بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد فى العلم بتأويل تلك النصوص، فهم مشتركون فى أن الرسول لم يعلم أو لم يعلم، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا فى حمل كلام الرسول على ما يوافق عقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات!! ولا يفهمون السمعيات!! وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

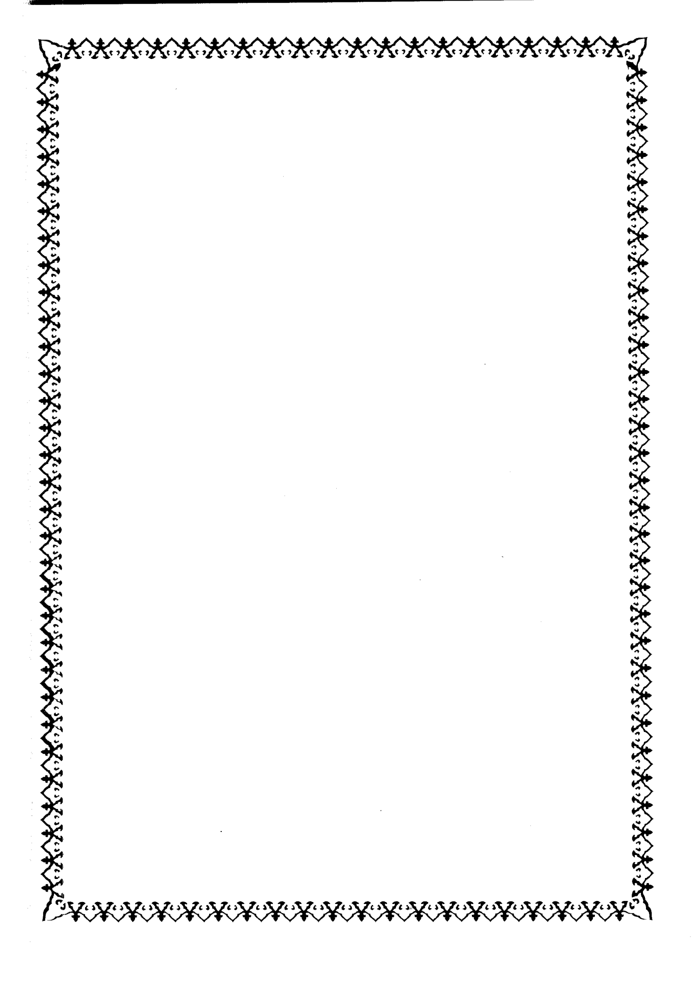
نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



الفهارس النوعية



فهرس الآيات

■ سورة آل عمران

■ سورة النساء

■ سورة المائدة

■ سورة الأنفال

■ سورة التوبة

■ سورة يونس

■ سورة هود

الآيـــة — جزء/صفحة

■ سورة القصص

■ سورة العنكبوت

الآيـــة — جزء/صفحة

■ سورة الروم

■ سورة لقمان

■ سورة السجدة

فهرس الأحاديث

حـــرف الألـــف

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
آمركم بالإيمان بالله وحده	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/١٢٧
أبو بكر فى الجنة	عبد الرحمن بن عوف	صحيح	٢/٣٢٧
أتدرون ماذا قال ربكم الليلة	زيد بن خالد	صحيح	٢/٣٤٨
أتى رسول الله ﷺ بلحم	أبو هريرة	صحيح	١/٢٣٠
أحيوا ما خلقتم	عبد الله بن عمر	صحيح	٢/٢٦٧
أذن لى أن أحدث عن ملك	جابر بن عبد الله	صحيح	٢/٢٦
أربع فى أمتى من أمر الجاهلية .	أبو مالك الأشعرى	صحيح	٢/٣٤٨
أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	عبد الله بن عمرو	صحيح	٢/٨٧
أمرنى أن لا أدع قبراً	على بن أبى طالب	صحيح	١/٢٤
أرواحهم فى جوف طير خضر	عبد الله بن مسعود	صحيح	٢/٢١١
أرى عرشا على الماء (قول ابن صياد)	أبوسعيد / جابر بن عبد الله	صحيح	١/١١٦
أسألك بحق ممشاى هذا	أبو سعيد الخدرى	ضعيف	١/٢٤٠
أصبحنا على فطرة الإسلام	عبدالرحمن بن أبزى	صحيح	١/٤٣
أصحابى كالنجوم	جابر بن عبد الله	موضوع	٢/٣٠١
أصدق كلمة قالها الشاعر	أبو هريرة	صحيح	١/١٥٤
أعطيت خمساً لم يعطهن احد	جابر بن عبد الله	صحيح	١/١٣٦

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
أنا سيد الناس يوم القيامة	حذيفة	صحيح	٢/ ٢٦١
أنا سيد ولد آدم ولا فخر	أبو سعيد الخدرى/أنس	صحيح	١/ ١٢٧
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	أبو هريرة	صحيح	١/ ١٢٧
أنا فرطكم على الحوض	جندب بن عبد الله	صحيح	١/ ٢٢٧
أنا محمد النبى الأمى	عبد الله بن عمرو	إ.ضعيف	١/ ١٤
أنا محمد وأحمد والمقفى	أبو موسى الأشعرى	صحيح	٢/ ٢١٣
أنتم مسؤلون عنى	جابر بن عبد الله	صحيح	٢/ ٤٠
أنت منى بمنزلة هارون من موسى	سعد بن أبى وقاص	صحيح	٢/ ٣٢٢
أنه رآه بقلبه	عبد الله بن عباس	صحيح	١/ ١٨١
أنه ﷺ أسرى به	مالك بن صعصعة	صحيح	١/ ٢٢٣
أنه ﷺ رآه بعينه	عبد الله بن عباس	....	١/ ١٨١
أنه كان يقرأ فى ركعتى الفجر	أبو هريرة	صحيح	٢/ ١٤٨
أنه كان يقرأ فى ركعتى الفجر	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ١٤٩
أنه يأتى صاحبه فى صورة الشاب	البراء بن عازب	صحيح	١/ ٧٦
أنه يأتى على صورة الشاب	بريدة بن الحصيب	حسن	١/ ٧٦
أنها توضع فى الميزان	عبد الله بن عمرو	صحيح	١/ ٧٧
أنهما يوم القيامة يظلان صاحبهما	أبو أمامة	صحيح	١/ ٧٧
أو غير ذلك يا عائشة	عائشة	صحيح	٢/ ٢٤٧
أو مسلماً	سعد بن أبى وقاص	صحيح	٢/ ١٣٣
أوحى إلى أن تواضعوا	عياض بن حمار	صحيح	١/ ١٣١
أوصيكم بالسمع والطاعة	العرباض بن سارية	صحيح	٢/ ١٧٨
أول ما خلق الله القلم	عبادة بن الصامت	صحيح	٢/ ٥
أى الإسلام أفضل	عمرو بن عبسة	إ.صحيح	٢/ ١٣٣

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته	جابر بن عبد الله	ضعيف	٤٣/٢
إذا أحب الله العبد نادى	أبو هريرة	صحيح	١٠/٢
إذا اجتهد الحاكم فأصاب	عمرو بن العاص	صحيح	٣٦٤/٢
إذا بويع لخليفتين	أبو سعيد الخدرى	صحيح	١٧٦/٢
إذا زنى العبد نزع منه الإيمان	أبو هريرة	إ. صحيح	١١١/٢
إذا سألتم الله الجنة فاسألوه	أبو هريرة	صحيح	٢٤/٢
إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك	أبو أمامة	صحيح	١٢٧/٢
إذا صليتم على الميت فأخلصوا له	أبو هريرة	صحيح	١٧١/٢
إذا قال الرجل لأخيه يا كافر	عبد الله بن عمر	صحيح	٨٧/٢
إذا قبر الميت أو الإنسان	أبو هريرة	حسن	٢٠٣/٢
إذا كان يوم القيامة ماج الناس	أنس بن مالك	صحيح	٢٣٦/١
إذا مات ابن آدم انقطع عمله	أبو هريرة	صحيح	٢٧٧/٢
إذا مت فاسحقونى	أبو هريرة	صحيح	٨٥/٢
إذا هم أحدكم بالأمر	جابر بن عبد الله	صحيح	٤٧/١
إن أبغض الرجال إلى الله	عائشة	صحيح	١٩١/١
إن أحدكم إذا مات عرض عليه	عبد الله بن عمر	صحيح	٢٣٥/٢
إن أحدكم يجمع خلقه	عبد الله بن مسعود	صحيح	٢٥٨/١
إن أهل الكتابين افترقوا	معاوية بن أبى سفيان	صحيح	٢٧٦/١
إن أول الآيات خروجاً	عبد الله بن عمرو	صحيح	٣٤٦/٢
إن أولئك إذا مات فيهم	عائشة	صحيح	٢٤/١
إن إبراهيم خليل الله	عبد الله بن عباس	ضعيف	١٣٣/١
إن ابنى هذا سيد	أبو بكرة	صحيح	٣٢١/٢
إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة	سهل بن سعد	صحيح	٢٥٨/١

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
إن الروح إذا قبض تبعه البصر	أم سلمة	صحيح	٢/ ١٩٥
إن السماء تمطر مطراً كمنى	عبد الله بن مسعود	ضعيف	٢/ ٢٢١
إن الشيطان ذئب الإنسان	معاذ بن جبل	ضعيف	٢/ ٣٦٠
إن العبد إذا وضع فى قبره	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ٢٠٣
إن الله أخذ الميثاق	عبد الله بن عباس	صحيح	١/ ٢٤٥
إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس	الحارث الأشعرى	صحيح	٢/ ١٧٥
إن الله اتخذنى خليلاً	جندب بن عبد الله	صحيح	١/ ١٣٢
إن الله اصطفى كنانة	واثلة بن الأسقع	صحيح	١/ ١٢٧
إن الله تجاوز لامتى	أبو هريرة	صحيح	١/ ١٦٢
إن الله تعالى يقول لأهل الجنة	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢/ ٢٩٦
إن الله حرم على النار من قال	عتبان بن مالك	صحيح	٢/ ١٠٧
إن الله خلق آدم عليه السلام	عمر بن الخطاب	صحيح	١/ ٢٤٦
إن الله خلق لوحاً محفوظاً	عبد الله بن عباس	إ.ضعيف	٢/ ٥
إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها	أبو ثعلبة الخشنى	حسن	٢/ ٦٣
إن الله كره لكم ثلاثاً	المغيرة بن شعبة	صحيح	١/ ٢٦٣
إن الله لا يخفى عليكم	عبد الله بن عمر	صحيح	٢/ ٣٤٤
إن الله لا ينام	أبو موسى الأشعرى	صحيح	١/ ٧٣
إن الله يحب أن يؤخذ برخصه	عبد الله بن عمر	صحيح	١/ ٢٦٣
إن الله يحدث من أمره ما يشاء	عبد الله بن مسعود	صحيح	١/ ١٦١
إن الله يستحى من عبده	سلمان الفارسى	صحيح	٢/ ٣٩
إن المؤمن الذى إذا عمل الحسنة	أبو ذر الغفارى	إ.ضعيف	٢/ ١٢٦
إن الملائكة قالت يا ربنا	عبد الله بن عمرو	ضعيف	٢/ ٦٨
إن الناس إذا رأوا المنكر	أبو بكر الصديق	صحيح	٢/ ٣٥٠

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
إن الناس يصعقون يوم القيامة	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٢٢٤
إن خليلى أوصانى أن أسمع	أبو ذر الغفارى	صحيح	٢/ ١٧٤
إن ربى قد غضب اليوم غضباً	أبو هريرة	صحيح	١/ ٧٩
إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها	معاوية بن الحكم	صحيح	١/ ١٦١
إن عرشه على سمواته لهكذا	جبير بن مطعم	ضعيف	٢/ ٢٤
إن فى الجسد مضغة	النعمان بن بشير	صحيح	٢/ ١١٨
إن فى الصلاة شغلاً	عبد الله بن مسعود	صحيح	٢/ ١٦٢
إن فيك لخلتين يحبهما الله	زارع بن عامر	صحيح	٢/ ٢٦٥
إن قدر حوضى	أنس بن مالك	صحيح	١/ ٢٢٦
إن لأنفسكم عليكم حقاً	عكرمة	إ.ضعيف	٢/ ٣٧٠
إن لكل أمة أميناً	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ٣٢٦
إن لكل نبى حوضاً	سمرة بن جندب	صحيح	١/ ٢٢٨
إن لم تجدينى فأتى أبا بكر	جبير بن مطعم	صحيح	٢/ ٣٠٦
إن لى أسماء أنا محمد	جبير بن مطعم	صحيح	١/ ١٢٦
إن معكم من لا يفارقكم	عبد الله بن عمر	ضعيف	٢/ ١٨٩
إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة	أوس بن أوس	صحيح	٢/ ٢١٢
إن من كان قبلكم كانوا	جندب بن عبد الله	صحيح	١/ ٢٤
إن هذا القرآن أنزل على	عمر بن الخطاب	صحيح	١/ ١٥٤
إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٣٦٨
إنكم سترون ربكم عياناً	جرير بن عبد الله	صحيح	١/ ١٧٦
إنما الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	صحيح	١/ ١٤٨
إنما هلك من كان قبكم	عبد الله بن عمرو	صحيح	١/ ١٨٧
إنه لا يأتى بخير	عبد الله بن عمر	صحيح	١/ ١٠٦

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
إنه ليأتى الرجل العظيم السمين	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٢٣١
إنه من شهد أنه لا إله إلا الله	سهيل بن البيضاء	صحيح	٢/ ١٠٧
إنه نزلت عليّ أنفاً سورة	أنس بن مالك	صحيح	١/ ٢٢٧
إنها ستكون فتن	على بن أبى طالب	ضعيف	١/ ٨
إنهم يأتون آدم ثم نوحاً	أبو هريرة	ضعيف	٢/ ٢٣٣
إنهما ليعذبان	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٢٠٣
إنى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٢٣٦
إنى فرطكم على الحوض	سهل بن سعد	صحيح	١/ ٢٢٧
إنى قد خشيت على نفسى	عائشة	صحيح	١/ ١١٧
إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله	عائشة	صحيح	٢/ ١٣٥
إنى لأعرف حجراً بمكة	جابر بن سمرة	صحيح	١/ ١٤١
ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢/ ٦٧
اتقوا فراسة المؤمن	أبو سعيد الخدرى	ضعيف	٢/ ٣٤١
اخسأ لن تعدو قدرك	ابن عمر/ ابن مسعود	صحيح	١/ ١١٥
ادعى لى أباك وأخاك	عائشة	صحيح	٢/ ٣٠٦
اذهبوا إلى محمد عبد غفر له	أنس بن مالك	صحيح	١/ ١١٤
ارم فداك أبى وأمى	على بن أبى طالب	صحيح	٢/ ٣٢٥
استغفروا لأخيكم	عثمان بن عفان	حسن	٢/ ٢٧٨
اسمعوا وأطيعوا ولو لحبشى	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ١٧٤
اشفعوا تؤجروا	أبو موسى الأشعرى	صحيح	١/ ٢٤٤
اطلعت على أهل الجنة	أنس بن مالك	ضعيف	١/ ٣٥٥
اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها	ابن عباس/ عمران بن حصين	صحيح	٢/ ٣٥٦
اعدد ستا بين يدى الساعة	عوف بن مالك	صحيح	٢/ ٣٤٤

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
المؤمن القوى خير	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٧٢
المغضوب عليهم	رجل من بلقين	صحيح	٢/ ٣٨٠
اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون	عدى بن حاتم	صحيح	٢/ ٣٧٩

* * *

حـــرف البـــــاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
بسم الله والله أكبر	جابر بن عبد الله	صحيح	٢/ ٢٨٣
بعثت أنا والساعة كهاتين	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ٢١٣
بعثت بجوامع الكلم	أبو هريرة	صحيح	١/ ١٥
بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة	جابر عبد عبد الله	صحيح	٢/ ٨٧
بينا أنا جالس إذا جاء جبريل	أنس بن مالك	ضعيف	٢/ ٧٣
بينا أنا نائم رأيتنى على قليب	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٣٠٧
بينا أهل الجنة فى نعيمهم	جابر بن عبد الله	ضعيف	١/ ١٤٢
بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح	عبد الله بن عمر	صحيح	٢/ ١٣٩
بينا جبرائيل قاعد عند النبى ﷺ	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٥٨
البذاذة من الإيمان	أبو أمامة	صحيح	٢/ ١١٥

* * *



طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة

حــــرف التــــاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
تخلقوا بأخلاق الله	ـــــــ	ـــــــ	١/ ٧٢
تفرقت اليهود على إحدى	أبو هريرة	صحيح	١/ ٢٧٦
تقول النار للمؤمن يوم القيامة	يعلى بن منية	ضعيف	٢/ ٢٢٩
تلك محض الإيمان	عبد الله بن مسعود	صحيح	١/ ٢٧٣
توشكون أن تعلموا أهل الجنة	أبو زهير	صحيح	٢/ ١٧٣

* * *

حــــرف الثــــاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
ثلاث من كن فيه وجد بهن	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ١٨٠
ثم استيقظت	أنس بن مالك	صحيح	١/ ٢٢٢
ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل	عبد الله بن عمر	صحيح	٢/ ٢٢١
ثمن الكلب خبيث	رافع بن خديج	صحيح	٢/ ٣٤٧
ثنتان فى أمتى هما بهما كفر	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٨٨

* * *

حــــرف الجــــيم

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
جئت أنا وأبو بكر وعمر	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٣١٤

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
جنتان من فضة	أبو موسى الأشعرى	صحيح	١/ ١٧٦
الجنة	عبد الله بن جحش	صحيح	٢/ ٢١٠

***

حرف الحاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
حديث الصور	أبو هريرة	ضعيف	١/ ٢٣٣

***

حرف الخاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
خرج ثلاثة نفر يمشون	عبد الله بن عمر	صحيح	١/ ٢٤٣
خلافة النبوة ثلاثون سنة	سفينة	حسن	٢/ ٣٠٩
خلق الله آدم على صورته	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٢٢٢
خلقت عبادى حنفاء	عياض بن حمار	صحيح	١/ ٢٦
خلقك الله بيده	أنس بن مالك	صحيح	١/ ٢١٦
خيار أئمتكم الذى تحبونهم	عوف بن مالك	صحيح	٢/ ١٧٦
خير الناس قرنى	عمران بن حصين	صحيح	٢/ ٣٠٢

***



طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة

حرف الدال

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
دخلت الجنة فإذا أكثر أهلها البله	جابر بن عبد الله	ضعيف	٢/٣٥٥
الدواوين عند الله يوم القيامة	عائشة	إ.ضعيف	٢/٩٦

* * *

حرف الذال

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
ذرونى ما تركتكم	أبو هريرة	صحيح	٢/٣٦٥

* * *

حرف الراء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر	جابر بن عبد الله	إ.ضعيف	٢/٣٠٨
رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة	سمرة بن جندب	صحيح	٢/٢١٠
رأيت فى مقامى هذا كل شئ	عائشة	صحيح	٢/٢٣٦
رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى ﷺ	قيس بن أبى حازم	صحيح	٢/٣٢٥
ربنا لك الحمد حمداً كثيراً	رفاعة بن رافع الزرقى	صحيح	٢/١٥٦
ربنا لك الحمد ملء السموات	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢/١٥٦

* * *



طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة

حـــرف الـــزاى

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
زينوا القرآن باصواتكم	البراء بن عازب	صحيح	١٥٤/١

* * *

حـــرف الســـين

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
سانبئك بمثل ذلك فى آلاء الله	أبو رزين العقيلى	حسن	٣١/٢
سباب المسلم فسوق	عبد الله بن مسعود	صحيح	٨٦/٢
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك	عائشة	صحيح	٢٠٦/١
الساحر الذى سحر النبى ﷺ	عائشة	صحيح	٣٧٥/٢
السلام عليكم أهل الديار	بريدة بن الحصيب	صحيح	٢٧٩/٢

* * *

حـــرف الشـــين

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
شفاعتى لاهل الكبائر	انس بن مالك	صحيح	٢٣٦/١

* * *

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة

حــــرف الصــــاد

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
صل قائماً	عمران بن حصين	صحيح	٢/٢٥١
صلة الرحم تزيد فى العمر	عبد الله بن مسعود	صحيح	١/١٠٤
صلوا خلف كل بر وفاجر	أبو هريرة	ضعيف	٢/١٦٥
صلوا خلف من قال لا إله إلا الله	عبد الله بن عمر	ضعيف	٢/١٦٦
صنفان من بنى آدم	عبد الله بن عباس	ضعيف	٢/١٧
الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم	أبو هريرة	إ.ضعيف	٢/١٦٥

* * *

حــــرف الطــــاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
الطهور شطر الإيمان	أبو مالك الأشعرى	صحيح	٢/٢٣٢

* * *

حــــرف العــــين

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
عائشة	عمرو بن العاص	صحيح	٢/٥١
عرضت عليّ الأمم	عبد الله بن عباس	صحيح	١/٢٣٤
عشرة فى الجنة	سعيد بن زيد	صحيح	٢/٣٢٦

***

حرف الفاء

***

حـــرف القـــاف

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
قاربوا وسددوا	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٩٩
قال الله عز وجل إذا هم عبدى	أبو هريرة	صحيح	٢/ ١٩٠
قالت الملائكة ذاك عبدك	أبو هريرة	صحيح	٢/ ١٩١
قبض أرواحكم وردها عليكم	أبو قتادة	صحيح	٢/ ١٩٥
قد سألت الله لآجال مضروبة	عبد الله بن مسعود	صحيح	١/ ١٠٤
قد كان فى الأمم قبلكم محدثون	أبو هريرة/عائشة	صحيح	٢/ ٣١٤
قدر الله تعالى مقادير الخلق	عبد الله بن عمرو	صحيح	١/ ٩٣
قل آمنت بالله ثم استقم	سفيان بن عبد الله	صحيح	٢/ ٣٦٩
قل اللهم إنى ظلمت نفسى	أبو بكر الصديق	صحيح	٢/ ٢٧٦
قولى السلام على أهل الديار	عائشة	صحيح	٢/ ٢٧٩
القدر نظام التوحيد	عبد الله بن عباس	ضعيف	١/ ٢٦١
القدرية مجوس هذه الأمة	عبد الله بن عمر	حسن	٢/ ١٥

* * *

حـــرف الكـــاف

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
كانى بنساء بنى فهم يطفن	عبد الله بن عباس	ضعيف	١/ ٢٦٠
كان الله ولم يكن شئ قبله	عمران بن حصين	صحيح	١/ ٩٢
كان رجلان فى بنى إسرائيل	أبو هريرة	حسن	٢/ ٨٤

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
كان ﷺ يعتكف العشر	أبو هريرة/عائشة	صحيح	٢/٣٢٩
كان طول آدم ستون ذراعاً	أبو هريرة	إ.ضعيف	٢/٢٢٢
كذبت لا يدخلها	جابر بن عبد الله	صحيح	٢/٣٢٨
كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب	أبو هريرة	صحيح	٢/٢٢١
كل مولود يولد على الفطرة	أبو هريرة	صحيح	١/٢٥
كلاكما محسن	عبد الله بن مسعود	صحيح	٢/٧٧
كلمتان خفيفتان على اللسان	أبو هريرة	صحيح	٢/٢٣٢
كما صليت على آل إبراهيم	أبو حميد الساعدى/أبو سعيد الخدرى/ابن مسعود/كعب بن عجرة	صحيح	٢/٥٣
كنا نقول ورسول الله ﷺ حىّ	عبد الله بن عمر	صحيح	٢/٣٢٤
الكرسى موضع القدمين	عبد الله بن عباس	ضعيف	٢/٢٧

* * *

حـــرف الـــلام

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
لأبعثن إليكم رجلاً أميناً	حذيفة بن اليمان	صحيح	٢/٣٢٦
لأعطين الراية غدا رجلاً	سهل بن سعد	صحيح	٢/٣٢٢
لا ألفين أحدكم يأتى يوم القيامة	أبو هريرة	صحيح	١/٢٤٤
لا إله إلا الله العظيم الحليم	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/٢٣
لا الإيمان مكمل فى القلب	أبو هريرة	موضوع	٢/١٢٠
لا باس بالرقى ما لم تكن شركاً	عوف بن مالك	صحيح	٢/٣٥٢

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
لا بل فيما جفت به الاقلام	سراقة بن مالك	صحيح	٢٥٧/١
لا تؤمنوا حتى تحابوا	أبو هريرة	صحيح	١٢٤/٢
لا تجالسوا أهل القدر	عمر بن الخطاب	إ.ضعيف	١٦/٢
لا تخيروا بين الأنبياء	أبو سعيد الخدرى	صحيح	١٢٨/١
لا ترجعوا بعدى كفارا	عبد الله بن عمر	صحيح	٨٦/٢
لا تزال طائفة من أمتى	ثوبان	صحيح	١٠/١
لا تسبوا أحداً من أصحابى	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢٩٩/٢
لا تشددوا فيشدد الله عليكم	أبو أمامة	إ.حسن	٤٥/١
لا تفضلوا بين الأنبياء	أبو هريرة	صحيح	١٢٨/١
لا تفضلونى على موسى	أبو هريرة	صحيح	١٢٧/١
لا تفضلونى على يونس بن متى	———	———	١٢٩/١
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس	أبو هريرة	صحيح	٣٤٦/٢
لا تلعنه فوالله ما علمت	عمر بن الخطاب	صحيح	٨٦/٢
لا تنكح المرأة على عمتها	أبو هريرة	صحيح	١٣٩/٢
لا فضل لعربى على عجمى	أبو سعيد الخدرى	صحيح	١٤٦/٢
لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب	أبو هريرة/أنس	صحيح	١٢١/٢
لا يا ابنة الصديق	عائشة	صحيح	٩٤/٢
لا يحل دم امرئ مسلم	عبد الله بن مسعود	صحيح	١٧٣/٢
لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة	جابر بن عبد الله	صحيح	٣٠٢/٢
لا يرد القدر إلا الدعاء	ثوبان	حسن	١٠٥/١
لا يرد القضاء إلى الدعاء	سلمان الفارسى	حسن	١٠٦/١
لا يزال أمر الناس ماضياً	جابر بن سمرة	صحيح	٣٣٠/٢
لا يزال يستجاب للعبد	أبو هريرة	صحيح	٢٩٢/٢

* * *

حـــرف المـــيم

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
ما تعدون المفلس فيكم	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٨٩
ما رأيت من ناقصات عقل ودين	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢/ ١٢١
ما ضل قوم بعد هدى	أبو أمامة	حسن	١/ ١٩٠
ما لا نفس له سائلة	سلمان الفارسى	ضعيف	٢/ ١٩٦
ما من أحد يسلم عليّ	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٢٠٥
ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ١٠٧
ما من أحد يمر بقبر أخيه	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٢٠٤
ما من أيام العمل الصالح فيهن	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٣٢٩
ما من جماعة اجتمعت	————		٢/ ١٤٥
ما من رجل يدعو الله بدعوة	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢/ ٢٩١
ما من نبى إلا أنذر قومه	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ٣٤٤
ما من نفس منفوسة	على بن أبى طالب	باطل لا أصل له	١/ ٢٥٧
ما منكم من أحد إلا وقد وكل	عبد الله بن مسعود	صحيح	٢/ ١٩٠
ما يصيب المسلم من وصب	أبو سعيد/أبو هريرة	صحيح	٢/ ٩٩
ما ينبغى لعبد أن يقول	عبد الله بن عباس	صحيح	١/ ١٢٩
مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر	أبو هريرة	صحيح	١/ ١٢٥
مروا أبا بكر فليصل بالناس	عائشة	صحيح	٢/ ٣٠٧
مم تضحكون	عبد الله بن مسعود	حسن	٢/ ٢٣١
من أتى عرافاً فسأله	بعض أزواج النبى ﷺ	صحيح	٢/ ٣٤٧
من أتى كاهنا فصدقه	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٨٨
من أحب أن يبسط له فى رزقه	أنس بن مالك	صحيح	١/ ١٠٥
من أحب لله وأبغض لله	أبو أمامة/معاذ بن أنس	صحيح	٢/ ١١٧
من أرضى الله بسخط الناس	عائشة	صحيح	٢/ ١٠

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
من أطاعنى فقد أطاع الله	أبو هريرة	صحيح	٢/ ١٧٤
من البهاء والحسن	عبد الله بن عمر	ضعيف	١/ ١٦٩
من ترك ثلاث جمع	أبو الجعد الضمرى	حسن	٢/ ٣٥٨
من تصدق بعدل تمرة	أبو هريرة	صحيح	١/ ٧٨
من حسن إسلام المرء	أبو هريرة	صحيح	١/ ٢٧٨
من حلف بغير الله فقد أشرك	عبد الله بن عمر	صحيح	١/ ٢٤١
من حمل علينا السلاح فليس منا	أبو هريرة/ابن عمر	صحيح	٢/ ١٢٤
من رأى من أميره شيئاً يكرهه	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ١٧٥
من رأى منكم رؤيا	أبو بكرة	صحيح	٢/ ٣٠٧
من رأى منكم منكراً فليغيره	أبو سعيد الخدرى	صحيح	٢/ ١١٦
من سرته حسنته وساءته سيئته	عمر بن الخطاب	صحيح	٢/ ١٩٨
من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا	عبادة بن الصامت	صحيح	٢/ ١٠٧
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا	أنس بن مالك	صحيح	٢/ ٧٥
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا	عائشة	صحيح	٢/ ٣٥٤
من غشنا فليس منا	أبو هريرة	صحيح	٢/ ١٢٤
من قال سبحان الله وبحمده	جابر بن عبد الله	صحيح	٢/ ٢٣٨
من قال فى القرآن برأيه	عبد الله بن عباس	إ.ضعيف	١/ ١٧٧
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة	عقبة بن عمرو	صحيح	٢/ ٥٨
من كان آخر كلامه	معاذ بن جبل	حسن	١/ ١٨
من كان آخر كلمته	أبو هريرة	حسن	١/ ١٨
من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٨٩
من لم يسأل الله يغضب عليه	أبو هريرة	حسن	٢/ ٢٨٧
من مات وعليه صيام	عائشة	صحيح	٢/ ٢٨٠

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
من معك يا جبريل	أبو أيوب	حسن	٢/ ٢٣٨
من هذا	عائشة	صحيح	٢/ ٣٢٤
من يأتى بنى قريظة فيأتنى	الزبير بن العوام	صحيح	٢/ ٣٢٥
من يدخل الجنة ينعم	أبو هريرة	صحيح	٢/ ٢٤٣
مهلاً يا قوم	عبد الله بن عمرو	صحيح	٢/ ١٨٧

***

حـــرف النـــون

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
نسمة المؤمن طائر يعلق	كعب بن مالك	صحيح	٢/ ١٩٥
نعم	حذيفة بن اليمان	صحيح	٢/ ١٧٥
نعم (لمن ساله عن الصدقة عن أمه)	عائشة/ابن عباس	صحيح	٢/ ٢٧٩
نعم حجى عنها	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/ ٢٨٠
نعم هو فى ضحضاح من نار	العباس بن عبد المطلب	صحيح	١/ ٢٣٥
نعم وأنت صابر محتسب	ابو قتادة	صحيح	٢/ ٢١٠
نهى عن بيع الولاء وهبته	عبد الله بن عمر	صحيح	٢/ ١٣٩
نور أنى أراه	أبو ذر الغفارى	صحيح	١/ ١٨٢

***

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة

حــــرف الهـــــاء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
هذا سبيل الله	عبد الله بن مسعود	صحيح	٣٧٩/٢
هذه يد عثمان	عبد الله بن عمر	صحيح	٣٢٠/٢
هل تدورن كم بين السماء والأرض	العباس بن عبد المطلب	ضعيف	٢٣/٢
هل تضارون فى رؤية الشمس	أبو سعيد الخدرى	صحيح	١٧٥/١
هل تضارون فى رؤية القمر	أبو هريرة	صحيح	١٧٥/١
هل ظلمتكم من حقكم شيئاً	عبد الله بن عمر	صحيح	٢٦٤/٢
هلك المتنطعون	عبد الله بن مسعود	صحيح	١٩٣/١
هم فى الظلمة دون الجسر	ثوبان	صحيح	٢٢٦/٢

***

حــــرف الـــــواو

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
وأتبع السيئة الحسنة تمحها	أبو ذر الغفارى	حسن	٩٩/٢
وأنا أشهد	حسان بن ثابت	ضعيف	٣٣/٢
وإنا إن شاء الله بكم لاحقون	أبو هريرة	صحيح	١٣٥/٢
وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون	ثوبان	صحيح	١٢٦/١
والخير كله بيديك	على بن أبى طالب	صحيح	١٥٣/٢
والذى نفسى بيده لا يقضى	صهيب	صحيح	١٢٠/١
والذى نفسى بيده لا يلج النار	أم مبشر	صحيح	٢٢٨/٢

* * *

حرف الياء

طرف الحديث	اسم الراوى	الدرجة	جزء/صفحة
يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية	أبو ذر الغفارى	إ.ضعيف	٢/١٤٦
يا بنى عبد مناف	أبو هريرة	صحيح	١/٢٤٤
يا رسول الله رأيت كأن دلوا	سمرة بن جندب	إ.ضعيف	٢/٣٠٩
يا عبادى لو أن أولكم	أبو ذر الغفارى	صحيح	١/٧٦
يا عمر ترانى قد رضيت وتأبى	عمر بن الخطاب	صحيح	٢/١٨٣
يا غلام ألا أعلمك كلمات	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/٨
يا معاذ أتدرى ما حق الله	معاذ بن جبل	صحيح	١/٢٣٩
يا ولى الإسلام وأهله	أنس بن مالك	صحيح	٢/١٦٤
يجمع الله الناس يوم القيامة	عبد الله بن مسعود	صحيح	٢/٢٧٧
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	عبد الله بن عباس	صحيح	٢/١٣٩
يدخل الجنة من أمتى زمرة	أبو هريرة	صحيح	١/٢٣٤
يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً	عمران بن حصين	صحيح	١/٢٣٥
يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب	حذيفة بن اليمان	صحيح	١/١٥٧
يشفع يوم القيامة ثلاثة	عثمان بن عفان	ضعيف	١/٢٣٨
يصلون لكم فإن اصابوا فلكم	أبو هريرة	صحيح	٢/١٦٥
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات	أبو هريرة	ضعيف	٢/٢٢٥
يقال للرجل من أهل النار	أنس بن مالك	صحيح	١/٢٤٨
يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى	أبو هريرة	صحيح	٢/٧٢
يقول الله تعالى من عادى لى ولياً	أبو هريرة	صحيح	٢/١٤٥
يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى	واثلة بن الأسقع	صحيح	٢/١٠٢
ينادى مناد يا أهل الجنة	أبو سعيد/أبو هريرة	صحيح	٢/٢٤٣
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة	أبو هريرة	صحيح	١/٢٢٠

* * *

فهرس الآثار

الشعبي

* * *

النجاشي

* * *

حذيفة بن اليمان

* * *

عائشة

عبد الله بن رواحة

* * *

عبدالله بن عباس

***

فهرس الأعلام

***

فهرس الموضوعات